

Issn:2676-1939
الإيداع القانوني: مارس 2019
Eissn: 2716-9057
Cognitive Center for Studies and Research
مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات
Cognitive Center for Studies and Research
مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات
Issn:2676-1939
Légal deposit: March 2019
Eissn: 2716-9057
مجلة مدارات تاريخية
Journal Of
MADARAT TARIKHIA
المجلد: 04
العدد: 02
جوان 2022
Volume : 04
Issue : 02
June : 2022
مجلة مدارات تاريخية
مجلة مدارات تاريخية
مجلة دورية أكاديمية محكمة
تعنى بالبحوث والدراسات التاريخية
Journal Of Madarat Tarikhia
Reviewed Academic International
Periodical Magazine
For Historical And Researches Studies
مجلة مدارات تاريخية

مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات

مجلة مدارات تاريخية

دورية دولية محكمة ربع سنوية

تعنى بالبحوث والدراسات التاريخية

المجلد الرابع – العدد الثاني – جوان 2022

الرقم الدولي للمجلة ردمد: 2676-1939

الإيداع القانوني: مارس -2019

ترسل جميع المراسلات إلى رئيس هيئة تحرير مدارات تاريخية
العنوان الالكتروني:
madaratmagazine@gmail.com
حساب المجلة عبر البوابة الوطنية للمجلات العلمية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/654

التعريف وأهداف المجلة

التعريف بالمجلة

مجلة علمية دولية محكمة متخصصة في الدراسات التاريخية، تصدر دوريًا عن مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين من مختلف جامعات الوطن وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين من مختلف الدول العربية والأجنبية (تونس- المغرب- موريطانيا- ليبيا- الامارات- فرنسا- العراق- فلسطين- مصر...) وتصدر المجلة بصفة ربع سنوية مرة كل أربعة أشهر، مع امكانية صدور أعداد خاصة ببعض القضايا والدراسات التي قد تطرح من طرف ادارة المجلة وهيأتها العلمية. اهتمامات المجلة وأهدافها: مجلة مدارات تاريخية عبارة عن مجلة متخصصة في الدراسات والأبحاث التاريخية الجادة، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات الدراسات التاريخية، تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي

أهداف المجلة:

- الاهتمام بالدراسات التاريخية عموما وتاريخ الجزائر خصوصا الحافل بالأحداث والإنجازات الحضارية .
- -نشر المقالات ذات القيمة العلمية في شتى حقول المعرفة التي تتيحها المجلة.
- -السماح للباحثين من أساتذة وطلبة دكتوراليين من النشر وفتح آفاق الكتابة التاريخية وفق المناهج الجديدة
- -السعي للارتقاء بالأبحاث العلمية وبلوغ مصاف مؤشرات الجودة والتميز.

الهيئة العلمية الاستشارية

د/عصام منصور صالح عبد المولى/ جامعة طبرق/ ليبيا	د/علال بن عمر/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي/ الجزائر
د/فتحي جمعة محمد عريبي/ جامعة غريان/ ليبيا	د/كمال بن صحراوي/ جامعة ابن خلدون/تيارت/ الجزائر
د/لخضر بن بوزيد/ جامعة محمد خيضر/ بسكرة/ الجزائر	د/لوبنى زبير/ جامعة القاضي عياض/ المغرب
د/ بشرى حسين الحمداني/ الجامعة العراقية/ العراق	د/محمد لمين باريك/ جامعة حائل/ السعودية
د/نصر الدين العربي/ جامعة المرقب/ ليبيا	د/نواف عبد العزيز ناصر الجحمه/ الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب/ الكويت
د/هيوا عزيز سعيد علي/ جامعة السليمانية/ العراق	د/يحي بكلي/ جامعة طيبة / السعودية
د/جمال مسرحي/ جامعة باتنة 1/ الجزائر	د/عمار غرايسة/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي / الجزائر
د/محمد نفاد/ الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين فاس/مكناس/ المغرب	د/ العيد غزالة/ جامعة تونس/ تونس
د/ غسان محمود وشاح/ الجامعة الإسلامية/ غزة/ فلسطين	د/ أحمد بن خيرة/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي/ الجزائر
أ/ لبصير سعاد/ المدرسة العليا للأساتذة/ قسنطينة/ الجزائر	د/ التجاني مياطة/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي/ الجزائر
د/أشرف صالح محمد/ جامعة ابن رشد/ هولندا	

هيئة تحرير مجلة مدارات تاريخية

كـلـــــــــــــــــــمـة

الـعـــــــــــــــــــــــــــدد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم النبيين

هاهو العدد الثاني من المجلد الرابع لمجلة مدارات تاريخية الصادر عن مركز المدار المعربي للابحاث والدراسات بالجزائر يصدر في أيام غالية على قلوب كل الجزائريين بشكل خاص والعالم العربي بشكل عام وهي الذكرى الستين لاسترجاع السيادة الوطنية وانتصار ثورة التحرير المباركة واخراج العدو الفرنسي من الجزائر.

تمر علينا هذه المناسبة الطيبة والجزائر تعيش مرحلة جديدة وعهد جديد من التميز والابداع والتطور والتألق من خلال رجالها المخلصين الذين يعملون بصدق واخلاص لتخليص هذا الوطن من عدو الماضي والحاضر وايضا من خلال جيشها الوطني الشعبي الذي يحافظ على وحدة ترابها الوطني وعلى حدود الجزائر التي تشتعل فيها النيران من كل جانب بسبب التغيرات الاقليمية والدولية التي نعيشها جميعا.

ومركز المدار المعرفي للابحاث والدراسات ومن خلال مجلته مدارات تاريخية يهتم ويقف بحرص شديد عند كل هذه المحطات من اجل توثيقها والعناية بها وتحليلها حتى تبقى مادة متاحة للباحثين في الحاضر والمستقبل ويسهر المركز على الاهتمام بالتاريخ الوطني بشكل خاص والتاريخ العربي الاسلامي بشكل عام خاصة ما يتشارك فيه الاخوة ويوحد كلمتهم ويجمع صفهم.

ولقد صدر هذا العدد يحمل في طياته العديد من الابحاث والدراسات ولقد كانت في مجملها تعتني بالتاريخ القديم بشكل خاص فحمل عدة مواضيع تهتم بالتاريخ المغاربي القديم و العربي ايضا وساهم فيه نخبة من الباحثين من داخل الوطن وخارجه والمجلة

تسعد دائما بمثل هذه المساهمات التي نسعى من خلال لخلق نافذة تواصل بين الباحثين من داخل الوطن ومن خارجه خاصة من الاقليم العربي والاسلامي.

وستسعى المجلة دوما لخدمة البحث والمعرفة التاريخية من خلال ما تنشره وايضا من خلال تخصيص اعداد خاصة مستقلة تكون مواضيعها نابعة من اهم القضايا المطروحة في الساحة المعرفية التاريخية

رئيس التحرير

أ/ عبد القادر عزام عوادي

الفهـــرس

جوانب من السياسة الديغولية تجاه الثورة التحريرية الجزائرية وصداها في صحيفة "العمل" التونسية (1958– 1962)

Aspects of Gaullistpolicytowards the Algerian liberationrevolution and itsecho in the Tunisiannewspaper "Al-Amal" (1958-1962)

الدكتورة / قشيش فتيحة(*)

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة.

البريد الالكتروني:kechichefatiha@gmail.com

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة تاريخ القبول:30/06/2022

ملخص :

تتناول هذه الورقة البحثية، تجاوب وتفاعل جريدة "العمل" التونسية، وهي الجريدة الناطقة باسم الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، مع أبرز الأحداث والتطورات التي عرفتها سياسة الجنرال ديغول في مواجهته للثورة التحريرية الجزائرية(1958 -1962)، كما تبرز ردود أفعال ومواقف هذه الصحيفة تجاه السياسة التي اتبعتها الثورة التحريرية للرد على سياسة

(*)قشيش فتيحة، kechichefatiha@gmail.com

الجنرال ديغول، وكذا دورها في محاولة الدفاع عن القضية الجزائرية إعلاميا –في ذات الفترة– لكسب تأييد وتضامن وتعاطف الرأي العام العالمي معها.

الكلمات الدالة: الثورة الجزائرية ، الجنرال ديغول، جبهة التحرير الوطني، صحيفة العمل.

Abstract:

This studyanalyzes and discusses the interaction of the Tunisiannewspaper "العمل" - which stands for the Tunisian's Free Constitutional Parti - with the most important events in General de Gaulle'spolicy in his confrontation to the Algerian revolution, as ithighlights the reaction of thisnewspapertowards the policyfollowed by the Algerian revolution in respons to the policy of General de Gaulle.Thisstudyalso shows the newspaper'srole in defending the Algerian cause in order to gain international solidarity and sympathy.

Keywords: Algerian revolution, General degaulle,Thenational liberationfront, Newspaper "Al-Amal ".

مقدّمة :

لم تنجح مختلف الاجراءات الاستعمارية الترهيبية والترغيبية في القضاء الثورة التحريرية الجزائرية، بل زادتها اشتعالا وانتشارا، فامتدت إلى عقر دار فرنسا ابتداء من سنة 1958. الأمر الذي خلق عدة أزمات على مستوى الساحة السياسية الفرنسية، وجعلها تشهد سقوط سبعة حكومات متتالية خلال الفترة الممتدة من (1954–1958)، غير أنّ أكبر أزمة عرفتها فرنسا خلال هذه الفترة هو ذلك التمرد العسكري الذي شهدته في13 ماي 1958، والذي قاده مجموعة من ضباط الجيش الفرنسي الاستعماري بالجزائر، ضد حكومة بلادهم[1]بإيعاز من بعض التيارات السياسية والقوى الرجعية المتطرفة في الجزائر، والمحسوبة على غلاة المستوطنين الفرنسيين،

الذين دعوا إلى ذلك بعد تأكدهم من عجز الحكومات الفرنسية المتتالية عن إيجاد حل عسكري يقضي على الثورة الجزائرية، وهو ما يعني ضياع مصالحهم الاستراتيجية في الجزائر.

كان هؤلاء المستوطنون ومن يساندهم ويؤيدهم من العسكريين المتطرفين يحلمون ببقاء "**الجزائر فرنسية** " إلى الأبد، ولا يؤمنون بغير ذلك. فطالبوا بمجيئ الجنرال ديغول[2] إلى سدة الحكم، حيث لم يروا في غيره من الشخصيات السياسية الفرنسية، من له القدرة على تحقيق طموحاتهم وأحلامهم الاستعمارية دونه. وبقبوله لهذا العرض، وبعد إعلانه الرسمي عن استعداده الكامل للاستجابة لندائهم وتلبية مطالبهم، سقطت الجمهورية الفرنسية الرابعة وانتخب ديغول Deghaulleرئيسا للجمهورية الخامسة. كان لهذه الأحداث والتطورات التي عرفتها الثورة التحريرية الجزائرية صدى واسع في الصحافة الدولية ، لاسيما في الصحف العربية والمغاربية ، ومنها صحيفة "العمل"[3]التونسية لسان الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، التي تابعت حيثيات وتطورات هذا الموضوع باهتمام منقطع النظير.***فماهي الاستراتيجية التي اعتمدها الجنرال ديغول لمواجهة الثورة التحريرية الجزائرية؟ وكيف تفاعلت وتجاوبت معها صحيفة "العمل" التونسية؟***

1- تفاعل "العمل" مع انقلاب 13 ماي 1958 وملابسات قيام الجمهورية الفرنسية الخامسة.

تفاعلت جريدة " العمل" التونسية بحماس شديد مع الأزمة السياسية التي شهدتها فرنسا بتاريخ 13 ماي 1958، حيث أثار هذا الحدث كغيره من الأحداث المتعلقة بالثورة التحريرية الجزائرية اهتمامها، فحرصت على متابعة مجرياته، وتتبُع مستجداته وتطوراته في العديد من الافتتاحيات والعناوين الإخبارية اليومية. وفي هذا الاطار، وفي محاولة منها لتوضيح أسباب هذا الانقلاب، ومناقشة خلفياته وتداعياته، نشرت الجريدة موضوع الدراسة بخصوص الحدثمجموعة من المقالات، أكدت فيها على أن خلفيات حركة تمرد ضباط الجيش الفرنسي

التي شهدتها الجزائر في 13ماي1958، تعود إلى وجود فئة استعمارية متطرفة وعنصرية، متحكمة ومسيطرة على زمام الأمور في الجزائر، حيث لا ترى هذه الفئة – حسب رأي الجريدة – في الحكومة الفرنسية والجيش الفرنسي، إلا وسيلة للمحافظة على مصالحها القائمة على استعباد الشعب الجزائري، واستنزاف ثروات بلاده. وأنّ هذه الفئة بمجرد ما شعرت أنّ الخطر أصبح يهدد مصالحها، وبأنّ السياسة الفرنسية قضت بتعديل مواقفها إزاء القضية الجزائرية،[4]بادرت بإعلان العصيان والتمرد، مطالبة بحكومة تسايرها في خدمة مصالحهاوتعزيز جانبها في الجزائر.حيث قالت الجريدة في أحد المقالات التي نشرتها بخصوص هذا الموضوع ما يلي:«... لم تفاجئ حركة التمرد الجنونية التي اجتاحت عاصمة الجزائر، ثم عمّت البلاد الجزائرية بسرعة البرق، كل الذين يتتبعون أطوار هذه الحرب الدامية، التي تدور رحاها منذ أربع سنين، على أديم تلك الأرض الطاهرة. بعد أن درسوا تاريخ الحركة الوطنية هناك، ويعرفون دلائل الأقلية الفرنسية أو المتفرنسة، والضغط الذي لم يزالوا يسلطونه على حكوماتهم، حتى تبقى امتيازاتهم ويستمر استغلالهم الفاحش لثروات البلاد على حساب أبناء البلاد. فهم الذين مانعوا في تطبيق قانون 1947 التقدمي نسبيا، وهم الذين استقبلوا رئيس الحكومة الفرنسية غي مولي يوم 06 فيفري1956 بالطماطم والحجارة، وكالوا له السب والشتم، فما كان منه إلا أن يتراجع عوض أن يقدم على ما لم يكن منه بد، وأن يتنكر للمبادئ التي انتخب من أجل الدفاع عنها...وأخيرا تقدم رئيس حكومة جديد أمام البرلمان للتزكية، ورغم تأكيده بأن الروابط التي بين فرنسا والجزائر لا يمكن أن تنقسم، فإنّ المدللين أقاموا الدنيا وأقعدوها، فشكلوا لجنة وأسندوا رئاستها إلى الجنرال ماسو، فقبلها بعد أن فكر ثلاثين ثانية فقط، وشقوا عصا الطاعة، وتحدوا الحكم المركزي، وصرحوا بأنهم يلتزمون الدفاع عن مصالح الجزائر الفرنسية ولو تخاذل المسؤولون بباريس...»[5]

كما عبّرت الجريدة في مقال آخر عن أسفها الشديد، واستيائها الكبير من الواقع الذي آلت إليه فرنسا، في ظل الأزمة السياسية الحادة التي أوقعها فيها غلاة المعمرين من مدنيين عنصريين وعسكريين، واصفة ما أقدموا عليه بالأعمال الطائشة والمتهورة، التي أساءت لسمعة

وشرف الأمة الفرنسية العريقة،وهي أمة القيم والمبادئ والحضارةالتي أشعّت على العا لم ردحا من الدهر،حيث عبرت عن ذلك بقولها:«...وكل ما يمكن الشعور به والتعبير عنه في هذه المناسبة، هو الأسف أمام مآل هذه الأمة العريقة في الحضارة، التي أنجبت تربتها مفكرين أفذاذ، وأشعّت مبادئها على العا لم ردحا من الزمن... وإنما الذي يجب التفكير فيه والاستعداد له، هو تفاقم هذه الحمى التي اعترت المدنيين الفاشيين وأعوانهم من الجنود بالجزائر، فأصبحوا في حالة نفسية مرضَية، وأصبحت أعمالهم الطائشة وغرائزهم وأهواءهم متغلبة على عقولهم، إذ هم مقبلون على كل شيء، مستخفون بكل شيء ...»[6]

ونظرا للفوضى الكبيرة والاضطرابات السياسية الخطيرة التي أثارتها هذه الأحداث في فرنسا، نشرت الجريدة في عددها الصادر بتاريخ 14 ماي 1958 مقالا، انتقدت فيه وبشدة عجز الحكومة الفرنسية عن محاولة إنقاذ مصير بلادها، الذي تركته بين أيدي ثلة من المتطرفين– حسب تعبيرها – يسيرون به نحو التدهور الكامل، حيث قالت في هذا الشأن :«... لقد ذهب المتطرفون إلى أبعد مايمكن أن يذهبوا إليه، فاستولوا على السلطة في الجزائر، في وقت بلغت فيه أزمة الحكم في باريس أوجّها، فأصبحت الحالة في منتهى الخطورة، ودقت الساعة التي يستطيع فيها المصلحون والعقلاء، من ذوي الشجاعة والاقدام، أن ينقذوا مصير دولتهم، أو أن يتركوها تسير بخطى حثيثة نحو التدهور الكامل... إنّ أول ما يمكن استنتاجه من حركة التمرد التي قامت بالجزائر، هو أن كمشة من المجانين، ومن الفوضويين، تستطيع أن تفتك الحكم وأن تفرض تكوين حكومة معينة، وأن تهدّد بالانفصال عن فرنسا، بينما تدّعي أنها تقوم بالحرب للاحتفاظ بالجزائر كجزء من فرنسا. فأين هي فرنسا الآن التي كانت تبحث عن المخاطب الكفؤ في الجزائر؟ أين هي فرنسا التي تزعم أنها تريد أن تفرض سلطتها على مغربنا الكبير؟ في حين أنها عاجزة عن فرض سلطتها على كمشة من المتنطعين...»[7]

ثم أشارت الجريدة بعد ذلك إلى المخاوف الكبيرة التي أثارتها حركة التمرد العسكري هذه في أوساط الفرنسيين، بعد مطالبتها بتعيين الجنرال ديغول رئيسا للحكومة الفرنسية، وذلك

لاعتقادها بأنه الرجل الوحيد الذي يؤمن بفرنسة الجزائر، والقادر الوحيد على إبقائها فرنسية، الأمر الذي قد يشكل خطرا وتهديدا للنظام الجمهوري في فرنسا حيث أشارت الجريدة إلى ذلك بقولها:«... على إثر حركة التمرد التي قام بها الجنرال ماسو وجماعته بعاصمة الجزائر، الرامية إلى الضغط على النواب ورئيس الجمهورية، وحمّلهم على تعيين الجنرال ديغول رئيسا للحكومة الفرنسية، لما في اعتقاداتهم من أنّ ديغول هو الرجل الوحيد الذي يؤمن بفرنسة الجزائر، مهما بلغ الثمن وتضخمت التضحيات. وعلى إثر هذا التمرد شعر الشعب الفرنسي بالخطر الذي يهدد مؤسساتهم الديمقراطية، والذي يهدف إلى القضاء على نظامه الجمهوري الراجع إلى غابر التاريخ، فنادى بتعلقه بهذا النظام، وشنّت الصحافة حملة عنيفة على حركة التمرد الجزائرية، وتراجع المستقيلون في استقالتهم من الحكومة وقبَل الاشتراكيون المشاركة فيها، شعورا منهم بوجوب القضاء على النازية الناشئة...»[8]

وفي محاولة منها لتحديد موقف الجنرال ديغول من هذه الحركة، ومن الدعوة التي وجّهتها له لتولي مقاليد الحكم في فرنسا، نشرت " العمل" في عددها الصادر بتاريخ 20 ماي 1958 مقالا تحت عنوان**"ديغول يؤكد حسنا ما فعل الجيش"**، أوضحت فيه ترحيب الجنرال ديغول بهذه الحركة ومباركته لمطالبها، وإعلانه عن استعداده التام لترأس الجمهورية الفرنسية في حال قبول الشعب الفرنسي ذلك، مشيرة إلى أنه حمّل مسؤولية الوضع الذي آلت إليها فرنسا، إلى السياسة الهوجاء والخرقاء التي كانت تتبعها الحكومات السابقة، والتي كانت تدير شؤون الدولة بأساليب بالية وطرق فاسدة، فقالت بهذا الشأن: «...تعرض الجنرال ديغول أثناء ندوته إلى أسباب الأزمة الحالية، وحاول أن يرمي مسؤولية الخلل والضعف الذي ينخر قوى فرنسا، على الأحزاب وسياستها، وادعى أنه مادامت شؤون الدولة تساس على هذه الطرق البالية الفاسدة، فيستحيل على فرنسا أن تتوصل إلى تنفيذ البرامج البعيدة الأمد، ويتعذر عليها فض مشاكلها وإيجاد الحلول الناجعة لها... وجزم بأن الحركة الرديئة التي أصبحت عليها الجزائر، إنما

ترجع إلى سياسة الأحزاب الخرقاء، وختم الجنرال ديغول كلامه معلنا عن استعداده– إذا أراد الشعب ذلك– لترأس حكومة الجمهورية الفرنسية...»[9]

واصلت الجريدة متابعتها الإخبارية لتطورات هذا الحدث معربة عن أسفها الشديد وقلقها الكبير من استجابة الجنرال ديغول لنداء المتمردين، واعلانه عن استعداده التام للاضطلاع بمهام الحكم في فرنسا، محذرة مما قد ينجر عن ذلك من عواقب وخيمة على النظام الجمهوري، قد تؤدي– حسب رأيها– إلى زواله وقيام نظام عسكري ديكتاتوري بفرنسا، فقالت بهذا الخصوص:«... إن تصريح الجنرال ديغول يكتسي نوعا من الخطورة لأمرين، أولهما هو أنه جاء ملبيا دعوة العسكريين المتمردين والمدنيين الثائرين في الجزائر، الذين ما فتئوا يطالبونه بأخذ زمام الحكم لإنقاذ البلاد من الانهيار، وثانيهما هو أنّ التصريح جاء بعد خطاب الجنرال سالان في جموع المتظاهرين بالجزائر ببضع ساعات...هذا الخطاب الذي ختمه بالهتاف بحياة ديغول، مما يدل دلالة واضحة على وجود اتفاق بين المتمردين في الجزائر والجنرال بباريس، ربما يكون يرمي إلى قلب نظام الحكم الحالي بفرنسا...إنّ تصريح ديغول رغم إيجازه واضح جلي وخطير جدا، إذ فيه مس للنظام الجمهوري، وتحدي لدستور البلاد، واستهزاء بإرادة الشعب الفرنسي ...».[10]

وفي رصدها لمواقف الأوساط السياسية الفرنسية من هذا الموقف، أكّدت الجريدة أن معظم التيارات السياسية، أبدت تخوفاتها مما عساه أن ينتج عن القرار الخطير الذي اتخذه ديغول من تهديد للنظام الراهن بفرنسا، وهو المعروف بميله إلى التشدد والانفراد بالرأي.[11]كما حاولت الجريدة معالجة ردود أفعال ومواقف بعض الدول الغربية من تولي ديغول السلطة في فرنسا، فأكّدت على أن الحدث تسبّب في إثارة الحيرة والارتباك والقلق لدى الكثير من الأوساط الدبلوماسية والحكومية الغربية، مفسّرة ذلك بعدم ارتياح هذه الأوساط لما عسى أن يؤول إليه نظام الحكم بفرنسا، وتخوفها من أن ينتج ديغول نظاما ديكتاتوريا يمس ببعض المعاهدات الأوروبية المنعقدة في إطار الاتحاد الأوروبي كالحلف الأطلسي، وهو المعروف بمناهضته– حسب

رأيها– لمثل هذه المعاهدات، التي يرى فيها حاجزا لازدهار سياسة فرنسا وتطورها، حيث قالت بهذا الخصوص: «... تنفس الساسة والدبلوماسيون الصعداء في مختلف العواصم الغربية، بعدما بلغهم خبر ارتقاء دي غول إلى الحكم وانتهاء الأزمة الفرنسية، ولكن الارتياح الذي عبّرت عنه كل من الأوساط الديبلوماسية والصحف الغربية، كان مشوبا بنوع من القلق والتخوّف، ومصدر تلك التخوفات وذاك القلق راجع في أغلب الأحيان إلى الغموض الذي اتصفت به نوايا دي غول إزاء مشاكل شمال إفريقيا، وإلى النتائج التي قد تنجر عن سياسته بالجزائر، وقد تلحق ضررا بالحلف الأطلسي...» [12]

ثم تساءلت الجريدة بعد ذلك عن الوسائل والاستراتيجيات التي سيتبناها الجنرال ديغول لوضع حد للحرب الدائرة في الجزائر، مشيرة إلى أنه سوف يكون أمام طريقين لحل القضية الجزائرية، فإما سيكون ذلك—حسب رأيها– عن طريق الاعتراف بأن عظمة الأمم ليس في عدد مستعمراتها، و بالتالي الدخول في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، وإجبار المعمرين على قبول بعض الحلول التي تخدم مصالح الجزائريين، أو يكون عن طريق الاستجابة لأهداف المستوطنين الرامية إلى فرنسة الجزائر، وهو ما سوف يؤدي إلى تصعيد الحرب ودخولها في طور الإبادة، حيث قالت في هذا المضمار:«... هل سيقوى ديغول على الاعتراف بأن قيم القرن التاسع عشر انقضت تماما، وأنّ عظمة الشعوب ليس في الغرور والإستئساد على المستضعفين، وأن معيار مجد الأمم ليس في عدد ضحاياها ومساحة ممتلكاتها؟...هل سيخيّب الجنرال ديغول ظنّ المتطرفين والعسكريين المجانين، فيخالف التاريخ ويوفي إلى ماضيه المجيد، فيعيد إلى فرنسا ما فقدته من جاه ونفوذ؟...أم أنّه سيحالف الشيطان، ويلعن هذه القيم التي من أجلها حيا حياة مثالية في سبيل وطنه، فيُضيّع عليه هذه الفرصة الأخيرة...»[13]

وهكذا أدى انقلاب 13 ماي 1958 إلى سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة لتقوم على أنقاضها الجمهورية الفرنسية الخامسة برئاسة الجنرال ديغول، الذي صادق البرلمان الفرنسي على توليه الحكومة في 01 جوان 1958 ب329 صوتا ضد 224 صوتا معارضا، حيث

شرع مباشرة بعد توليه الحكم في تنفيذ سياسته لمواجهة الثورة التحريرية،[14]وقد أبدت الجريدة موضوع الدراسة اهتماما منقطع النظير إزاء مظاهر ومستجدات هذه السياسة، التي سوف نحاول تتبّع تطوراتها، وإبراز موقف صحيفة "العمل" منها في العنصر الموالي.

2 – موقف " العمل " من مراهنة ديغول على الحل العسكري للقضية الجزائرية واستمراره فيتطبيق سياسة الادماج والفرنسة.

لم يكد الجنرال ديغول يستلم سلطات الحكم في بلاده كرئيس لحكومة الجمهورية الفرنسية الخامسة، حتى أبان عن مواقفه المؤيدة للمستوطنين الفرنسيين، في أحلامهم ومطامحهم الرامية إلى إبقاء الجزائر فرنسية، ومراهنا من جديد – كمن سبقوه- على الحل العسكري للقضية الجزائرية، حيث واصل سياسة الضغط العسكري على الثورة عبر مخطط شال، لتضييق الخناق عليها، رافضا أي شكل من أشكال التفاوض مع قادتها.ولامتصاص غضب الشعب الجزائري وذر الرماد في العيون شرعبالموازاة مع ذلكفي ممارسة بعض الاصلاحاتالاقتصادية والاجتماعية الإغرائية من خلال مشروعي قسنطينة(04 أكتوبر1958) [15]وسلم الشجعان(28أكتوبر1958)،لكن الحكومة الجزائرية المؤقتة رفضت مثل هذه الحلول الجزئية والشكلية، مؤكدة أن الشعب الجزائري لم يعلن الثورة ضد المستعمر من أجل مطالب اجتماعية، وإنما ثار لأجل تحقيق هدف واحد دون سواه، وهو استرجاع حريته واستعادة سيادته المفقودة.[16]

تتبّعت الصحيفة موضوع الدراسة أحداث وتطورات السياسة التي انتهجها الجنرال ديغول لمواجهة الثورة التحريرية باهتمام كبير، حيث نشرت بخصوص هذا الموضوع مقالا في عددها الصادر يوم 05 جوان 1958، أبانت فيه عن خيبة أمل كبيرة في ما كانت تنتظره من جديد بخصوص مواقف الجنرال ديغول إزاء القضية الجزائرية، بعد اعتلائه السلطة وإمساكه بزمام الحكم في فرنسا، حيث أبدت استياءها وسخريتها من عودته للحديث عن سياسة الإدماج، وهي السياسة التي تجاوزها الزمن،والتي تعود –حسبها- إلى سالف الأزمنة و العهود،

فقالت:«...وتتجه الأنظار الآن إلى الجزائر، حيث شاء ديغول أن يدشّن مهمته الجديدة، وهو منقذ الأمة الفرنسية، مثلما يقال، ويعلن عن سياسته التي تعود إلى سالف العهود، وتبرز في أوضح مظاهر السياسة الاستعمارية التي تسلكها فرنسا منذ عشرات السنين... ويكفيك دليلا على ذلك، أن تسمع ديغول يعلن من أعلى شرفة الوزارة العامة بالجزائر، ومن مقر ولاية وهران، أن العشرة ملايين من الجزائريين فرنسيون متساوون في الحقوق والواجبات. وأن الجزائر فرنسية، فوجب إدماجها وإدماج الأرواح مع فرنسا وروح فرنسا...ويكفيك دليلا أيضا أن ترى الجنرال العظيم يساير المتمردين، ويسعى ليحظى برضاهم، ولا يستنكر عليهم شيئا، مما أتت به أيديهم، ويشاطرهم أراءهم المتطرفة حتى المغالاة...»[17]

كما حاولت في مقال آخرتوضيح مواقف جبهة التحرير الوطني الرافضة لبرنامج الإدماج والمساواة ، فأبرزت اندهاش جبهة التحرير الوطني من عودة ديغول للحديث عن هذه الأطروحة التي أراد أن يدشن بها سياسته في الجزائر، وتساؤلها عن عدم إمكانية اندماج ثمانمائة ألف أوروبيمع عشرة ملايين جزائري، عوض اندماج عشرة ملايين من المسلمين الجزائريين في المجتمع الفرنسي، حيث قالت " العمل" في هذا المضمار:«... نشرت الليلة الماضية لجنة التنسيق والتنفيذ التابعة لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، بيانا أعلنت فيه موقفها من تصريح الجنرال ديغول في الجزائر، وجاء في البيان أن الجنرال ديغول يستأنف سياسة الحكومات الفرنسية السابقة، وينضم إلى شق المتطرفين، وأنه يتعمّد تجاهل إرادة الشعب الجزائري...إنه لا يمكن أن يصير الجزائريون فرنسيون، إذ أنهم يعلمون علم اليقين أنهم لم يصلوا إلى هذه النتيجة من قبل، وأنهم يكافحون منذ أربعة أعوام ليصبحوا جزائريين... وإذ كان الجزائريون المنحدرون من أصل فرنسي مخلصين، فلماذا لا ينضمون إلى الجمهورية الجزائرية وإلى الوطن الجزائري المتساوي لدى الجميع؟ فالأيسر أن يتساكن ثمانمائة ألف جزائري منحدرون من أصل أوروبي مع عشرة ملايين جزائري في كنف جزائر حرة، من أن يدمج عشرة ملايين من المسلمين في فرنسا...»[18]

وعلى الرغم من أن مواقف وردود فعل جبهة التحرير الوطني جاءت معارضة ورافضة لهذا المشروع، ومحذّرة من مغبة الانسياق وراء مثل هذه المؤامرات، التي لا تهدف إلا إلى احداث القطيعة وزرع البلبلة بين الشعب والثورة، رغم هذا مضى الجنرال ديغول في تنفيذ مخططه، فتقدم بمشروع استفتاء دعا من خلاله الشعب الجزائري و المستوطنين الفرنسيين إلى الإدلاء برأيهم حول برنامجه المقترح، في استفتاء تم تنظيمه يوم 28 سبتمبر 1958.[19]وهو الاستفتاء الذي حرصت صحيفة "العمل"على مواكبة مجرياته وحيثياته أيضا، فنشرت في عددها الصادر يوم 30 سبتمبر1958 مقالا، أدانتفيه وبشدة عمليات التزوير التي شهدها هذا الاستفتاء، حيث وضعت السلطات الاستعمارية – حسبها- مخططا سياسيا وعسكريا محكما، وسخّرت كل الوسائل لإنجاح عمليات التزوير هذه، وذلك لإظهار الشعب الجزائري أمام الرأي العام العالمي، بمظهر الراضي عنها وعن سياستها القائمة على الفرنسة والإدماج .[20]

كما تعجبت الجريدة في مقال آخر من نسبة تصويت الجزائريين المصوتين لصالح هذا الاستفتاء، والتي بغلتحسب زعم السلطات الاستعمارية الفرنسية ستة وتسعون بالمائة، وهي تقارنها بنسبة تصويت الفرنسيين التي لم تتجاوز التسعة وسبعون بالمائة، ثم تساءلت بعد ذلك ساخرة، ومفسرة لهذه المفارقات، باحتمال كون الجزائريين قد أصبحوا أكثر فرنسة من الفرنسيين أنفسهم، فقالت:«...إنّ الملاحظ النزيه الذي تتبّع عن كثب نتائج عملية الاستفتاء بالجزائر، لا يمكنه إلا أن يتعجب لها، فوكالات الأنباء تقول أن 96% قد صوتوا في الجزائر لفائدة الدستور، بينما لا تزيد هذه النسبة في فرنسا عن79% . فهل تعني هذه النتائج أن الشعب الجزائري أصبح أكثر فرنسة من الفرنسيين أنفسهم؟ أم أنّ المجازر التي ما فتئ الجيش الفرنسي ينظمها باستمرار، لبث الرعب والفزع في القلوب، كانت من نتائجها الاستحواذ على شعور الجزائريين وعواطفهم، حتى أصبحوا يؤمنون بالأخوة الإسلامية الفرنسية وبمنافع سياسة الإدماج...»[21]

واصلت "العمل" تغطيتها الاخبارية لتطورات السياسة الديغولية في الجزائر،فنشرت في عددها الصادر يوم 06 أكتوبر1958،مقالا حاولت أن ترد فيه على المشروع الشهير الذي

أعلن عنه الجنرال ديغول يوم 04 أكتوبر 1958 في إطار برنامجه الاجتماعي والاقتصادي الذي جاء به بهدف تطويق الثورة وعزلها عن الشعب، وهو المشروع المعروف بمشروع قسنطينة، حيث حاولت الجريدة أن تفضح في مقالها حقيقة هذا المشروع.كما لم تترد في الجزم بأن مصيره سيكون الفشل، مثل غيره من المشاريع، التي جاءت لذر الرماد في العيون لا أكثر.وأنه سوف لن ينجح في خداع الشعب الجزائري الذي تعوّد على ألاعيب السياسة الاستعمارية الفرنسية ومغالطاتها في الجزائر، واقتنع بعدم وجود حل للقضية الجزائرية، غير حصوله على السيادة والاستقلال، فقالت بهذا الخصوص:«... فإذا كانت الحكومة الفرنسية تقصد ذر الرماد في العيون، ومخادعة الرأي العام العالمي بحركاتها المحمومة في الجزائر، والتذكير بمشاريعها فيها، فهي قد أخطأت الهدف، إذ أن الرأي العام مقتنع بخطورة الحرب في الجزائر. وفي الجانب الآخر الثورة الجزائرية هي التي تتقدم واضحة الأهداف، تربح كل يوم نصرا جديدا، وصديقا مخلصا. وفي العالم تشهد الشعوب المهزلة التي تؤديها فرنسا في القرن العشرين وتأسف لتعامي الساسة الفرنسيين، وتشبثهم المشين بالنوايا الاستعمارية وسياسة المغالطة، ولن تنخدع هذه الشعوب بمطار قسنطينة وغيره ...»[22]

وإضافة إلى مشروع قسنطينة أعلن الجنرال ديغول في 23 أكتوبر1958 عن مشروع إغرائي آخروهو مشروع سلم الشجعان، الذي اعترف من خلاله بشجاعة الثوار الجزائرييناووصفهم بالأبطال، الذين لم يلجؤوا إلى الكفاح المسلح – حسبه – إلا بسبب تمييز السياسة الفرنسية بينهم وبين الأوروبيين، فدعاهم إلى إلقاء السلاح، وتسليم أنفسهم دون أن يلحق بهم أي عقاب، أو تترتب عليهم أية متابعة قضائية.[23]

وفي تعليقها على هذا المشروع أظهرت "العمل"موقفين مختلفين إزاءه، فمن جهة عبّرت عن استبشارها بالخطوة التي أقدم عليها ديغول بدعوته قادة جبهة التحرير الوطني إلى مقابلته من أجل النظر في إيجاد حل للقضية الجزائرية. وهي المحاولة التي ثمنتها الجريدة ، ورحبت بها مشيرة إلى أنها المرة الأولى التي يصرح فيها مسؤول فرنسي في مستوى رئيس الحكومة، بأنه يريد مقابلة

قادة الثورة، الذين لم تكن الحكومات السابقة تعترف بهم، وكانت تصفهم بقطاع الطرق والمتمردين، ولا تسمح بأن يكون الاتصال بهم إلا عن طريق بعض الضباط من الجيش، حيث قالت في هذا الصدد:«...كان للندوة الصحفية التي عقدها الجنرال ديغول أثر بعيد في الأوساط السياسية، وكاد المعلقون يجمعون على أنه منحت حكومة الجزائر الحرة فرصة ثمينة، يجب عليها أن تغتنمها. وفعلا فإنه لأول مرة في تاريخ القضية الجزائرية، يصرح مسؤول فرنسي في المستوى العالي، بأنه قابل للتلاقي مع قادة الطرف المقابل، أي جبهة التحرير الوطني والتفاهم معهم. وكانت التقاليد المتآلفة بين حكومات فرنسا السابقة، لا تقضي إلا بتسميتهم مجرمين أو متمردين... وحين فكر الساسة السابقون في الاتصال بالخصم الجزائري، كانوا إما يقصرونه على المستوى السفلي، أي بين قادة الثورة في الجبال وبين ضباط الجيش الفرنسي، وإما يجرونه خفية... فمن هذه الناحية يستحق الجنرال دي غول تقدير كل من يعمل على تقريب وجهات النظر، وإنهاء الحرب الضروس.»[24]

ومن جهة أخرىعبّرت الجريدة بصراحة عن موقفها الرافض لطبيعة المشروع الذي استدعى من أجله ديغول قادة الثورة، حيث تصدت له بقوة، مؤكدة على أن ما يعتبره ديغول سلما للأبطال، ما هو في الحقيقة إلا دعوة لاستسلام جيش التحرير الوطني، فقالت:«... لقد حصر ديغول هدف الملاقاة في توقيف القتال وتصالح "الشجعان"... وبعبارة أخرى فرئيس الحكومة الفرنسية، يريد من الشعب الجزائري أن يكف عن الحرب التي خاضها منذ أربع سنوات، بدون أن يعلم أنه بلغ غايته في الحرية والاستقلال التي حارب من أجلها السنين الطوال، وكأن المجاهدين لم يجاهدوا، إلا ليبرهنوا على شجاعتهم، ويستحقوا أن تعترف لهم فرنسا بها ...! تلك هي دعوة ديغول، ظاهرها خلاب فاستمالت عدد من العقول، ولكن باطنها لا يحتوي على غير ما دعا إليه غي مولي، وغير غي مولي من استسلام في مستوى المقاومين...»[25]

كما حاولت الجريدة إبراز موقف الحكومة الجزائرية المؤقتة من المشروع، فأكدت على أنها رفضت المشروع رفضا قاطعا، لكنها لم تغلق باب المناقشة والحوار الذي دعا إليه ديغول،

حيث رحبت به وحاولت استغلاله لفسح المجال للتفاوض مستقبلا، وقد أوضحت الجريدة ذلك بقولها:«... رفضت الحكومة الجزائرية عروض ديغول، ولكنها لم تغلق باب المفاهمة، وكيف تغلقه وهي التي فتحته عن طريق بياناتها وتصريحات رئيسها، بل أجابت على طلبات الاستسلام – بدون قيد ولا شرط– التي قدمها ديغول باقتراحات إيجابية، كفسح المجال للمستقبل... وبقولها أن الجنرال ديغول أراد أن يُقبل جنود مكافحين، يقدَمون كل يوم أدلة على شجاعتهم وتقدم نشاطهم، على الاستسلام بدون قيد ولا شرط ...»[26]

3- موقفها من مشروع تقرير المصير 16 سبتمبر1959.

لقيت الاستراتيجية العسكرية التي انتهجها الجنرال ديغول بعد توليه السلطة فشلا ذريعا في القضاء على الثورة، حيث لم تزدها إلا قوة واستفحالا وانتشارا، كما لم تنجح إصلاحاته الاقتصادية والاجتماعية، ومناوراته السياسية في عزل الشعب عن الثورة، وهذا ما جعله يخضع للأمر الواقع، فأعلن يوم 16 سبتمبر 1959 عن مبدأ تقرير المصير، وهو عبارة عن مناورة سياسية أخرى تقضي بإجراء استفتاء يمكّن الجزائريين من قول كلمتهم وإبدا رأيهم، بكل حرية في الاختيار بين الانفصال عن فرنسا أو الاندماج التام فيها.

وفي إطار تغطيتها لردود الفعل والمواقف التي أثارها هذا الحدث البارز، نشرت "العمل" في عددها الصادر يوم 18-09-1959 مقالا، سلّطت فيه الضوء على الهجمة الشرسة التي قام بها المستوطنون الفرنسيون ضد الجنرال ديغول بعد سماعهم لخبر هذا المشروع، الذي اعتبروه مساس بالكرامة الفرنسية، وطعنا للعهود والوعود التي قطعها عليهم ديغول بالمحافظة على الجزائر فرنسية. مشيرة إلى تأكيدهم على أن هذه الوعود كانت مجرد وسيلة اعتمدها ديغول للتمكن من الحكم، وأنهم عازمون على التضامن مع الجيش للحيلولة دون انفصال الجزائر عن فرنسا، حيث قالت في هذا المضمار:«...إن حركة 13 ماي لتندد باقتراح الانفصال الذي يعتبر مسا بالكرامة الفرنسية، وتؤكد أن كل شيء قد أعيد النظر فيه، بمجرد إلقاء بيان لم يأخذ بعين الاعتبار رأي النواب، وقد ألغى كل الوعود التي قطعت منذ 04 جوان1958، ويظهر أن

الجنرال ديغول لم يتحدث عن الجزائر الفرنسية، إلا ليتمكن من الاستيلاء على الحكم... ولهذا فإن حركة 13 ماي الشعبية، تلاحظ أن بيان ديغول يفتح باب مغامرة خطيرة، وتعتبر نفسها مجندة لخدمة الوطن، وستبقى متضامنة مع الجيش الفرنسي، للمحافظة على الجزائر كأرض فرنسية...»[27]

وفي ذات السياق نشرت الجريدة بتاريخ 22 سبتمبر 1959 مقالا، حذّرت فيه من هذا الوعيد الذي ساد صفوف المستوطنين العنصريين، ودعت السلطات الفرنسية إلى ضرورة التحلي بالحيطة والحذر، للنجاح في إحباط أية مناورة قد يسعى من خلالها هؤلاء لإفشال مشروع تقرير المصير،فقالت:«... العويل والوعيد يسودان صفوف المستعمرين بالجزائر وباريس، وما كان لأحد لينتظر منهم أقل من هذا. إنهم يعلمون أن الحل الذي لجأ إليه الجنرال دي غول، لابد منه ولا مرد له، بل وإن الاستقلال لامناص منه، لكن يريدون أن يعطلوا سير التاريخ، ويأملون في تراجع الجنرال عما أعلنه من مبدأ، واحترازه على التطبيق فيما اعترف به من حق ... فالمهم هو ليس عويلهم ولا وعيدهم، وإنما المهم هو ما ستبرهن عليه حكومة باريس، من صدق وإخلاص وابتعاد عن المناورات، ولها من النفوذ ما يكفي لإحباط مساعي المصطادين في الماء العكر...»[28]

وعن موقف الحكومة الجزائرية المؤقتة التي رحبت بالمشروع، وأعلنت استعدادها للشروع في المحادثات مع الحكومة الفرنسية للنظر في شروط وقف القتال، قالت الجريدة أن هذا الرد كان شاملا لمختلف البنود التي وردت في مشروع تقرير المصير الذي اقترحه ديغول وأن رد الحكومة المؤقتة ضم أربعة بنود لا يمكن بدونها نجاح هذا المشروع، الذي لم يعترف به ديغول، إلا بعد اشتداد لهيب الثورة،ونجاحها في إفشال مخططاته ومخططات من سبقوه في القضاء عليها. كما حاولت الجريدة في ذات المقال تزويد قرائها بالبنود التي تضمنها بيان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، مشيرة إلى أن هذه البنود نصت على ضمان الوحدة الاجتماعية والترابية

للجزائر، ورفضت استشارة الشعب الفرنسي في تقرير مصير الشعب الجزائري، كما أكدت على أن استثمار خيرات الصحراء من طرف فرنسا لن يؤول إلى حق ملكيتها.[29]

أثنت جريدة "العمل" على هذا الموقف ورحبت به كثيرا، كما أكّدت على أنه خطوة هامة، فتحت طريق السلم أمام الجزائريين، لإجراء استفتاء يمكنهم من اختيار ما يريدونه من مصير بكل حرية، وأنه جاء ليقيم الدليل والحجة على أنّ قادة الثورة الجزائرية لا يرفضون الاحتكام إلى الطرق الديمقراطية، كما كانت تروج لذلك السلطات الاستعمارية الفرنسية، حيث قالت بهذا الخصوص:«... ما كان عاقل لينتظر غيرارتياح ممثلي الشعب الجزائري باعتراف رئيس جمهورية فرنسا بحق تقرير المصير... فالشيء الجديد في البيان الجزائري هو – ولا شك- الاستعداد للشروع في محادثات مع المسؤولين الفرنسيين، لتحقيق سلم ناجز، ذلك السلم الذي هو منطقيا، المرحلة الحتمية الأولى نحو استشارة الشعب الجزائري فيما يريده من مصير، وهي خطوة أولى ينبغي تسجيلها. والشيء الجديد ثانيا هو قبول قادة الجزائر إجراء الاستشارة الشعبية، وكذلك قبولهم لنتائجها، فقد أقاموا الدليل على أنهم واثقون من أنفسهم ومن إرادة شعبهم، وقد كانوا يقولون عنهم أنهم يرفضون الطرق الديمقراطية، ولا يرضون بالاحتكام إلى الاقتراع الحر.وعلى هذا الأساس فطريق السلم عادت مفتوحة إن كانت بباريس عزيمة ثابتة في تحقيقها....»[30]

وفي ذات المقال قالت الجريدة أن الشروط التي تضمنها بيان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في ردها على مشروع تقرير المصير هي مبادئ ومطالب بديهية، ما تأسست جبهة التحرير الوطني وجيشها إلا للمطالبة بها والدفاع عنها، ومما جاء في قولها:«... وما أكده البيان من مبادئ فإنما هو ميثاق كل حركة وطنية، ما خلقت إلا للدفاع عنها والمحافظة عليها، ولولا من أجل الذاتية القومية والوحدة الاجتماعية ووحدة التراب، لما كان كفاح خمس سنوات، ولما كان العدد العديد من الضحايا وما عدّده البيان من إجراءات فيما يخص الجيوش الجرارة، وقوات

القمع والارهاق والسجون والمحتشدات، فإنما هي الضمانات اللازمة، لأن يقول الشعب كلمته صريحة صادرة عن إرادته بدون ضغط ولا تزوير...»[31]

4 – تفاعلها مع سياسة الجنرال ديغول في محاولة انتصاره لمصالح فرنسا العليا ومواجهته لمطامع المستوطنين العنصريين.

واجه المستوطنون الفرنسيونقرار مبدأ حق تقرير المصير الذي أعلن عنه الجنرال ديغول يوم 16 سبتمبر 1959 بموجة غضب كبيرة واحتجاجات عارمة، ندد من خلالها هؤلاء بهذا المشروع، الذي اعتبروه خيانة للعهود والوعود التي قطعها عليهم الجنرال ديغول عند اعتلائه الحكم، وعبّروا عن رفضهم القاطع له. وعن استعدادهم للتحالف مع الجيش إذا تطلب الأمر ذلك، لإسقاط هذا المشروع، وإجبار الجنرال ديغول على التراجع عنه. ومن هذا المنطلق، وردا على سياسة التجاهل واللامبالاة التي قابل بها ديغول موقفهم من المشروع، حاولت بعض الأحزاب والمنظمات الاستعمارية الفرنسية، بالتعاون مع قسم من الجيش، القيام بحركة تمرد عسكري ضد الجنرال ديغول، طالبته فيها بتصريح فوري يعلن فيه تراجعه عن سياسة تقرير المصير، واعترافه بأن الجزائر مقاطعة فرنسية وستظل فرنسية، حيث قاد هذا التمرد كل من رئيس منظمة الطلبة بيار لاغايار*Pierre la Gaillard* والقيادي من حزب الجبهة الوطنية الفرنسية جوزيف أورتيز*Joseph Ortiz*في 24 جانفي 1960.[32]

وكغيره من المحطات الرئيسية والأحداث البارزة للثورة التحريرية الجزائرية،أولت صحيفة "العمل" التونسية اهتماما كبيرالهذا الحدث،وتناولته في العديد من الافتتاحيات والمقالات الاخبارية، حيث أرجعت أسبابه وخلفياته إلى تهاون الجنرال ديغول، وعدم حزمه في كبح جماح المنظمات الاستعماريةالمتطرفة ، التي ما استنجدت به إلا لاستخدامه في تنفيذ أجنداتها وسياساتها العنصرية المختلفة. كما علّلت تريثه في عدم تطبيق المشروع الذي أعلن عنه، وهو مشروع تقرير المصير، بتخوفه من لجوء بعض عصابات المتمردين من المستوطنين والجيش إلى

مثل هذه المواقف،التي قد تطيح بنظام حكمه، وتشكل تهديدا كبيرا لأمن ووحدة واستقرار بلاده.[33]

ثم تساءلت الجريدة عن الموقف الذي سيتخذه ديغول إزاء هذا التمرد، الذي اعتبرته فرصة ثمينة وأخيرة، يمكن للجنرال ديغول من خلالها أن يقيم الدليل على صدق رغبته ونيته في الحفاظ على شرف فرنسا، وحفظ ماء وجهها، أو النيل منها بالرضوخ لمطالب المتمردين.[34]وهو الاحتمال الذي تجسّد فعلا بعد توجيه ديغول دعوة إلى قادة الحركة التمردية بتسليم أنفسهم، والوقوف إلى جانبه للقضاء على الثورة الجزائرية، حيث اعتبرت الجريدة هذه الدعوة تحريضا، أراد من خلاله ديغول لم شتات فرنسا على حساب مصير الجزائريين فقالت: « وحدة فرنسا...عظمة فرنسا... للجنرال ديغول أن يؤنب المتمردين من أجلهما، وأن يأمر الجيش بإرجاع الأمن إلى نصابه في سبيلهما، وأن ينادي البلاد إلى مساندته لصالحهما، فهذا حقه وهذه مهمته كرئيس دولة مسؤول عن مصيرها، وكل عاقل لا يسعه إلا أن يتمنى له التوفيق في لم شتات أمته. أما أن يقتصر الجنرال ديغول على توقيف تيار التمرد، بدون أن يقضي على أسبابه العميقة الحقيقية، وأن يستصرخ المتمردين ليقفوا إلى جانبه صفا واحدا، حتى يأتي على الثورة الجزائرية، فذلك ما نشهّر به، لأن وحدة فرنسا وعظمتها لن تنبنيان على أنقاض ثورة شعب كامل...إنّه محض غلط أن يعتقد رئيس جمهورية فرنسا أن وحدتها وعظمتها في مقاومة التمرد فقط...»[35]

كما برز اهتمام الجريدة موضوع الدراسة بمحاولة انقلاب عسكري آخر، قاده بعض ضباط وجنرالات الجيش الفرنسي ضد نظام حكم الجنرال ديغول في 22 أفريل 1961 وفي مقدمتهم الجنرال شال *Challe*وجوهو *Jouhaud* وسلان *salan*، حيث تتبّعت الجريدةتفاصيل وحيثيات هذا الانقلاب هو الآخر على مختلف الأصعدة والجوانب، ففي تحديدها لأسبابهوالدوافع التي أدت إليه،[36] أكّدت الجريدة بأن محاولة الانقلاب جاءت كرد فعل على عدم خضوع الحكومة الفرنسية وعلى رأسها الجنرال ديغول للمستوطنين الفرنسيين،

في جهودهم الرامية للإبقاء على الجزائر فرنسية، وعدم مجاراتهم في مطالبهم الرافضة لأي حل سياسي للقضية الجزائرية، من شأنه أن يهدد مصالحهم ومصيرهم بالجزائر، وذلك بعد إعطاء ديغول الأوامر لحكومته باستئناف المفاوضات مع قادة الثورة. كما أشارت الجريدة في ذات السياق إلى أن معظم الأزمات السياسية التي شهدتها فرنسا نتيجة الثورة الجزائرية، كانت تظهر وتشتد، كلما اشتد عزم الحكومات الفرنسية على الامتثال للأمر الواقع، والدخول في مفاوضات جدية مع قادة الثورة الجزائرية.

وفي مقال آخر عبرت الجريدة عن قلقها الشديد من تداعيات هذا التوتر والاحتقان في العلاقة بين ديغول والجيش الاستعماري، الذي أصبح يهدد فرنسا بحرب أهلية، ويشكل خطرا على السلم المنتظر في الجزائر.[37] كما حذّرت من انعكاسات هذه الأحداث على سير المفاوضات الجزائرية الفرنسية المرتقبة[38] والتي ما ظهر الانقلاب– حسبها– إلا ليعبر عن رفض أصحابه لها، وسعيهم للحيلولة دون استئنافها.[39]

وفي متابعتها لمصير هذا التمرد، أظهرت الجريدة إعجابها الكبير بالشدة والحزم اللذين أظهرهما الجنرال ديغول فيما بعد في التعامل مع حركة التمرد، كما رحبت بمواقف التأييد التي أظهرها الشعب الفرنسي للجنرال ديغول في مواجهته لهذه الحركة، وأشادت بالانتصار الكبير الذي حقّقه ديغول من خلالها في فرض احترام مؤسسات الدولة، والخضوع لتعليمات أجهزتها الشرعية، رغم الخطر الذي كان يحدوه في القيام بذلك، حيث قالت فيهذا المضمار:«... لقد انهارت حركة التمرد انهيارا سريعا وكاملا، وخرج الجنرال ديغول من هذه الأزمة التي مسّت كبرياءه أقوى عمليا مما كان من قبل، من حيث امتداد نفوذه وعمقه، فقد حظي خلال الأيام المنصرمة بتأييد يكاد يكون جماعيا في فرنسا وخارج فرنسا، فاستطاع بفضل ذلك التأييد، وبفضل الحزم الذي أظهره في خنق حركة الثورة الاستعمارية، أن يجعل الاستعماريين يبرزون في مظهرهم الحقيقي... مظهر كمشة صغيرة من الاستعماريين الفاشستيين، الذين لم يتعلموا شيئا

من تجارب التاريخ، ولم يقتنعوا يوما بالمبادئ الديمقراطية، سواء بالنسبة للشعوب المستعمرة أو بالنسبة لشعبهم نفسه...»[40]

ثم دعت الجريدة الحكومة الفرنسية بعد قضائها على حركة التمرد هاته، إلى ضرورة اجتثاث الأسباب الحقيقية والعميقة، لمثل هذه الأزمات المتكررة، التي أصبحت تهدد أمن واستقرار فرنسا، وإلا فببقاء هذه الأسباب ستظل تلك الحركات باقية، وستظل جهود الحكومات الفرنسية منكبة ومنصبة على اخمادها كلما ظهرت، وقطع دابر المتسببين في هاته الأزمات لن يكون حسب رأي الجريدة، إلا بإسراع فرنسا في وضع حد للحرب الدائرة في الجزائر، وذلك بالدخول في مفاوضات جدية مع الحكومة الجزائرية المؤقتة للوصول إلى حلول جذرية تنهي المشكل الجزائري.[41]

خاتمة :

تجاوبت صحيفة "العمل" التونسية بحماس شديد مع مختلف الأحداث والتطورات التي شهدتها السياسة الديغوليةللقضاء على الثورة التحريرية الجزائرية، متخذة إزاءها مواقف متباينة، فبالنسبة لانقلاب 13 ماي 1958 الذي اعتلى على اثره الجنرال ديغولالحكم استنكرته الجريدة وندّدت به، واعتبرته محاولة أراد من خلالها غلاة المستوطنين الاستنجاد بديغول لإعانتهم على الاستمرار في تجسيد وتكريس مشروعهم الاستعماري في الجزائر.
كما استنكرت الجريدة بشدة سياسة الإدماج التي باشرها ديغول بعد توليه السلطة، كعرضه لمشروعي قسنطينة وسلم الشجعان، وتنظيمه لاستفتاء 28 سبتمبر1958، حيث لم ترى الجريدة في هذه السياسة جديدا يذكر مقارنة بسياسة الحكومات السابقة.كما تفاعلت مع المشروع الذي لجأ إليه بعد فشل مخططاته العسكرية في حل القضية الجزائرية، وهو اعترافه بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، حيث رأت في هذا المشروع خطوة جريئة أقدم عليها ديغول، رغم إدراكه لما سوف تثيره من ردود أفعال قوية في أوساط التيارات المنادية بفرنسة الجزائر، وفي

هذا الإطار أشادت الجريدة بالشدة والحزم اللذين أظهرهما الجنرال ديغول في قمع بعض الحركات التمردية التي ظهرت ضده من طرف هذه التيارات، التي حاولت إفشال مساعيه في منح الشعب الجزائري حق اختيار مصيره بنفسه، كما اعترفت له بصدق نيته في محاولة حل القضية الجزائرية حلا سلميا عادلا، رغم العراقيل والتحديات التي كانت تحدوه في سعيه إلى ذلك.

قائمةالمراجع:

1 – المؤلفات:

– بوعلام بن حمودة، **الثورة الجزائرية – ثورة أول نومبر 1954–...معالمها الأساسية**، دار النعمان للطباعة والنشر ، د ط ، دت ، د م ن.

– بسام العسلي، **الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة**، دار النفائس، بيروت، د ط،2010.

– عبد الوهاب الكيالي ،**الموسوعة السياسية** ، ج 4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ت.

– عمر بن قفصية، **أضواء على تاريخ الصحافة التونسية (1860–1870)**، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس ، د ط ، د ت .

2 – المقالات :

– " **مع الأيام** "، العمل، العدد 794،(14 ماي 1958).

– "**حركة التمرد تنتشر في الجزائر**"، العمل، العدد 795، (15 ماي 1958).

– " **محمد مزالي، انتفاضة اليأس**"، العمل، العدد 796، (16 ماي 1958).

– " **ديغول يستجيب لنداء المتمردين بالجزائر**"، العمل، العدد796،(16 ماي 1958).

– " **ديغول يؤكد حسسنا ما فعل الجيش**"، العمل، العدد 799، (20 ماي 1958).

–" **تولي ديغول يثير في الغرب ارتياحا ممتزجا بالقلق**"، العمل، العدد809، (31 ماي 1958).

- **مزالي محمد، " الجنرال ديغول"**، العمل، العدد 809، (31 ماي 1958).

- **"جبهة التحرير الوطني تصرح: ديغول يوصد الأبواب في وجه جميع الإمكانيات لحل القضية الجزائرية "**، العمل العدد814، (06 جوان 1958).

- **"هل وافق الغرب على سياسة الإدماج الديغولية "**، العمل، العدد 815،(07 جوان 1958).

- **" مأساة فرنسا "**، العمل، العدد 912، (30 سبتمبر1958).

- **" الاستفتاء ...هذه المهزلة "**،العمل، العدد 912،(30 سبتمبر 1958).

- **" اتصال لماذا؟ "**، العمل، العدد934، (25 أكتوبر1958).

- **"مع الأيام"**، العمل، العدد935،(26 أكتوبر1958).
- **" صخب الرجعيين متواصل"**، العمل، العدد1211، (18سبتمبر 1959)..
- **"مع الأيام"**، العمل، العدد1215،(22 سبتمبر 1959).
[1]–**"الحكومة المؤقتة تعلن استعدادها للشروع في المحادثات"**، العمل، العدد1221،(29 سبتمبر– 1959).
- **" طريق السلم مفتوحة "**، العمل، العدد1221، (29 سبتمبر1959).
- **" التناقض لن يجدي نفعا "**، العمل، العدد1324،(27 جانفي1960).

- **" الجزائر ليست فرنسا ولا الجزائريون فرنسيون"**، العمل، العدد1326، (29 جانفي1960).
- **"وحدة وعظمة على حساب الثورة"**، العمل، العدد1327، (30 جانفي1960)

- **" مع الأيام"**، العمل، العدد1541، (06 أكتوبر1960).
- **" أخطار محدقة بشمال إفريقيا "**، العمل، العدد1711، (25 أفريل1961).
- **" الدرس الأساسي"**، العمل، العدد1714،(27 أفريل1961).
- مصطفى بوطمين، **"حركة انقلاب الجنرال شال"، مجلة أول نوفمبر**، العدد86، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1987.

– علي عليلات،"**أضواء على سياسة ديغول اتجاه الثورة الجزائرية**"، **مجلة أول نوفمبر**، العددان 118-119، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين ،الجزائر، 1990.
– يوسف يعلاوي، "**استفتاء وانتخابات 1958**"، **مجلة أول نوفمبر**، العددان 118- 119، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1990.

الهوامش :

[1] – وعلى رأسهم الجنرال راؤول سالان قائد أركان الجيش وجاك ماسو قائد فرقة المظليين .

[2]– من أبرز الشخصيات الفرنسية في القرن العشرين، ولد سنة 1880، شارك في الحرب العالمية الأولى (1914-1918) والثانية (1939-1945)، تدّرج في الرتب العسكرية إلى أن بلغ رتبة جنرال، قاد من لندن لجنة تحرير فرنسا بعد سقوط هذه الأخيرة في يد الألمان سنة 1940، تولى تأسيس ورئاسة الجمهورية الفرنسية الرابعة، انسحب من الساحة السياسية الفرنسية سنة 1946، ولم يظهر إلا في 1958، حيث جيء به إلى الحكم على إثر انقلاب 13 ماي1958، فشكل الجمهورية الفرنسية الخامسة، وحكم فرنسا إلى غاية 1969. أنظر: عبد الوهاب الكيالي ، **الموسوعة السياسية** ، ج 4 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ت ن، ص ص 732 – 733 .

[3]– صحيفة يومية وطنية، سياسية، جامعة ، لسان حال الحزب الحر الدستوري التونسي، لصاحبها الحبيب بورقيبة، صدر أول أعدادها في غرة جوان 1934.،كانت محل مراقبة شديدة من طرف إدارة الحماية الفرنسية، ونظرا لمواقفها الجريئة في محاولة فضح و تعرية السياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس، تعرضت "العمل" للتعطيل من طرف الإدارة الفرنسية في 7 أفريل 1938، ولم تستأنف نشاطها إلا في 25 أكتوبر 1955، حيث واصلت صدورها كصحيفة يومية إلى أن توقفت عن الصدور سنة 1988. أنظر :عمر بن قفصية، **أضواء على تاريخ الصحافة التونسية (1860-1870)** ، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس ، د ت،د ط، ص 213.

[4]– ويقصد بذلك الاتصالات السرية التي أجرتها حكومتي غي مولي وبورجيسموني مع بعض قادة جبهة التحرير الوطني، وقبولهما بمبدأ حل القضية الجزائرية عن طريق التفاوض، نتيجة الضغط العسكري المتزايد للثورة التحريرية.

[5] – " **محمد مزالي، انتفاضة اليأس**"، العمل، العدد 796، (16 ماي 1958)، ص04.

[6] – **نفسه** .

[7]– " **مع الأيام** "، العمل، العدد 794،(14 ماي 1958)، ص 01.

[8]– "**حركة التمرد تنتشر في الجزائر**"، العمل، العدد 795، (15 ماي 1958)، ص01

[9]– " **ديغول يؤكد حسسنا ما فعل الجيش**"، العمل، العدد 799، (20 ماي 1958)، ص02.

[10]– " **ديغول يستجيب لنداء المتمردين بالجزائر**"، العمل، العدد796،(16 ماي 1958)، ص 01.

[11]– نفسه .

[12]–" **تولي ديغول يثير في الغرب ارتياحا ممتزجا بالقلق**"، العمل، العدد809، (31 ماي 1958)، ص01.

[13]– **مزالي محمد**، " **الجنرال ديغول**"، العمل، العدد 809، (31 ماي 1958)، ص 06.

[14] – مصطفى بوطمين، "**حركة انقلاب الجنرال شال**"، **مجلة أول نوفمبر**، العدد86، 1987، ص22- 23.

[15]– مشروع اقتصادي اجتماعي اغرائي جاء به ديغول للقضاء على الثورة في أكتوبر 1958، يهدف المشروع في ظاهره إلى تحسين الأوضاع المعيشية للجزائريين، بينما هدفه الباطني الحقيقي هو محاولة ضرب الثورة التحريرية في الصميم بعزل الشعب الجزائري عنها، أعلن ديغول عن هذا المشروع بمدينة قسنطينة، حيث تضمن توفير مناصب شغل وتوزيع أراضي فلاحية وسكنات على الجزائريين، أنظر: علي عليلات، " **أضواء على سياسة ديغول اتجاه الثورة الجزائرية** "، **مجلة أول نوفمبر**، العددان 118–119، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين ،الجزائر، 1990، ص– ص 15–16.

[16]– بسام العسلي، **الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة**، دار النفائس، بيروت، د ط، 2010، ص ص 75–77.

[17]–"**هل وافق الغرب على سياسة الإدماج الديغولية** "، العمل، العدد 815،(07 جوان 1958)، ص 02.

[18]– "**جبهة التحرير الوطني تصرح: ديغول يوصد الأبواب في وجه جميع الإمكانيات لحل القضية الجزائرية** "، العمل العدد814، (06 جوان 1958)، ص ص 1–3.

[19]– يوسف يعلاوي، استفتاء وانتخابات 1958، **مجلة أول نوفمبر**، العددان 118– 119، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1990، ص31.

[20]– " **مأساة فرنسا** "، العمل، العدد 912، (30 سبتمبر1958)، ص 01.

[21]– " **الاستفتاء ...هذه المهزلة** "،العمل، العدد 912،(30 سبتمبر 1958)، ص ص 1–3.

[22]– " **مع الأيام**"، العمل، العدد1541، (06 أكتوبر1960)، ص 01.

[23]– بسام العسلي، مرجع سابق ، ص 76.

[24]– " **اتصال لماذا؟** "، العمل، العدد934، (25 أكتوبر1958)، ص04.

[25]– **نفسه**، ص01

[26]–"**مع الأيام**"، العمل، العدد935،(26 أكتوبر1958)، ص01.

[27]– " **صخب الرجعيين متواصل**"، العمل، العدد1211، (18سبتمبر 1959)، ص ص 1– 3.

[28]– "**مع الأيام**"، العمل، العدد1215،(22 سبتمبر 1959)، ص 01.

[29]–"**الحكومة المؤقتة تعلن استعدادها للشروع في المحادثات**"، العمل، العدد1221،(29 سبتمبر–1959)، ص 01.

[30]– " **طريق السلم مفتوحة** "، العمل، العدد1221، (29 سبتمبر1959)، ص 01.

[31]– **نفسه**.

[32]– بوعلام بن حمودة، **الثورة الجزائرية – ثورة أول نومبر 1954–... معالمها الأساسية**، دار النعمان للطباعة والنشر ، د ط ، دت ، د م ن، ص ص437–438.

[33]- " **التناقض لن يجدي نفعا** "، العمل، العدد1324،(27 جانفي1960)، ص ص 01-03.

[34]-"**الجزائر ليست فرنسا** "،العمل، العدد1326،(20 جانفي1960)،ص01.

[35]-"**وحدة وعظمة على حساب الثورة**"، العمل، العدد1327، 30 جانفي1960،صص 01-03.

[36]-مصطفى بوطمين،"**حركة انقلاب الجنرال شال** "، **مجلة أول نوفمبر**، العدد،86، 1987، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص ص 21-28.

[37]- " **أخطار محدقة بشمال إفريقيا** "، العمل، العدد1711، (25 أفريل1961)، ص 01 .

[38]-ويقصد بمحادثات إيفيان الأولى التي جرت في الفترة الممتدة ما بين (20 ماي– 13جوان) 1961.

[39] – " **أخطار محدقة بشمال إفريقيا** "، نفس المقال ، ص01.

[40]- " **الدرس الأساسي**"، العمل، العدد1714،(27 أفريل1961)، ص01.

[41]- **نفسه**، ص 06.

تاريخ صناعة المحروقات بمدينة سيدي قاسم خلال فترة الحماية الفرنسية وفجر الاستقلال بالمغرب

The history of the hydrocarbon industry in the city of Sidi Kacem during the period of the French protectorate and the dawn of independence in Morocco

محسن بووشن(*)[1]،
[1]جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب،
juba-1@live.fr

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة تاريخ القبول:30/06/2022

ملخص:

شكل الاستعمار منعطفا تاريخيا بالنسبة لأنماط الإنتاج الاقتصادي بالمغرب نتيجة لسعي القوى الاستعمارية الأوربية إلى استغلال خيرات ومقدرات المغرب لصالح آلتها الاقتصادية الرأسمالية، وفي هذا الإطار، كانت بداية نشأة مدينة سيدي قاسم خلال فترة الحماية قد استندت بالأساس على الاستغلال الاستعماري للإمكانيات الفلاحية التي تزخر بها تلك المنطقة، لكن اكتشاف الثروة البترولية بعدة مواقع رسم مسارا آخر موازيا لتطور هذه المدينة التي اختيرت لتكون مركزا مخصصا للصناعة التكريرية، وتصبح قطبا طاقيا يزود مختلف مناطق المغرب بحاجياته من مشتقات البترول والغاز الطبيعي، وشهدت من خلال ذلك تطورات سواء فيما يتعلق بالبنيات التحتية بمختلف أنواعها أو مستويات الإنتاج التي عرفت العديد من التقلبات، مما رفع من مكانة مدينة سيدي قاسم داخل النسيج الاقتصادي المغربي خلال فترة الحماية الفرنسية وما تلاها من سنوات الاستقلال.

الكلمات الدالة: سيدي قاسم– البترول– تنقيب – مصفاة تكرير – توزيع.

Abstract:

Colonialism constituted a historical turning point for the patterns of economic production in Morocco as a resultof the European colonial

(*)محسن بووشن: juba-1@live.fr

powers' endeavor to exploit Morocco's resources and capabilities for the benefit of its capitalist economic machine. However, the discovery of petroleum wealth in several locations charted another path parallel to the development of this city, which was chosen to be a center dedicated to the refining industry, and to become an energy pole that supplies the various regions of Morocco with its needs of oil and natural gas derivatives, and through this it witnessed developments, both with regard to infrastructure of various types or levels Production, which experienced many fluctuations, which raised the status of the city of SidiKacem within the Moroccan economic fabric during the period of the French protectorate and the subsequent years of independence.
Keywords: SidiKacem - Petroleum - Exploration - Refinery – Distribution.

____

1. مقدمة:

يزخر المغرب بالعديد من الثروات الطبيعية التي جذبت إليه الأطماع الامبريالية منذ القرن التاسع عشر، فإلى جانب الإمكانيات الفلاحية الكبيرة التي تتوفر عليها البلاد، والتي شكلت محور الأنشطة الاقتصادية بالبلاد والمجال الأول المستهدف بالاستغلال منذ بداية الحماية الفرنسية، لا يمكن إغفال أهمية الثروات الباطنية التي تخبئها الأراضي المغربية؛ سواء المعدنية منها أو الطاقية، والتي استأثر استغلالها باهتمام كبير من سلطات الحماية وسعت من أجل ذلك إلى توفير الإمكانيات المالية والتكنولوجية الممكنة للحصول على حاجياتها منها. من هذا المنطلق، جذب اكتشاف البترول في المغرب الأنظار إلى الاستثمار في قطاع المحروقات، لما مثله ذلك من أهمية كبيرة لتطوير بنية الاقتصاد والمجتمع المغربيين، نظرا لتنامي مكانة البترول في القطاع الصناعي وقطاع النقل على حساب الفحم الحجري، باعتبار البترول مصدر الطاقة الجديد الذي سيهيمن على القرن العشرين، وقد تجسد ذلك الاستثمار في المشاريع الصناعية المتعددة المرتبطة بتكرير وتخزين البترول والمنشآت المرتبطة بها، ونجد البعض من أهمها في مدينة سيدي قاسم (Petitjean). يهدف هذا المقال إلى تتبع تطور مجال صناعة المحروقات بمدينة سيدي قاسم خلال فترة الحماية الفرنسية على المغرب والسنوات التي تلت

الحصول على الاستقلال، وذلك من خلال استعراض أهم الاكتشافات التي تمت خلال عمليات التنقيب في منطقة الغرب ومقدمة جبال الريف، ومختلف المنشآت المشيدة لتطوير أساليب الاستغلال في مدينة سيدي قاسم، إضافة إلى مستويات الإنتاج التي حققها القطاع خلال الفترة المدروسة.

2. نشأة مدينة سيدي قاسم (Petitjean):

لقد تعرض المغرب خلال مطلع القرن العشرين للاحتلال الفرنسي مع فرض معاهدة الحماية سنة 1912م، في استمرار لمسلسل التوسع الامبريالي الأوربي في مختلف بقاع العالم عامة، والتوسع الفرنسي في شمال إفريقيا خاصة، والذي كانت الدوافع الاقتصادية محركه الأساسي، ممثلة بحث الدول الرأسمالية المتنافسة عن مصادر المواد الأولية التي تحتاجها صناعاتها المختلفة، وعن أسواق لتصريف منتجاتها واستثمار رؤوس الأموال المتراكمة لديها.

توالت الضغوطات الفرنسية على المغرب، اقتصاديا وسياسيا وعسكريا منذ القرن التاسع عشر، بهدف الاستيلاء على مقدرات البلاد وإحكام السيطرة على موارده الطبيعية والبشرية، وفي هذا الإطار انطلقت عمليات الاحتلال العسكري الفرنسي بشكل فعلي للمغرب سنة 1911م، حيث تذرعت فرنسا بالقضاء على التمردات التي قامت بها مجموعة من القبائل ضد السلطان عبد الحفيظ، ووجهت حملة عسكرية نحو العاصمة المغربية فاس، وقد اختار الفرنسيون مسار هذه الحملة بعناية، إذ قرروا المرور عبر سهل الغرب للوصول إلى العاصمة، وذلك نظرا لعدة أسباب أهمها:

–كونها أقرب منطقة تربط الساحل بالعاصمة فاس على مسافة 165 كيلومترا فقط.

–توفرها على ميناء هام (المهدية) وموقع عسكري (القصبة) يرتفع على البحر ب 60 مترا يمكن استغلاله كقاعدة عسكرية لتجميع الجنود والعتاد العسكري.

–توفرها على وادي سبو الصالح للملاحة يصل المحيط الأطلسي بفاس، إذ لا يبعد عنها سوى بستة كيلومترات شرقا، يمكن استغلاله لنقل الجنود والعتاد العسكري إلى العاصمة.

–كونها منطقة سهلية منبسطة تساعد على مواجهة مكشوفة لمقاومين محتملين للقوات الغازية وتضعف قدرتهم على المناورة مما يسهل عملية القضاء عليهم نظرا لتباين القدرات العسكرية بين الطرفين.

كان المعسكر الذي أنشأه الفرنسيون قرب زاوية الولي الصالح سيدي قاسم بوعسرية نواة لما سيصبح فيما بعد مدينة سيدي قاسم، والتي عرفت خلال الفترة الاستعمارية ببوتي جونPetitjeanاسم أطلقه الكولونيل غوروGouraudوفاء لروح القبطان Capitaine des tirailleursalgeriensPetitjean، الذي كان أول من بنى خيمة في المكان، والذي يبعد عن الزاوية بكيلومترين اثنين، لكنه سقط قتيلا في 19 ماي 1911م قرب القنيطرة، في مواجهة مع بني حسن، ودفن في قصبة مهدية.

صدر ظهير في 29 مارس 1916م بتحويل المعسكر إلى مكان قابل للبناء، ليصبح أول مكان يستقر فيه المستعمر في منطقة الغرب تحت الحماية الفرنسية، وفي سنة 1918م تم بناء أول تجزئة سكنية في سيدي قاسم أطلق عليها بوتي جون تكريما للقبطان المقتول، لكن بعد حصول المغرب على الاستقلال عام 1956م أعطت الحكومة المغربية أمرها بتغيير بعض أسماء المدن من الفرنسية إلى العربية، ومن ثم أصبحت تعرف بمدينة سيدي قاسم نسبة للولي الصالح سيدي قاسم بوعسرية.

بعدما استقرت الأوضاع للحماية الفرنسية بمنطقة الغرب، بدأت بتنفيذ مخططاتها الاستغلالية في هذه المنطقة الفلاحية الخصبة، فكان أول إجراءاتها هو الاستحواذ على أجود الأراضي الفلاحية، وتفويتها إلى معمريها على شكل ضيعات فلاحية كبرى، أغلبها بمحاذاة نهري سبو وورغة. هذا الاجراء الاستعماري أدى إلى تكديح الفلاحين الذين انتقلوا من فلاحين إلى مزارعين بدون أرض، مع هجرة عدد كبير منهم في اتجاه المدن أو أصبحوا كمأجورين أو مياومين في ضيعاتالمعمرين.

كان الاستغلال الفلاحي لمنطقة سيدي قاسم مسألة بديهية، نظرا لطبيعتها الجغرافية بتضاريسها السهلية ومناخها المعتدل، بالإضافة لمؤهلاتها المائية التي يوفرها حوض سبو، لكن الأمور أخذت كذلك منحى جديدا بعد ظهور اكتشاف غير مسبوق لثروة بترولية في المنطقة، رسم مسارا تنمويا جديدا لمدينة سيدي قاسم، ورسم ملامح تطور القطاع الصناعي بشكل مواز للقطاع الفلاحي.

3.تاريخالبحوثالنفطية

منذ ما قبل عام 1914م، تم اكتشاف تسرب النفط على حافة الريف وشرق سهل الغرب، مما أدى إلى اهتمام العديد من الشركات الخاصة بأبحاث النفط في المغرب من خلال القيام بالعديد من المسوحات في المنطقة، وقد أجريت هذه المسوحات بطريقة مجزأة[1].

تلخصت النتائج في بعض التأكيدات الإيجابية، فقد وجد في جبل سلفات اثنين من الحقول المتراكبة وغير المنتظمة، كشف أحدهاللرأي العام من خلال ثوران مفاجئ متبوع باندلاع النار، وتم التعرف على حقل صغير آخر في جبل بودراع، فوق بيتيجان، وآخرعلى حافة جبل أوطيطا، ليصبح المغرب بذلك أول منتج للبترول في القارة الإفريقية.

طرح استغلال هذه الحقول مشكلة مبدئية، فالاحتياطي المصرح به اعتبر ضعيفا، والعائد المتوقع تحصيله من الاستغلال لايبرر سوى إنشاء مصنع تكرير صغير جدًا بحيث لا يكون مكلفا، لكن بقي الأمل في إيجاد حقول أكبر من ذلك تبرر تجهيزات أقوى بكثير، وقد تم التفكير في تلك الفترة فيتصدير النفط الخام مؤقتا إلى مصافيبحيرة دي بير[2].

كانت هناك أيضا افتراضات بوجود البترول في منطقة الريف الجنوبي (سوق الأربعاء الغرب وتازة)، وعلى العموم فقد تم في عام 1929م استخراج 400 هكتوليتر من النفط الخام[3].

وتجدر الإشارة هنا بأن المغرب هو البلد الشمال الإفريقي حيث ولّدت أولى عمليات البحث عن النفط الأمل في اكتشاف احتياطيات مهمة هناك؛ هذا الأمل، الذي عززه لفترة من الزمن نجاح التنقيب الذي تم في بعض النقاط في منطقة سهول المحيط الأطلسي[4].

أدى اكتشاف الثروة البترولية بالمغرب إلى جذب أنظار المستثمرين الفرنسيين بشكل كبير، وهو ما برز من خلال تشكيل مجموعة من الرأسماليين الفرنسيين، في 26 يونيو 1918م، "شركة البحث والحفر" للتنقيب في مناطق معينة من المغرب وتونس، بلغ رأسمالها في البداية 150.000 فرنك فرنسي، ليصل حجمها إلى 7.500.000 فرنك سنة 1920م، كما شكلت شركة تابعة لها، برأسمال قدره 3 ملايين فرنك، أطلق عليها اسم **الشركة الشريفة للأبحاث والحفر**، والتي كانت تجري، بدعم من السلطات العسكرية، مسوحات من أجل الحصول على تصاريح تشغيل وامتيازات تغطي حوالي 90.000 هكتار في المغرب، وقد توصلت الأبحاث في جنوب الريف، في جبل سلفات خصوصا، إلى نتائج سريعة، ليبدأ الحفر هناك في 14 سبتمبر 1919، حيث وجد طبقة من النفط في عمق 90 متر في 7 نوفمبر.

مكّنت اختبارات الضخ من تقدير معدل التدفق البالغ 2500 لتر يوميًا من هذه الفرشة الأولى، ولم يكن ذلك سوى عملية بدء، لكنها كانت من الأكثر تشجيعا على مواصلة الدراسات الاستقصائية بمزيد من العمق[5].

لم تكن عمليات التنقيب تتم بسهولة، وهو ما يتضح من خلال الأرقام المنجزة خلال تلك الفترة الأولى، فمن 1919م إلى 1928م، تم حفر أقل من 5000 متر، بحيث أن ثلاثة آبار فقط هي التي وصلت أو تجاوزت عمق 300 متر. لقد تعب المنقبون بعد منافسة صعبة فيما بينهم، ففي الواقع، كان تشريع التعدين المغربي ينص على منح تصاريح استكشاف (تقتصر على أربعة كيلومترات لكل جانب) اعتمادا على أولوية الطلب البسيطة فقط، بحيث أثارت أدنى علامات النفط "سباقًا للحصول على تصاريح"، في مجال البحث الأكثر اكتظاظا[6].

عرف المغرب منذ دخول الحماية الفرنسية العديد من التحولات على مختلف الأصعدة، وشهد الجانب الاقتصادي تطورا واضحا بدخول الأنشطة الصناعية الحديثة إلى البلاد، وكذل الانتشار المتصاعد لوسائل النقل الحديثة، من سيارات وقطارات وغيرها، وكانت أعداد تلك المصانع ووسائل النقل، والتي تحتاج إلى المحروقات لكي تقوم بعملها، في تزايد مستمر، تتزايد معه حاجتها إلى تلك المحروقات، مما جعل اهتمام الدولة ينصب بشكل جدي على توفيرها بشكل يكفي حاجيات البلاد، وبذلك أصبح من الواضح أن البترول المكتشف يمثل قطاعا مهما بالنسبة للدولة، لذلك وقفت هيئة رسمية في أبريل 1929م، وهي B.R.M. "مكتب البحوث والتعدين القابضة"، وراء اندماج العديد من شركات الحفر، وقامت بالاتفاق مع المكتب الوطني للوقود السائل، ومع شركة النفط الفرنسية ومع مجموعة خاصة "Financo"، و-SociétéFinancière Franco Belge de colonisation، بإنشاء "الشركة الشريفة للبترول" SCP، والتي قدمت لها الدولة الفرنسية دعماً كبيرا.

تم بذلك إنشاء أقوى منظمة للتنقيب عن المواد الهيدروكربونية في البلدان الواقعة تحت حكم فرنسا، وقد سجلت اكتشافًا مهمًا في عام 1934: حقل بترول جبل سلفات في منطقة بيتيجان (سيدي قاسم الآن). استمرت الدراسات الاستقصائية والدراسات الجيولوجية بشكل متواصل، حيث تم

استخراج النفط من حقل عين حمرا ببودراع، والذي استنزف في فترة لاحقة، لكنه شكل دعما ثمينًا للمغرب خلال الحرب العالمية الثانية[7].

انطلاقا من هذه التطورات التي عرفها قطاع التنقيب عن البترول بالمنطقة، وبعدما كانت سيدي قاسم منطقة فلاحية بالدرجة الأولى، جاء دور البترول ليعطي للمدينة نفسا جديدا منذ 1930، بحيث أصبح البترول المحرك الرئيسي لنمو سيدي قاسم، بل ورمزا جديدا لهذه المدينة التي تم اختيارها لتكون مركزا لمصفاة وتكرير البترول لتزويد المغرب بالمحروقات. وهكذا تم سنة 1934 إحداث أول مصفاة تقليدية بالمدينة لبدء استغلال تلك الثروة الباطنية الثمينة[8].

استمر التنقيب بشكل متواصل، ففي بداية عام 1937، بلغت النفقات المخصصة لذلك 80 مليون فرنك، وتم تنفيذ حفر 160 بئرا، تمثل أكثر من 45000م، معظمها آبار صغيرةالأعماق، من مائة متر أو أقل، تهدف بالخصوص إلى الإجابة عن أسئلةتكتونية، ولكن تسعة عشر بئرًا منها يتراوح عمقها بين 500 و1000 متر، وتسع آبار وصلت إلى عمق 2000م، وثلاث أخرى منها وصلت إلى أكثر من 2000 م[9]، كما تم إحداث مصفاة تقليدية أخرى في سيدي قاسم سنة 1939م لتعزيز القدرة الإنتاجية[10].

لكن الآمال الكبيرة التي وضعت بشأن استخراج البترول في المغرب قد تضاءلت، بينما كان التنقيب في الجزائر يتطور منذ عام 1947م، فقد اكتشف بالفعل البترول والغاز في حوض الشليف، وكان يتم جمع حوالي عشرين ألف طن سنويًا في سيدي عيسى، بالقرب من أومالي (اكتشف عام 1949م)، وفي عام 1951، بلغ إجمالي الإنتاج الجزائري والمغربي 83000 طن[11].

تضاعفت عمليات التنقيب منذ عام 1947م، وامتدت على قطاع واسع يشكل قوسا بين سيدي قاسم ومكناس، كما تم تعويض المصفاتين التقليديتين في سيدي قاسم سنة 1949 بوحدة عصرية[12]، ولكن الانتاج ظل منخفضا حتى عام 1950، حيث بلغ بالكاد 40000 طن سنويًا. لكن الأمر عرف بعض التطور، فمن عام 1951م، كانت لدى الشركة الشريفة للبترول ألف تصريح بحثي يغطي منطقتي الغرب ومقدمة الريف، مقابل 497 تصريحًا في عام 1946م، كما استفادت من خدمة جيولوجية جيدة التنظيم، ومعدات مسح حديثة، وموظفين مؤهلين تأهيلا عاليا. نتيجة لذلك، فإن الاكتشافات المتتالية لجيوب النفط على حواف وادي بهت، في اتجاه

مصب القنيطرة، من حقول سيدي فيلي، بلاد الدوم، بلاد خطارة وزرارة، ثم حقل الحريشة، زادت الإنتاج تباعا من 75667 طن في عام 1951 إلى 118000 طن في عام 1954، وقد غطت الشركة الشريفة للبترول S.C.P. في عام 1954م كلا من الغرب ومقدمة جبال الريف تقريبا مع تصاريحها، وعمليات حفر بمعدل 100000 متر من الحفر سنويا.

كان لذلك المجهود التنقيبي نتائج مباشرة على كميات البترول المستخرجة، والتي شهدت نموا مطردا لعدة سنوات متتالية، فزاد إنتاج البترول الخام بسرعة من 1948م إلى 1954م، منتقلا من 13000 طن في 1948م، ثم 17500 طن في 1949م، إلى39000 طن في 1950م، إلى 75000 طن في 1951م، إلى 101000 طن في 1952م، إلى 102000 طن في 1953م، ليبلغ 118000 طن في عام 1954م[13].

كان إنتاج البترول الخام في ذلك التاريخ يمثل 15٪ من احتياجات المغرب، حيث تم تقديره بـ 700000 طن سنويًا؛ مثل إجمالي الاحتياطيات من الحقول الجديدة آنذاك حوالي مليوني طن من النفط، في حين تم استغلال حقول غاز الميثان الصغيرة، التي تم اكتشافها منذ عام 1952، في منطقة القنيطرة وسيدي قاسم. وعلى العموم، ظلت التوقعات والاحتياطيات المستقبلية متواضعة؛ علاوة على ذلك، كانت الرواسب تقع في مناطق تكتونية معقدة، في قطاعات مجزأة وصعبة الاستغلال.

سرعان ما أدى انخفاض إنتاج حقول بترول الغرب إلى انخفاض إنتاج البترول المغربي إلى أقل من 100 ألف طن: 92335 طن في عام 1960م، و80000 طن فقط في عام 1961م، بانخفاض 13٪ عن إنتاج 1954م. على العكس من ذلك، فإن هذا الانخفاض في الإنتاج كان مصحوبًا بنشاط استكشافي كبير قامت به الشركة الشريفة للبترول في الغرب ومقدمة الريف، على الجهة الشمالية من ظهر النسور، وقطاع حريشة ومنطقة القنيطرة للتعرف على محيط الحوض الطباشيري لسبو السفلي[14].

4 .التكرير والتوزيع:

لا يمكن الحديث عن إنتاج البترول بسيدي قاسم دون الاهتمام بالجانب التجهيزي المرتبط بهذا القطاع، فقد أدى تطوير الإنتاج إلى قيام الشركة الشريفة للبترول .S.C.P بتركيب وحدة

تقطير حديثة في سيدي قاسم في عام 1949م، بطاقة إنتاج سنوية تبلغ40000طن، كان من المفترض زيادتها إلى 250000 طن سنويا.

مكّنت التعديلات المتعاقبة على تلك الوحدة من تجاوز الاحتمالات الأولية وتطوير الإنتاج الذي أدى في عام 1952م إلى إنشاء منشآت جديدة،وتم الانتهاء من هذه الأخيرة في عام 1954م؛ كانت تلك المنشآت عبارة عن وحدة تكرير تستند إلى عملية حديثة للغاية، وهي "تكسير الحفاز" T.C.C. (تكسير الحفاز بالحرارة)، وكان يستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية في معالجة الهيدروكربونات. في الوقت نفسه، أنشأت الشركة مركز تعبئة غاز البوتان في سيدي قاسم، والذي بدأ يعمل منذ عام 1954م.

وصل إنتاج مصفاة سيدي قاسم إلى 101000 طن في عام 1952م و102000 طن في عام 1953م، وقد تم الحصول على هذه الزيادة، نظرًا لإغلاق موقع عين حارة، عن طريق تطوير رواسب بلاد الدوم وسيدي فيلي، وكذلك باكتشاف المجال الإنتاجي الجديد لبلاد الخطارة.

أما إنتاج الغاز الطبيعي، الذي بلغ 373042 متر مكعب عام 1952، فقد ارتفع إلى 4744532 متر مكعب عام 1953، وذلك بفضل تشغيل مسبار إضافي. تنفذ وحدة التكسير الحفاز، وهي الأولى في التشغيل في شمال إفريقيا، أحدث التطورات في تقنية التكرير بتوجيه من المتخصصين المدربين بشكل خاص من خلال التدريب في فرنسا والولايات المتحدة[15].

لم يكن النفط المعالج في سيدي قاسم مغربي المصدر في كلّيته، فقد كانت مصفاة سيدي قاسم تقوم بمعالجة البترول الخام الذي ينتج عن حقلي الغرب وسيدي غالم، ناهيك عما يتم استيراده من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وما يأتي من الكونغو والجزائر (حقل ادجيلة على الخصوص)، عبر ميناء الدار البيضاء حيث يتم تخزينه[16].

استمر الاهتمام بالثروة البترولية في المغرب بعد حصول البلاد على الاستقلال سنة 1956م، فتم العمل على تطوير الانتاج في مصفاة سيدي قاسم لسد الحاجيات المتزايدة للبلاد من تلك المنتجات الحيوية، فقد عالجت الشركة الشريفة للبترول في عام 1963م ما مجموعه 233975 طن من البترول الخام (مقارنة بـ 230454 طن في عام 1962)، 144379 طن من ذلك البترول من مصادر محلية؛ بينما 18180 طنًا من النفط السوفيتي،و71416 طنا من

زيت إدجيله بالجزائر. كما قام مركز البوتان باستخلاص وتصدير 11171 طنًا من البوتان إلى جميع أنحاء المملكة (أي 863974 قنينة) بدلاً من 9560 طنًا في عام 1962م (أي 740797 قنينة).

كان مجموع المنتجات المصنعة كما يلي في عام 1963: 13309207 طن من البوتان؛ 15383850 طن من البنزين الممتاز؛ 56778200 طن من البنزين السياحي؛ 22146900 طن من الكيروسين؛ 58317610 طن من زيت الديزل؛ 11009800 طن من زيت الوقود رقم 1؛37431700 طن من زيت الوقود رقم 2؛ 1233000 طن من الإسفلت. وقد زاد إنتاج الوقود الممتاز زيادة كبيرة منذ استلام النفط من ادجيله[17].

حظي تطوير المنشآت الإنتاجية بأهمية كبيرة خلال العي المتواصل للرفع من القدرات الإنتاجية لمصفاةالشركة الشريفة للبترولبسيدي قاسم ، لذلك تم خلال عام 1962م تحسين تجهيزات تلك المصفاة من خلال بناء خط كهرباء جديد بقدرة 22000 فولت بين الشبكة العامة (شبكة الكهرباء في المغرب) ومحطة طاقة المصفاة،بحيث تم استبدال الخط القديم الذي كان قد أصبح غير كاف،وتم تعديل نظام إمداد الطاقة الكهربائية بالكامل في سبتمبر 1962م، وقد قامت المصفاة بتزويد أفران محطة توليد الطاقة الخاصة بها بالغاز الطبيعي، المستخرج بالكامل من حقلهريشة[18].

كان المغرب منذ فجر الاستقلال مدعوا لتطوير اقتصاده، وقد شكل قطاع الطاقة أحد المحاور الأساسية لذلك، مما أعطى للإنتاج الذي توفره سيدي قاسم من تلك المواد أهمية كبيرة بالنسبة لباقي القطاعات الاقتصادية في مختلف مناطق البلاد، فكانت الشركة الشريفة للبترولتقوم بتزويد شمال وشرق المغرب بالمنتجات البترولية بواسطة العربات أو شاحنات صهريجية، وكانت توفر بشكل عام: 59٪ من احتياجات المغرب من البوتان، و35٪ من احتياجاته من البنزين السياحي، و18 ٪ من البنزين الممتاز[19]، وهو ما جعلها تحظى باهتمام متواصل من طرف الدولة، لما يشكله إنتاجها من أهمية كبيرة لسدالحاجيات المتزايدة لاقتصاد البلاد الصاعد.

4.خطوط الأنابيب

إن استغلال الآبار النفطية وكذلك تزويد المصفاة الموجودة بسيدي قاسم بالمادة الأولية كان يستلزم إنشاء تجهيزات لوجيستيكية خاصة، وتتمثل على الخصوص في خطوط الأنابيب التي تسمح بنقل البترول الخام من الآبار أو الموانئ نحو مدينة سيدي قاسم؛ ففيمواجهةإنتاج الحقولغيرالكافيةوالمستنزفة،واصلتالشركة الشريفة للبترول

تزويدالمصفاةعنطريقنقلالبترولالخامالمستوردعبرخطأنابيبقائمبالفعل،وتمبناءهذاالخطمنقبلالأمريكيينفيالخمسينات،و كانيهدفإلىتزويدالقاعدةالعسكرية التي تم إنشاؤها بمدينة سيديسليمان بحاجياتها من الوقود.حصلتعلىالشركة الشريفة للبترولفي عام 1965م على خط أنابيببحجم ثمانبوصات،والذي ربطميناءالدارالبيضاءبمدينة سيديسليمانوتم مدهبعد ذلك حتىسيديقاسم.كانخطالأنابيبهذا،الذي يمرفيالبدايةفيالمناطقالريفية،يمر بمناطقحضرية،ولاسيماحيرياضوأكدالبالرباط،ويعبرمدينتي سلاوالقنيطرة،مماكان يمثلمخاطركبيرةعلىالسكان في حالة وقوع أي حادث[20]. وقد وصلهذاالأنبوب البالغطوله 185 كيلومترإلى مرحلة التشبع فيعام 1980م،ممادفعالشركة الشريفة للبترول لاستخدامالعرباتلاستكمالنقلالنفط الخامبينسيديقاسموالمحمدية.

تمتشغيلأنبوبجديدبحجم 14 بوصةيربطهاتينالمدينتينفيعام 1997م،وهوقادرعلىنقلمايصلإلى 3 ملايينطنسنويًا. كانمشروعالتحديثالعامالذيتمإطلاقهلخطالأنابيبالجديدآمنًاونائيًاوبسعةكبيرة،وسمحبنقلآمنوغيرمكلفوقادرًاعلىتزوي دمنطقةالغربوالمناطقالشماليةبالمنتج.

شكل قطاع إنتاج البترول والغاز رافعة اقتصادية واجتماعية لمدينة سيدي قاسم، فنتيجة لإحداث تلك المحطات الإنتاجية المختلفة عرفت سيدي قاسم نموا ديمغرافيا سريعا وتطورا واضحا في الخدمات المختلفة، كما استقطبت المدينة موجة مهمة من الهجرة، وقد كانت الشركة الشريفة للبترول بسيدي قاسم توفر سنة 1979م مناصب شغل تقدر ب747 منصب، أي 61،4 في المئة من الشغل الصناعي بالمدينة[21].

لقد كانت الشركة الشريفة للبترول تلجأ إلى المساعدة التقنية من شركة بي آر بي إم، وإلى المتخصصين في "فرونتيجنان" و"لاك" لتدريب موظفيها. وفي عام 1964، قامت بزيادة عدد منشآتها، وتم إنشاء مركز لتعبئة غاز البوتان في طنجة، وتم بعدها إنشاء أخرى في آسفي وأكادير[22].

5. خاتمة:

لقد اكتسبت صناعة المحروقات أهمية كبيرة بالنسبة لاقتصاد مدينة سيدي قاسم خلال فترة الحماية الفرنسية، وساهمت في تحقيق المدينة لتطور في المجال الطاقي بشكل غير مسبوق في البلاد، واستمرت مصفاة الشركة الشريفة للبترول بسيدي قاسم في لعب دور المزود للاقتصاد المغربي بنسبة هامة من احتياجاته الطاقية بعد الاستقلال، حتى بعد إنشاء محطة لاسمير بمدينة المحمدية، والتي

انطلق فيها العمل سنة 1962م. لعبت تلك الصناعة دورا كبيرا كذلك في رسم المعالم السكانية بالمدينة، والتي أصبح الطبقة العمالية المشتغلة في الصناعة التكريرية تشكل نسبة مهمة منها، مانحة للمدينة طابعا ديمغرافيا مميزا. لكن تلك المصفاة الرائدة في المغرب عرفت بعد ذلك العديد من التحديات والظروف التي أسفرت عن إيقاف النشاط التكريري بها سنة 2001م، لتتحول إلى مخزن للمنتجات النفطية منذ ذلك التاريخ.

5. قائمة المراجع:

- الصمدي التهامي، نماذج من مقاومة الشراردة للغزو الاستعماري الفرنسيوالدلالات التاريخية لمركز Petitjean، **مجلة الذاكرة الوطنية**، العدد 30،المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،2017.
- قلعي عومار، أحداث شارع الرباط(غشت 1954) بسيدي قاسم من خلال جريدة السعادة، **مجلة الذاكرة الوطنية**، العدد 30،المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،2017.
- الغزوي أحمد، الاستعمار والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية بالوسط القروي لإقليم سيدي قاسم، **مجلة الذاكرة الوطنية**، العدد 30،المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،2017.
- امويهيأسماء، إعداد التراب والتنمية المحلية بجهة الغرب–الشراردة –بني حسن: مقاربة خرائطية، **أطروحة دكتوراه في الجغرافيا**، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 2013-2014.

- Beaujeu-Garnier Jacqueline, La France et le pétrole, **L'information géographique**, volume 16, n°2, 1952.
- Bouquerel Jacqueline, Le pétrole au Maroc, **Cahiers d'outre-mer**, N° 73 - 19e année, Janvier-mars 1966.
- Bunle Henri, Le Maroc économique, **Journal de la société statistique de Paris**, Tome 72 ,1931.
- Cadoux Gaston, Nos richesses latentes en carburants, **Journal de la société statistique de Paris**, tome 61, 1920.
- Célérier Jean, Les recherches de pétrole au Maroc, **Annales de Géographie**, T. 46, n°263, 1937.
- L'Economiste, Construction d'un pipeline : La SCP modernise son activité de raffinage, Edition N°:194 Le 07/09/1995.
- Le Monde, M. Lacoste visite une usine de raffinage de pétrole unique en Afrique du nord, Publié le 08 novembre 1954.

7. هوامش:

[1]Bouquerel Jacqueline, Le pétrole au Maroc, **Cahiers d'outre-mer**, N° 73 - 19e année, Janvier-mars 1966, p. 73.
[2]Célérier Jean, Les recherches de pétrole au Maroc, **Annales de Géographie**, T. 46, n°263, 1937,p. 544.
[3]Bunle Henri, Le Maroc économique, **Journal de la société statistique de Paris**, Tome 72 ,1931, p. 326.
[4]Bouquerel Jacqueline, op.cit, p. 73.

[5]Cadoux Gaston, Nos richesses latentes en carburants, **Journal de la société statistique de Paris**, tome 61, 1920, p. 106.
[6]Bouquerel Jacqueline, op.cit, p. 73.
[7]Ibidem.

[8]امويهيأسماء، **إعداد التراب والتنمية المحلية بجهة الغرب–الشراردة – بني حسن: مقاربة خرائطية**، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 2013-2014، ص. 270.

[9]Célérier Jean, op.cit, p. 544.

[10]امويهيأسماء، نفس المرجع، ص. 270.

[11] Beaujeu-Garnier Jacqueline, La France et le pétrole,**L'information géographique**, volume 16, n°2, 1952,p. 66.

[12]امويهيأسماء، نفس المرجع، ص. 270.

[13]Bouquerel Jacqueline, op.cit,p. 74.
[14]Ibid,p. 75.
[15]Le MONDE, M. Lacostevisite une usinede raffinage de pétroleunique en Afriquedu nord, Publié le 08 novembre 1954.
[16]Bouquerel Jacqueline, op.cit,p. 77.
[17]Bouquerel Jacqueline, op.cit,p. 78.
[18]Ibid, p. 79.
[19]Ibidem.
[20]L'Economiste, **Construction d'un pipeline : La SCP modernise son activité de raffinage,** Edition N°:194 Le 07/09/1995.

[21]امويهيأسماء، مرجع سابق، ص. 270.

[22]Bouquerel Jacqueline,op.cit,p. 79.

من مصادر التاريخ الموريتاني القديم

Some sources of ancient Mauritanian history

محمد سالم محمدن مختار السالم (Salem Mohameden Moukhtar Salem Mohamed)

– عضو وحدة بحث: الآثار والتراث، جامعة نواكشوط العصرية

الإيميل: med.salem1992mohameden@gmail.com

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة تاريخ القبول:30/06/2022

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بأنواع المصادر التي يمكن أن يستقى منها التاريخ الموريتاني القديم، مع توضيح أن كل صنف منها يمثل منبعا للعديد من المعطيات التاريخية المختلفة. وقد توصلنا من خلاله إلى أن المصادر المذكورة تشمل أركيولوجيا الفن الصخري والمعالم الجنائزية وبقايا العمران والآثار القديمة، إضافة إلى معطيات الأركيولوجيا المعدنية والبحرية ومختلف اللقى الأثرية المنقولة من خزف وبيض نعام وغيرها. وأن إشارات المصادر القديمة سواء كانت لاتينية أو رومانية تمثل باكورة المعطيات المكتوبة عن النطاق الصحراوي عموما وأن موريتانيا داخلة في عموم ذلك.

الكلمات الدالة: موريتانيا – مصادر – الفترة القديمة – تاريخ – أركيولوجيا

Abstract:

This research aims to identify the types of sources from which ancient Mauritanian history can be derived, while clarifying that

each type of them represents a source of many different historical data. For that, we concluded that the mentioned sources include the archeology of rock art, funerary monuments, urban remains, and ancient monuments, in addition to data on mineral and marine archeology and various archaeological finds transferred from pottery, ostrich eggs, and others. However, the references from ancient sources, whether Latin or Roman, represent the first written data about the desert area in general, which included Mauritania.

Keywords: Mauritania – Source - Ancient Period - History – Archeology

1- مقدّمة:

كثيرا ما تنعت الفترات القديمة بموريتانيا – كبقية المجالات الصحراوية - بفقرها وقَفْرِها في المعطيات المصدرية، وهي نعوت بها نسبة من الحقيقة، خصوصا حينما يتعلق الأمر بالوثائق المكتوبة، لكن قد نجانب الصواب إذا أطلقنا هذا الحكم في ظل وفرة وتنوع المصادر الأثرية، التي غدا الكثير منها اليوم معروفا، رغم نقص الدراسات في جوانب منه، ومع أننا لا ندعي شق طريق لم نسبق إليه، غير أننا لم نقف على دراسة اهتمت بالتعريف بالمصادر التي يمكن لدارسي تاريخ موريتانيا القديم الرجوع إليها، وهو ما جعلنا نسعى من خلال هذه الورقة إلى إنجاز ذلك. وسننطلق من فرضية أن هذه المصادر متنوعة وأن كلا

منها يمكن أن تدرس من خلاله معطيات تاريخية متعددة. وللوقوف على أبعاد الموضوع المختلفة سنعالجه منهجيا من خلال ثلاثة أركان، الأول متعلق بالمصادر ذات الصلة بالتراث المادي الثابت، أما الثاني فيهُم المصادر المادية المنقولة وأخيرا إشارات المصادر المكتوبة.

2- **مصادر التراث المادي الثابت**: وهي متنوعة وسنختصر منها على النماذج التالية:

1.2- أركيولوجيا الفن الصخري:

خلف الإنسان القديم بموريتانيا عشرات المواقع التي تضم آلاف الرسوم والنقوش الصخرية، التي تحتوي على العديد من الموضوعات التي يمكن أن يشكل كل منها مصدرا لدراسة جزء من تاريخ المنطقة قديما. وتكمن أهمية هذا الفن في سعة انتشاره جغرافيا، إذ يغطي أزيد من سبع ولايات [1]، كما أنه يمتد زمانا عبر عشرات القرون، إذ يبدأ حسب الدارسين من العصور الحجرية إلى بداية العهود التاريخية.

إن مواضيع هذا الفن تفيد في تتبع تاريخ الثروة الحيوانية بالمجال الموريتاني قديما، إذ تعكس لوحاته الصخرية مختلف الحيوانات التي عرفها هذا المجال، سواء المفترس منها أو المدجن أو الحيوانات التي تصلح للقنص [2] وغيرها، كما تبرز المشاهد الصخرية علاقة الإنسان بالحيوان ومجالات توظيفه له.

اللوحات الصخرية مصدر كذلك لمعرفة وسائل النقل التي اعتمد عليها الإنسان القديم، خصوصا العربات التي كانت تعد وسيلة نقل متطورة بمعايير المجتمعات القديمة، ومن خلال

هذه الأخيرة يمكن تتبع جوانب هامة من تاريخ الاقتصاد وطرق التبادلات التجارية بين سكان هذا المجال وغيرهم من الشعوب، وحتى تاريخ الحروب وبنية المجتمع.

يشهد الفن الصخري من جانب آخر على التحولات الحضارية التي عرفتها المنطقة، وخصوصا الانتقال من العصور الحجرية إلى عصر المعادن[3] ، إضافة إلى جوانب هامة من تاريخ اللباس والتزيين وحتى المعتقدات [4].

2.2- الأركيولوجيا الجنائزية:

يحتوي المجال الموريتاني على آلاف المعالم الجنائزية، التي تتخذ أشكالا مختلفة، بعضها على هيئة حفر بسيطة في الرمل، مغطاة أحيانا بألواح الحجارة، وفي أحايين أخرى تأخذ شكل أضرحة مختلفة الأنواع، على هيئة أكوام من الحجارة، إضافة إلى القبور ذات الجدران والغرف والملحقات [5] ورغم ضعف الدراسات المنجزة عنها، فإنها تبقى مصدرا ذا أهمية قصوى، يمكن أن يفيد في جوانب متعددة من التأريخ للفترات القديمة للمجال الموريتاني. وتكمن أهمية هذه المعالم في كونها تؤرخ لفترة زمنية طويلة، تبدأ على الأقل من العصر الحجري الحديث [6] مرورا بمراحل التاريخ المبكر وانتهاء بفترات ما قبل الإسلام[7]. ومن ضمن ما يمكن أن يستقى منها، نوعية المعتقدات التي كانت سائدة في تلك المراحل، إذ وجد في بعضها أثاث جنائزي متنوع ينبئ عن إيمان أصحابه بمعتقدات معينة، كما يعكس في جانب آخر مستوى من العلاقة بين الحلي ومعتقدات إنسان تلك الفترات، حيث يكشف عن مجموعة من الطقوس العقدية التي كان الحلي أداة فيها، فكثيرة هي القبور التي وُجد أن أصحابها يحملون قلادة من الخرز المصنوع من المحار أو بيض النعام والكوارتزيت، كما وجدت قبور بها قطع منفردة من الخرز،

وحتى قطع ذات أصل نحاسي في الفترات المتأخرة [8] وينبئ هذا التصرف عن وجود معتقد به حياة أخروية يمكن أن تكون الزينة مفيدة فيها.

كما نعتقد أن المعالم الجنائزية يمكن أن تفيد – إن تمت دراستها – في معرفة تاريخ التحولات البشرية التي شهدها النطاق الموريتاني إبان المراحل القديمة، ويعزز هذا الطرح النتائج التي توصلت إليها دراسات مماثلة في شمال النيجر، فقد بينت أنه منذ حوالي 4500 ق.م بدأت طرق جديدة في الدفن خلال العصر الحجري الحديث بالمجال الصحراوي السوداني، تتخذ أشكالا مختلفة من التيملوس (Tumulus)، ولا يستبعد أن يكون مصدرها من الشمال حيث المجموعات الأمازيغية بشمال إفريقيا. [9] وإذا انطلقنا من هذا المعطى الأخير في تحديد معالم انتشار المجموعات الجديدة بالمجال الصحراوي فإن المعطيات الجنائزية الخاصة بموريتانيا يصعب أن نؤكد أو ننفي من خلالها تطابق هذه الطرق في الدفن مع ما يوجد بموريتانيا، غير أن المعالم الكثيرة العدد المنتشرة بهذا المجال، يوافق جزئيا تأريخها بداية الوجود الأمازيغي في المنطقة، بل إن الدراسات تؤكد أن العديد من المباني الجنائزية "... وخاصة المبنية بعناية تعود إلى الفترة البربرية" [10] ولعل هذا ما جعلها تتركز مجاليا في المناطق الشمالية من موريتانيا [11] وتتخذ أشكالا وأنماطا شبيهة على الأقل بما لاحظناه في الجنوب المغربي، وهي معطيات مهمة يمكن تعميقها لفهم التحولات البشرية وتأثيرات مناطق الجوار على مجالنا خلال تلك المراحل.

3.2- بقايا آثار العمران البشري القديم:

قد يصعب استيعاب مصطلح العمران في مجال صحراوي، خصوصا خلال الفترات القديمة، وهو أمر متفهم، لكن ذلك لا ينفي عدم وجود بقايا عمرانية بهذه المجالات، فقد عثر بمنطقة

تيشيت على بقايا عشرات القرى[12]، متناثرة بمجال جغرافي معتبر، وقد اصطلح على تسميتها بـ"حضارة تيشيت"، وتنبع أهمية البقايا العمرانية لهذه الحضارة من كونها ترجع لآلاف السنين [13] فحسب نتائج التأريخات التي تمت عنها فإن بعض مواقعها يرجع إلى 3850 قبل الحاضر، وحتى أقربها زمنيا أرخ بـ 2170 ق.ح [14] وهي معطيات تؤشر لمستوى التراكم الحضاري الذي عرفته تلك المناطق، وهو ما يجعل منها مصدرا أساسيا لدراسة جوانب متعددة من التاريخ المحلي.

يمكن من خلال هذه التجمعات طرح العديد من الفرضيات المتعلقة بالأبعاد العسكرية والدفاعية لها، وهل شكلت بداية لوجود كيانات سياسية، وهي احتمالات لم يستبعدها بعض الدارسين، وتشهد لها الطبيعة العمرانية للقرى التي تم الكشف عنها، إذ تبدو بتحصينات متطورة، كما تضم أضرحة جماعية كبيرة، وعموم ثقافتها متجانسة، وعمر استقرارها زمنيا يناهز 2000 عام [15]. وإذا أضفنا إلى البقايا العمرانية لأصحاب تيشيت ما يزيد على مائتين وسبعين موقعا تم تصنيفها بنواحي مختلفة من ولاية تگانت لوحدها [16] فإنه يمكن أن يفيد ذلك في وضع العديد من الفرضيات الخاصة بالتاريخ السياسي والاجتماعي للمنطقة قديما.

3.2- آثار المواقع القديمة:

تتناثر بالمجال الموريتاني العديد من المواقع الأثرية التي ترجع لفترات زمنية مختلفة، وعموم ما تقدم ذكره من أركيولوجيا داخل بطبيعة الحال في عموم آثار المواقع القديمة، غير أن ما نقصده هنا، هو عدد من المواقع ذات الآثار المميزة، ويرجع جزء منها لأزمنة تعد هي الأقدم بالنسبة

للمجال الموريتاني، وحتى بعض آثارها غير قابل للنقل. ومن هذه المواقع الأزرق قرب ازويرات والبيض، وحمدون جنوب أطار [17] وكذلك موقع كدامة بجهة ولاته [18] وغيرها.

فهي مواقع ذات أهمية ذاتية، فلو تحدثنا عن موقع الأزرق والحمامي بتيرس زمور، فإن آثارهما يمكن أن تفيد في تتبع تاريخ الإنسان والحيوان، لأن كليهما توجد له بقايا قرب الموقعين. هذا زيادة على التأريخات المحتملة لهما، فقد قدر بعض الدارسين أن موقع الحمامي ربما يعود إلى 125000 قبل الحاضر، في حين تم تأريخ بعض الخطى البشرية بالأزرق بـ 9120 قبل الحاضر [19]. نعتقد أنه لو أضعت معطيات آثار هذه المناطق في سياقها التاريخي، فإننا سنكون حتما أمام مصدر مهم لتاريخ موريتانيا القديم، وستتعزز هذه الأهمية إذا أضفنا إلى آثار هذه المواقع ما تمدنا به بقية عناصر الأركيولوجيا خصوصا الفن الصخري والمعادن.

3- مصادر التراث المادي المنقول:

يشمل هذا الصنف من التراث عموم ما يمكن أن ينقل من مقتنيات وبقايا وغيرها مما يدخل في هذا الباب، غير أننا سنختصر في هذا السياق على بعض النماذج الدالة على أن هذا التراث ذو مكانة في مصادر تاريخ موريتانيا القديم، ومن ذلك:

1.3- الأركيولوجيا المعدنية:

عرف المجال الموريتاني خلال القرون السابقة للميلاد (حوالي 2800 قبل الحاضر) [20] بداية عصر معدني طغى عليه النحاس، وقد خلف أصحاب هذا العصر العديد من الشواهد الأركيولوجية لنشاطاتهم، وتفيد المؤشرات الخاصة بالبقايا النحاسية التي عثر عليها أن 75%

منها وجد قرب أكجوجت وبمنطقة أمطليش وآوكار الغربي وفي شمال انواكشوط، كما تم العثور على قطع متفرقة في بقية المجال الموريتاني كازويرات وشمال آدرار وظهر تيشيت–ولاته [21]. وزيادة على النحاس تفيدنا أركيولوجيا المعادن في معرفة موريتانيا لنشاط خاص بصهر الحديد، إذ كُشف عن العديد من أفران صهره بمناطق قرب ضفة نهر السنغال، ويرجح أن بعضه يرجع للقرون الميلادية الأولى [22]، وأوضحت التحريات الأثرية انتشار الأفران الخاصة بإنتاج الحديد في مناطق الضفة، خصوصا بين كيهيدي وبوكي، وتغطي هذه الآثار حقولا شاسعة تعد فيها الأفران بالآلاف، وقد بينت التجارب المحدودة التي قيم بها في كل من سيلا (قرب كيهيدي) وامبان على صنفين متفاوتي الحجم من الأفران، من الحصول على تأريخين بالكربون (C 14) أرجعا تشغيل الأفران الكبيرة إلى مابين 1050م و 1265م والصغيرة إلى مابين 1400 و 1525م [23].

تشكل الأركيولوجيا المعدنية المتحدث عنها مصدرا مهما لدراسة عدة جوانب من التاريخ الموريتاني القديم، ومن ذلك أنها تفيد في معرفة طبيعة التحولات الحضارية التي عرفها المجال الموريتاني، فإنتاج المعادن برهان على الانتقال من مرحلة العصور الحجرية إلى عصر المعادن، أي من الاعتماد الكلي على الأدوات ذات الأصل الحجري إلى أخرى معدنية، وهو ما يعني تطورا في المعدات والوسائل، الذي يؤشر ضرورة على التطور الايجابي في المعاش وسهولة الحياة.

كما أن التأريخ الزمني المبكر لإنتاج النحاس بموريتانيا ينبئ عن المكانة الحضارية لقاطني هذا المجال، خصوصا أن جل الدراسات تُرجع ظهور المعادن في جنوب الصحراء إلى أوائل الألف

الأول قبل الميلاد [24] وهو معطى إذا ما أضفنا إليه وجود لوحات معدنية بالمناطق الصحراوية الداخلية البعيدة من السواحل، نجد حجة كافية على أن معرفة استعمال المعادن بالمجال الصحراوي وشمال إفريقيا لم ترتبط في أصوله بالاحتكاك مع الأجانب الذين كانوا يرتادون هذه السواحل [25]. فمعطيات المعادن تعد إذا عنصرا أساسيا في إثبات وجود صناعات ذات بعد حضاري محلي، لاسيما إذا علمنا أن بعض مواقع غرب إفريقيا تعود المكتشفات المعدنية بها لما قبل التاريخ بكثير.[26]

من جانب أخر تشكل الأركيولوجيا المعدنية مصدرا أساسيا لدراسة جوانب من التاريخ الاقتصادي لموريتانيا قديما، وهنا يمكن أن نستشف أن إنتاج النحاس مثلا إذا كان مركزه في أگجوجت فإن خارطة انتشاره تفيد بوفرته، وأنه وصل أماكن بعيدة نسبيا من مركز الإنتاج، سواء في ضواحي انواكشوط أو حتى مناطق من تيرس وآدرار. ولا نستبعد أن تكون عمليات نقل المعادن هذه، هي السبب في استغلال قدماء السكان للأبقار أكثر من غيرها في جر العربات، إذ تعتبر هي الأنسب لذلك، حسب ما يظهر من مشاهد اللوحات الصخرية [27] ومما يشهد لهذا الرأي ربط بعض الدارسين بين وجود صناعة النحاس بالمجال الموريتاني، وبعض الطرق المحتملة للتجارة بين إفريقيا الغربية و شمال إفريقيا، وأرجع هذه الصلات إلى الألف الثاني والأول قبل الميلاد [28].

يمكن أن تقدم الأركيولوجيا المعدنية أيضا معطيات تفيد في تتبع تاريخ بعض وسائل النقل وخصوصا العربة، التي كانت تعد وسيلة نقل متطورة بمعايير المجتمعات القديمة، فربما طورها

وأضاف إليها عناصر بعد اكتشافه للمعادن، وهو احتمال ناقشه روبير فيريي قديما [29]، ويمكن تعميقه من خلال دراسات أخرى.

كما يمكن أن تفيد معطيات المعادن في فهم جوانب من تاريخ التزيين، إذ تعكس الآثار استفادة قدماء السكان الموريتانيين من المعادن في صناعة حليهم، إذ انضافت إليه عناصر ذات أصل معدني مثل الأقراط والخلاخل [30]. بل إن بعض الدارسين يذهب أبعد من ذلك فيربط بين بداية استغلال المعادن والحضور الأمازيغي بالمنطقة، أي أن المعادن يمكن أن تشكل مصدرا لدراسة تأريخ الهجرات التي عرفها المجال الموريتاني القديم.

ثقافة التعدين أيضا قد تشكل مصدرا أساسيا لدراسة عناصر الربط بين نهاية الفترات القديمة بموريتانيا وبداية الفترة الوسيطة، إذ تكشف الآثار الوسيطية عن معطيات تدل على سعة استغلال المعادن خلال تلك الفترة، فقد تمكنت البعثات الأثرية التي درست أطلال أودغست من تحديد ما اعتبرته حيا صناعيا [31] واعتمد الباحثون في ذلك على جملة من الأمور منها غزارة الآثار الصناعية وتنوعها وكذا العثور على مجموعة من الأفران وكثرة القطع المعدنية [32] كما أن المصادر الوسيطية تتحدث عن وفرة المعادن عموما بصحراء الملثمين [33]. وهي معطيات يمكن استغلالها في فهم العديد من الأبعاد الخاصة بانتقال سكان المجال الموريتاني من حقبة إلى أخرى.

2.3- الأركيولوجيا البحرية:

يمكن تقسيم مجالات الأركيولوجيا البحرية بموريتانيا إلى نطاقين أساسيين، أولهما النطاق المحاذي أو غير البعيد من السواحل الحالية، وهذا هو الأوسع انتشارا، أما ثاني نطاقاتها فهو أماكن البحيرات والممالح والمستنقعات التي اختفت خلال الفترات الزمنية الماضية. وتتمثل آثار هذه المجالات في أنواع المخلفات البحرية إضافة إلى بقايا معدات ووسائل الإنسان في الصيد، فما زالت الأكوام الهائلة لمحار أم الخلول، ومحار دوناكس المنتشرين على مسافة عشرات الكيلومترات، والتي يصل سمكها أحيانا إلى المتر [34] خير شاهد على طبيعة وكثافة هذه الأركيولوجيا.

هذا ويمكن اعتبار الآثار البحرية مصدرا أساسيا للعديد من جوانب التاريخ الموريتاني القديم، ومن ذلك أنها تؤشر على قدم علاقة عدد من سكان هذا المجال بالبحر في أقواتهم اليومية، ولعل في أكوام الصدف والمحار المكتشفة بكثبان الشاطئ التي كانت مسكونة، والممتدة أحيانا على عشرات الأمتار وعلى سمك يصل إلى خمسة أمتار [35] خير مثال على ذلك. بل إن الأثريين من خلال استقراء أكوام الحجارة والأصداف البحرية المتراكمة بمحاذاة الشواطئ أمكنهم التوصل إلى أنها تعود لمرحلة الجمع والالتقاط، وأن إنسان تلك المراحل (6000 ق.ح) كان يكتفي في قوته بما يستخرجه من المحار والأصداف [36]، وهو نفس المعطى الذي تؤشر إليه أنواع الخطاف والصنارة وغيرهما من وسائل الاصطياد التي عثر على بعضها قرب السواحل الحالية أو القديمة.

تشكل الأركيولوجيا البحرية أيضا مصدرا مهما يؤرخ لنواحي من علاقة الموريتانيين بالبحر، إذ تعكس قدم توطنهم قربه خصوصا منذ العصر الحجري الحديث، كما تظهر خارطة أماكن

الاصطياد القديم أن هذا النشاط كان يغطي الكثير من السواحل الموريتانية الحالية، وحتى بعض المواطن التي أضحت اليوم جافة [37] فمنذ 7000 سنة تمركزت خلال الفترة الرطبة مجموعات سكانية في ضفاف باطن تيشيت وسبخة شمشان وأم أروابه والأزرق، وكان من ضمن نشاطاتهم صيد المحار وبعض الأسماك والحيوانات المائية [38] هذا زيادة على مجموعات كثيرة عاشت على امتداد السواحل في ظل ظروف ملائمة أكثر من تلك التي كانت تعرفها المناطق الداخلية وظل هذا الوجود قرابة 5000 سنة [39]. ونعتقد أن دراسة معمقة للآثار البحرية يمكن أن تقلب الكثير من التصورات عن علاقة الموريتانيين بالبحر، خصوصا خلال الفترات القديمة، لاسيما في ظل التغيرات المناخية والجفاف الذي كانت الصحاري الموريتانية تعرفه، وكذلك علاقة مجموعات الصيادين التقليديين المتأخرين "إيمراگن" بأسلافهم من الصيادين الذين ما تزال شواهد نشاطهم متناثرة بكثرة على السواحل.

ومع كون البقايا البحرية تمدنا بقرائن تدل على اختفاء بحيرات ومستنقعات كانت ذات يوم مصدرا لمعيشة مجموعات بشرية واسعة، فإنه أمكن من خلال بعض عناصرها مثل الصدف، إضافة إلى بعض المواد الجيولوجية (صخور – تربة) الوصول إلى معطيات هامة عن تاريخ تطور مد وجزر الساحل الموريتاني، لدرجة أمكن للدارسين تصيف هذه الحركية إلى مراحل من الغمر والتراجع وذلك وفق الترتيب التالي [40]:

- الغمر التفريتي (150000-200000)
- التراجع الآكشاري (100000-150000)
- الغمر العيوجي (70000-100000)

- التراجع الأكركيري (40000-70000)
- الغمر الإنشيري (30000-40000)
- التراجع العقولي (20000)
- الغمر النواكشوطي (4000-6000)
- التراجع التفلي (2000-4000)

ولا شك أن عمليات الغمر والتراجع هذه كانت ذات تأثير على المجموعات البشرية القاطنة قرب السواحل الموريتانية، سواء من حيث تواجدها حذو الشواطئ أو في علاقتها بالمنتجات البحرية التي كانت ربما هي عصب غذائها.

وزيادة على ذلك تفيدنا الأركيولوجيا البحرية في دراسة جزء من تاريخ التزيين، إذ يظهر من خلالها أن مشتقات بحرية كانت أداة مهمة في هذا المجال، وخصوصا الصدف البحرية. ولعل من أبسط شواهد هذه الأهمية كون مجموعة "إيمراگن" ذات التقاليد العريقة في الصيد التقليدي، اشتق اسمها من خلال البقايا الأثرية على السواحل، وخصوصا "المحار"، إذ فسرت تسميتهم "إيمراگن" بـ الشخص الذي يلتقط المحار [41].

ومع ضعف الدراسات التاريخية التي تمت حول الأركيولوجيا البحرية، فإنها تبقى ذات أهمية كبرى، لاسيما وأن مواقعها تعطي تأريخات تعود لآلاف السنين، وبتدرج يفهم منه استمرار حضور قدماء السكان بهذا الساحل إذ نجد مثلا بقايا أركيولوجية بالواد الأبيض ترجع إلى (8000 ق.ح)، وفي كانصادو تعود إلى (4900-6700 ق.ح)، في حين ترجع

بالطينطان إلى (6390-2400 ق.ح)، وفي أم أرواب إلى (5940 ق.ح)، أما انواكشوط فتعود فيه إلى (5260-1800 ق.ح)، وفي تيشيت إلى (3830 ق.ح) [42]

تفيدنا إذا معطيات الأركيولوجيا البحرية في تاريخ الاقتصاد والمعيشة في أجزاء واسعة من المجال الموريتاني وكذلك في تاريخ التحول البشري، وحتى تاريخ التغيرات المناخية، ونعتقد أن أصحاب هذه الآثار يمكن أن يشكلوا مجالا للدراسة، خصوصا طرق تعاملهم مع البحر، هل كانوا يركبونه وما هي وسائلهم في ذلك، أم أن نشاطاتهم كانت تقتصر على الشاطئ فقط؟. وكذلك طبيعة علاقتهم بأصحاب الثقافات المحلية من منتجي الخزف قرب نواكشوط إلى عداني أكجوجت وغيرهم. وكذا طبيعة علاقتهم بالمجموعات القديمة التي عرفت بنشاطها التجاري عبر البحر خصوصا الفينيقيين والقرطاجيين، وهل المعطيات المذكورة عند الرحالة القدماء عن ساكنة السواحل الأطلنتية هم المقصودون بها؟

3.3- بيض النعام:

يعد بيض النعام من المخلفات ذات الحضور المعتبر بالمجال الموريتاني، ويكفي للدلالة على أهمته كجزء من مصادر التاريخ الموريتاني القديم، أن بعض الدارسين جعل من نوعية بيضه المنقوش الحد الجنوبي للصناعات ذات الأصل الإفريقي الشمالي التي ترجع للعصر الحجري الحديث [43] أي أنه من شواهد العلاقات التاريخية بين قدماء الموريتانيين ونظرائهم في شمال إفريقيا، وبنفس المنطق يمكن أن نفهم أن البيض غير منقوش، والذي وجد بكثرة جنوب خط 22 خصوصا في منطقة نواكشوط [44] قد يفيد في معرفة ثقافات محلية أو ذات تأثير سوداني.

إن انتشار بيض النعام في أجزاء متباعدة من المجال الموريتاني، خصوصا في تيرس زمور[45] وقرب السواحل البحرية لنواذيب وانواكشوط [46] يعد من مؤشرات سعة حضور النعام خلال الفترات القديمة، خصوصا أن الإنسان القديم رسمه على لوحاته الصخرية في أزيد من منطقة. ونحسب أن التكامل بين بيض النعام وبقية المصادر يمكن أن يفيد في فهم تاريخ النعام وعلاقة السكان به، خصوصا أنه كان يعد من حيوانات القنص الهامة، وكذلك في معرفة الوسط والظروف المناخية التي ساعدت في تكاثره خلال تلك الفترات.

من جانب آخر يعتبر بيض النعام مصدرا أساسيا في دراسة تاريخ الحلي والتزيين لدى المجتمع القديم بموريتانيا، إذ يعد من المواد التي أنتج منها حُليه بكثرة أثناء العصر الحجري الحديث، فقد كشفت المعطيات الأثرية عن ما يزيد على عشرة آلاف من الخرز المصنوع من بيض النعام، منتشرا في أغلب الساحل الموريتاني، وفي منطقة ازويرات وشمال آدرار[47] كما عثر على قلائد مصنوعة منه – مع غيره – بعدة مقابر[48]، ويمكن أن تفسر لنا حضور بيض النعام في المنظومة التزيينية المحلية، جوانب أخرى من هذه العلاقة، ونقصد هنا "ريش النعام" الذي وظفه القدماء بكثرة في زينتهم، وتوارثوا ذلك حتى أزمنة قريبة، بل كان من ضمن البضائع المتداولة بالمجال الموريتاني حتى فترة التواجد الأوربي بالسواحل الموريتانية بين القرن الرابع عشر و التاسع عشر ميلاديين [49].

وفوق ذلك يتبين من أشكال بيض النعام – ذو الحجم الكبير – أنه كان يستغل من لدن المجموعات المحلية، ربما في تخزين المياه أو بعض الحاجيات الأخرى، ونعتقد انطلاقا من نماذجه

التي وقفنا عليها بمتحف اتويزگت بأطار وفي المتحف الوطني بانواكشوط، أنه كان يصلح لبعض تلك المهام.

4.3- الفخار (الخزف):

تبين المعطيات الأثرية الموريتانية التي ترجع للعصر الحجري والفترة القديمة، أن إنسان تلك المراحل خلف إنتاجا معتبرا من الخزف، وتشهد لذلك آثار تيشيت[50] والطينطان [51] وادخينة شمال انواكشوط [52] وكانصادو بانواذيب [53] وعين النوص[54] وتن محم[55] وغيرها.

وللخزف الموريتاني عدة جوانب يمكن أن يدرس منها، فمن ناحية النوع مثلا، أنتج أصحاب ثقافة بوحديدة بانواكشوط خزفا لا مثيل له، لا من قبله ولا من بعده، وحسب ما يفهم من بعض الدراسات فإنه ابتكار محلي، إذ لا صلة له من حيث الشكل والزخرفة بخزف المجموعات الموجودة على الساحل الصحراوي[56] ولعلهم هم الذين أدخلوا المحار في صناعة الأواني الخزفية، إذ تقتصر آثار هذا النوع من الخزف على نواكشوط فقط [57]. من جانب آخر كان لبعض هذه الثقافات إنتاج كبير من الناحية الكمية، فقد عثر بمنطقة تن محم (1600-2000 ق.ح) لوحدها على آلاف الأواني الخزفية [58].

وزيادة على الأبعاد الجمالية للخزف، فإنه يمكننا انطلاقا منه معرفة العديد من المعطيات الخاصة بالفترات القديمة في موريتانيا، إذ يعتبر كل صنف منه مؤشرا ذا دلالة، وكذلك عناصره التزيينية تفيد في فهم العديد من الرموز والمعطيات الخاصة بالمجتمع المنفذ له، كما يعد من

مؤشرات تطور الصناعة المحلية، وحتى المستورد منه يفيد في فهم علاقات سكان المنطقة مع غيرهم من الشعوب.

يفيد الخزف كذلك في فهم التحولات التي عرفها العصر الحجري الحديث بموريتانيا، لأن إنتاجه واستعماله دليل على إمكانية الطهو وما يعنيه ذلك من توفر للأكل، كما يمكِّن من حفظ الماء وكل المواد الغذائية التي يمكن تخزينها، خصوصا أن من ضمن نماذجه أحجام كبيرة [59] وعملية التخزين ساهمت بدون شك في تحرر الإنسان حينها من الحاجة الدائمة إلى قنص الوحوش، والتغلب على قساوة الظروف المناخية، كما ينبئ عن تزايد النمو الديمغرافي ومستوى من الاستقرار ولو لم يكن ذلك بشكل دائم [60]. هذا فضلا عن كونه يعد من العناصر الأساسية للزينة [61] وبالتالي فهو ضروري في دراسة تاريخ الحلي والزينة.

ونظرا لامتداده الزماني الذي يغطي فترة تاريخية معتبرة، تزيد في بعض الأحيان على 4000 سنة قبل الحاضر [62] فإن الخزف يعد أيضا من المصادر المهمة في دراسة التحولات السكانية للمجال الموريتاني، وقد أمكن للبعض الاستدلال من خلال الأواني الخزفية ذات القاعدة المخروطية على الأصل الشمالي لمجموعات المنمين التي جابت المجال الموريتاني خلال الفترات القديمة [63] ونعتقد أنه من خلاله يمكن تصنيف مجموعات فرعية على مستوى الثقافات المحلية التي أنتجه.

و من خلال الخزف يمكن إيجاد عناصر ربط مهمة بين ثقافات القرون الأولى للميلاد، ونعني هنا ثقافة آفطوط الساحلي وتن محم وبوحديدة، والثقافات الوسيطية، خصوصا أن آثار هذه الأخيرة، للخزف فيها حضور معتبر بمختلف أحجامه وأشكاله [64]. وبنفس المنطق يمكن

للخزف أن يقدم معطيات مهمة عن العلاقة بين منتجي الخزف المحلي وسكان غرب إفريقيا، إذ تبين بعض الدراسات أن وسائل تزيين ونقش الخزف بهذه المجالات لا تخلو من تقارب أحيانا [65] وهو معطى يمكن أن يؤسس عليه إذا علمنا أن من الدارسين من جعل من بعض عناصر الخزف معيارا لمعرفة التحولات السكانية في مناطق معينة.[66]

5.3- اللقى الأثرية بمختلف أنواعها:

نقصد باللقى مجمل القطع الأثرية التي يمكن نقلها، والتي غالبا ما تنقل – بعد أخذ المعطيات الخاصة بالمكان الذي وجدت فيه – إلى المتاحف، وما يهمنا هنا هو تلك التي ترجع زمنيا للفترات القديمة، سواء تم العثور عليها منفردة أو مع غيرها، إذ تعتبر هذه اللقى مصدرا مهما لدراسة أزيد من وجه من أوجه التاريخ والحضارة القديمين، إذ باستطاعتنا أن نميز من خلال أنواعها بين أصناف الحضارات التي شهدها منطقة ما، تبعا لخصائص معينة، فمن خلالها أمكن التعرف على بقايا الحضارة الآشولية والمناطق التي انتشرت فيها، والتي غطت غالبا المناطق الحجرية، كما أمكن التمييز بين الأدوات الخاصة بكل حضارة، فمما ميز الفترة الآشولية تزايد العمل بتقنية الفالوا واستعمال القارع اللين، وتزايد استعمال نوعية من الآلات الجديدة كالمحك والقشارة والآلات المثلومة، وكذا حضور الفؤوس الحادة والرقيقة ذات الوجهين [67].

ومن خلال اللقى يمكن التعرف على حضور أو غياب نشاط ما من منطقة بعينها، فمثلا قد أمكن لبعض الدارسين من خلال كثرة الحراب الاستدلال على ممارسة القنص بمنطقة الأزرق في تيرس زمور، [68] ونفس الشيء بمنطقة تيشيت القديمة [69] وهكذا.

فالاستفادة إذا من اللقى الأثرية ترجع لطبيعة المكتشف منها، فبعضها يشكل مصدرا للتاريخ الاقتصادي وآخر للتاريخ الاجتماعي، وكذا أنماط المعيشة ووسائل وأدوات الإنسان في القنص والصيد والحرب وغيرها.

6.3- مقتنيات المتاحف:

نظرا لكون المتاحف هي مستودع ما يمكن نقله من الآثار، فإنها تعد مصدرا مهما لدراسة تاريخ الشعوب، من خلال ما تملك من إثباتات مادية متنوعة. وأهمها بالنسبة لسياقنا الموريتاني هو متحف نواكشوط، إضافة لبعض المتاحف الأهلية مثل متحف اتويزگت بأطار شمال موريتانيا، إذ يشتملان على الكثير من اللقى والأدوات التي ترجع لفترات ما قبل التاريخ والفترة القديمة، وهو ما يمكن أن يفيد دارسي تلك الحقب، إن وضعوه في سياقه التاريخي.

4- إشارات المصادر لكلاسيكية (الإغريقية واللاتينية):

تجدر الإشارة بداية إلى السبق الذي حققه إخوتنا في الشمال، في دراسة وترجمة العديد من هذه المصادر، وكذا غالبا تأويل جل ما يتعلق منها بالمجالات الصحراوية على أن المناطق القريبة من كل منهم هي المعنية به، إلا أن عمومية النصوص القديمة وعدم وجود حدود بين النطاقات الصحراوية في تلك الفترات، تجعل مثل تلك التأويلات تضيقا لواسع. وعلى العموم فإن هذه المصادر تتميز بمجموعة من الخصائص منها، أن أقدمها يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وتتسم معطياتها بالطابع الأسطوري، كما تجعل من المجالات الصحراوية وساكنتها بداية للعالم غير المعروف أو نهاية "للعالم المأهول". ومن ضمن هذه المصادر التي تكون في

الغالب على شكل سلسلة كتب، سنقتصر على ذكر العناوين التي تطرقت للمجال الصحراوي، بإشارات نعتقد أن موريتانيا قد تكون داخلة فيها، وهذه المصادر هي:

- التواريخ (Histoires) لصاحبه هيرودوت (Herodote)، خصوصا الكتاب الثاني[70] والرابع [71]
- الخزانة التاريخية (Bibliothèque Historique) لديودور الصقلي (Diodore de Sicile)، خصوصا الكتاب الأول[72] والعشرون [73]
- وصف اليونان (Discription de la Grèce) لمؤلفه بوزانياس (Pausanias)، خصوصا الكتاب الأول [74]
- التاريخ الطبيعي (Histoir Naturelle)، لصاحبه بلينيوس الشيخ (Pline l'ancien)، لاسيما الكتاب الخامس [75] والثامن [76]
- حرب يوغرطة (Guerre de Jugurtha) لمؤلفه سالوست (Salluste)، خصوصا الكتاب الثامن عشر [77]
- الحرب البونية (La guerre Punique) لصاحبه سيليوس الإيطالي (Silius Italicus) [78]
- الجغرافيا (Géographie)، لصاحبه اسطرابون (Stabon)، خصوصا الكتاب الثاني[79] والسابع عشر [80]
- كذلك نصوص بعض الرحلات، خصوصا رحلة سيلاكس المزعوم (Pseudo Scylax).[81]

إن إشارات أو أحاديث هذه المصادر عن المجال الصحراوي، شملت جوانب مختلفة تخص أحيانا طبيعة المجال ومناخه، وتارة السكان ونشاطاتهم، وكذا الحيوانات الموجودة بمجالهم، ودون الدخول في الكثير من التفاصيل الخاصة بذلك، سنضرب مثالا يعكس طبيعة المعطيات التي توفرها إشارات هذه المصادر، ففي تحديده مثلا لمجالات ليبيا يقول هيرودوت واصفا المجال الصحراوي، أنه باستثناء المناطق الواقعة جهة البحر والمناطق الساحلية، حيث يسكن البشر، فإن ليبيا مليئة بالحيوانات المتوحشة، وإذا اجتاز الإنسان هذه المنطقة، يمتد أمامه مجال رملي قاحل وذا قفر مطبق [82]، فالفضاء الصحراوي إذا يحيل في هذه الكتابات يحيل على معطيات ذات طابع أسطوري، تربطه بالحيوانات المفترسة والفضاءات الخالية من الحياة وأساسياتها.

5- الخاتمة:

بعد هذه الجولة بين مختلف العناصر التي نعتقد أنها تشكل لب مصادر التاريخ الموريتاني القديم، يمكن أن نخرج بعدد من الخلاصات العامة، وفي مقدمة ذلك التأكيد على تصدر الأركيولوجيا بمختلف جوانبها لتلك المصادر، وهو ما يجعل من العناية بها ودراستها أمرا لامناص منه، وفي مقابل ذلك نلاحظ ضعف المادة المكتوبة إذ تنحسر في بعض الإشارات التي تطبعها الأسطورية. يمكن القول كذلك أنه ثمة تكامل بين هذه المصادر مناطقيا، وهو ما يجب على الدارسين التنبه له، فلو نظرنا مثلا للفن الصخري كمصدر لوجدناه يغطي أزيد من نصف المجال الموريتاني، في حين أن الأركيولوجيا الجنائزية تتركز في الشمال، بينما جل

الأركيولوجيا المعدنية والبحرية والخزف في جهة السواحل والجنوب الغربي، في حين يغطي بيض النعام وبعض الآثار المنقولة بقية المناطق.

6- المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

- أحمد مولود أيده الهلال، " من تراث معارف الصيد التقليدي لدى إيمراكن"، مجلة الثقافة الموريتانية، فصلية تصدر عن وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان، العدد 1، 2020، ص ص 51-54.
- آمنة الشيخ بيده، الأخطار البيئية التي تهدد منطقة نواكشوط، رسالة مقدمة لنيل الماستر في الجغرافيا، جامعة انواكشوط العصرية، السنة الجامعية 2013-2014. (مرقونة)
- أوديت دي بويغودو، فنون وعادات البيضان، تعريب وتقديم أحمد البشير ضماني، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 2017.
- بشيري ولد محمد الولاتي، جغرافية موريتانيا، انواكشوط 1993.
- البكري أبي عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، منشورات دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت.
- بوبه ولد محمد نافع ومحمد ولد ختار وربير فيريني، موريتانيا القديمة: مختصر لإسهام الأبحاث الأركيولوجية، جامعة انواكشوط، 2000
- روبير فيريني وآخرون، "الأركيولوجيا في موريتانيا"، ضمن كتاب الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية الصحراء والساحل، ترجمة بوبه ولد محمد نافع، جامعة انواكشوط 2002.

- عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس أحد مظاهر علاقات المغرب القديم بشرقي إفريقيا وجنوبي شبه جزيرة العرب، الطبعة الأولى، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2002.
- م. بوسناسنكي، المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى في العصر الحديدي المبكر، تاريخ إفريقيا العام، المجلد II ،جونآفريك، اليونسكو،1985،ص ص 549-565.
- المحفوظ أسمهري، "أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته"، ضمن كتاب أضواء على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته أعمال مهداة للأستاذ مصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليمة غازي بن ميس والبيضاوية بلكامل، الطبعة الأولى 1428-2007، ص ص 159-181.
- محمد سالم محمدن، دور الفن الصخري في كتابة التاريخ القديم لموريتانيا "مقاربة اثنوأركيولوجية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة ابن طفيل –القنيطرة، السنة الدراسية 2021-2022. (مرقونة).
- محمد سالم محمدن، دور الفن الصخري في دراسة فترة ما قبيل التاريخ بموريتانيا، رسالة ماستر في التاريخ القديم، جامعة ابن طفيل القنيطرة- المملكة المغربية، العام الدراسي 2016-2017. (مرقونة).
- الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف ق2هـ 8م حتى نهاية ق 5هـ 11م، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007.

2- باللغة الفرنسية:

- Amblard, Sylvie. et Khattar, Mohamed., Nouveaux chars rupestres sur le Dhar Oualata (Mauritanie sud-orientale), Dossierset recherchessur l'Afrique, Meudon, 1993, p. 143-155.
- Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, Livre XX, Texte traduit par: F.Hoefer, Ed Hachette, Paris. 1865.
- Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, Tome I, Texte traduit par: F.HOEFER, Ed Hachette, Paris. 1912.
- Grébénart Danilo., "La métallurgie préhistorique d'Agadez (Niger)" , État des recherches, In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 92, N. 3, 1995, PP. 399-409.
- Herodote, Histoires, Livre II, Texte Traduit par: P.E.Legrand, les Belles-Leures, Paris, 1948.
- Herodote, Histoires, Livre IV, Tome : IV, Texte Traduit par : Larcher, Bochard, Wesseling, Casabon, Bellanger, Paris, 1888.
- Holl, Augustin., "Vues divergentes sur le néolithique du Dhar Tichitt", In: Journal des africanistes, tome 56, fascicule 1, 1986, PP. 4-20.
- Lara, C., "Nouvelles perspectives sur les Cañaris d'hier et d'aujourd'hui", In: Journal de la Société des américanistes , Vol. 104, No. 2, 2018, pp. 65-104.

- Livingstone Smith, A., "Histoire du décor a la roulette en Afrique subsaharienne", Journal of African Archaeology, Vol. 5, No. 2, 2007, pp. 189-216.
- Paris François., "Les sépultures du Sahara nigérien du Néolithique à l'islamisation", Paris, ORSTOM, vol : 1, 1996, PP. 304-315.
- Pausanias, Discription de la Grèce, Livre I, texte établi par Casevitz M. traduit par: Pouilloux J. et commenté par Chamoux F, Les belles Lettres, Paris, 1992.
- Pline l'ancien, Histoir Naturelle, Livre V, Texte établi et Traduit et Commenté par: J. Desanges,Les belles Lettres, Paris, 1980.
- Pline L'ancien, Histoir Naturelle, Livre VIII, Texte établi et Traduit par: A. Ernout, Les belles Lettres, Paris, 1952.
- Pseudo Scylax, Périple, in RoGet R., Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1994, pp. 18-20.
- Salluste, Guerre de Jugurtha. XVIII, Texte établi et Traduit par: A.Ernout, Les belles Lettres, Paris, 1964.
- Silius Italicus, La guerre Punique, Livres I-IV, Texte établi et Traduit par: P.Miniconi et G.Devaller, Les belles Lettres, Paris, 1979.

- Stabon, Géographie, Livre II, Tome I, texte établi et Tradiut par: Aujac (G), Les belles Lettres, Paris, 1969.
- Stabon, Géographie, Livre XVII, Tradiction nouvelle par: A. Tardieu, Paris 1880.
- Vernet, Robert., "Bouteilles en œuf D'autruche gravées de l'azrag Région de Zouerate Mauritanie", l'anthropologie, Tome 87, n 2, paris 1983, PP. 277-278.
- Vernet, Robert., "Le Chalcolithique de Mauritanie (3000-2500 cal B.P.)Etat de la question", in: sahara Préhistoire et histoire du sahara 23, 2012, PP. 7-28.
- Vernet, Roget., "le site rupestre d'el Rhallaouiya (Adrar de Mauritanie) ", beintrage zur Allgemeinen and vergleichenden Archéologie, mainz, Band 16, 1996, PP. 109-137.
- Vernet, Robert., ¨Un exemple de corrélation corrélation entre char et métal dans l'art rupestre mauritanien¨ In: la préhistoire de l'Afrique de l'ouest, sépia, paris, 1996, pp. 69-73.
- Vernet, Robert., et Baouba ould Mohamed Naffé, Dictionnaire Archéologique de la Mauritanie, Université de Nouakchott, 2003.
- Vernet, Robert., Préhistoire de la Mauritanie, Centre Culturel Français de Nouakchott-Sépia 1993.

7- هوامش:

[1] – محمد سالم محمدن، دور الفن الصخري في دراسة فترة ما قبيل التاريخ بموريتانيا، رسالة ماستر في التاريخ القديم، جامعة ابن طفيل القنيطرة- المملكة المغربية، العام الدراسي 2016-2017، ص 34 وما بعدها. (مرقونة).

[2] – Vernet, R., "le site rupestre d'el Rhallaouiya (Adrar de Mauritanie) ", beintrage zur Allgemeinen and vergleichenden Archéologie, mainz, Band 16, 1996, PP. 109-137.

[3] – Vernet, R., "Le Chalcolithique de Mauritanie (3000-2500 cal B.P.)Etat de la question", in: sahara Préhistoire et histoire du sahara 23, 2012, PP. 7-28.

[4] – محمد سالم محمدن، دور الفن الصخري في كتابة التاريخ القديم لموريتانيا "مقاربة اثنوأركيولوجية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة ابن طفيل –القنيطرة، السنة الدراسية 2021-2022، ص ص 269-324 (مرقونة).

[5] – بوبه ولد محمد نافع ومحمد ولد ختار وربير فيريني، موريتانيا القديمة: مختصر لإسهام الأبحاث الأركيولوجية، جامعة انواكشوط، 2000، ص 48.

[66]- Vernet, R., et Baouba ould Mohamed Naffé, Dictionnaire Archéologique de la Mauritanie, Université de Nouakchott, 2003.P 32.

[7] – بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 48.

[8]- نفسه، ص 47.

[9] – Paris F, "Les sépultures du Sahara nigérien du Néolithique à l'islamisation", Paris, ORSTOM, vol : 1, 1996, PP. 304-315.

[10]– بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 49.

[11]–Vernet R, et Baouba Mohamed N., 2003, Op.cit., P. 44.

[12]– Vernet, R., Préhistoire de la Mauritanie, Centre Culturel Français de Nouakchott-Sépia 1993, PP. 262-279.

[13]– Ibid P 257.

[14] – Holl, A., "Vues divergentes sur le néolithique du Dhar Tichitt", In: Journal des africanistes, tome 56, fascicule 1, 1986, P. 13.

[15] – Holl, A., 1986., Op.cit., pp. 4-20.

[16] – – بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 76.

[17] – روبير فيرني وآخرون، "الأركيولوجيا في موريتانيا"، ضمن كتاب الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية الصحراء والساحل، ترجمة بوبه ولد محمد نافع، جامعة انواكشوط 2002، ص 125.

[18] – Amblard,S. et Khattar, M., Nouveaux chars rupestres sur le Dhar Oualata (Mauritanie sud-orientale), Dossierset recherchessur l'Afrique, Meudon, 1993, p. 143-155.

[19] – روبير فيرني، الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 124.

[20]– Vernet R, 2012, Op.cit., P. 14.

[21] – روبير فيرني، الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 158.

[22]– بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 115.

[23]– نفسه.

[24]–م. بوسناسنكي، المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى في العصر الحديدي المبكر، تاريخ إفريقيا العام، المجلد II، جونآفريك، اليونسكو، 1985، ص 732.

[25]– المحفوظ أسمهري، "أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته"، ضمن كتاب أضواء على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته أعمال مهداة للأستاذ مصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليمة غازي بن ميس والبيضاوية بلكامل، الطبعة الأولى 1428-2007، ص ص 170-172.

[26]- Grébénart D, "La métallurgie préhistorique d'Agadez (Niger)" , État des recherches, In: Bulletin de la Société préhistorique française, tome 92, N. 3, 1995, PP. 399-409.

[27]- Vernet R, 1996, Op.cit., PP. 130-137.

[28]– عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس أحد مظاهر علاقات المغرب القديم بشرقي إفريقيا وجنوبي شبه جزيرة العرب، الطبعة الأولى، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2002، ص 82.

[29] - Vernet, R., ¨Un exemple de corrélation corrélation entre char et métal dans l'art rupestre mauritanien¨ In: la préhistoire de l'Afrique de l'ouest, sépia, paris, 1996, pp. 69-73.

[30]- Vernet R, et Baouba Mohamed N., 2003, Op.cit., P. 114.

[31]– الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف ق2هـ 8م حتى نهاية ق 5هـ 11م، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص 88.

[32]– بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 128.

[33]– البكري أبي عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، منشورات دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 171.

[34] – روبير فيرني، الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 138.

[35] – – بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 45.

[36] – أحمد مولود أيده الهلال، " من تراث معارف الصيد التقليدي لدى إيمراكن"، مجلة الثقافة الموريتانية، فصلية تصدر عن وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان، العدد 1، 2020، ص 51.

[37] - Vernet R, et Baouba Mohamed N., 2003, Op.cit., P. 41.

[38] – بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 41.

[39] – نفسه، ص 45.

[40] – راجع تفاصيل هذه المعطيات عند:

– بشيري ولد محمد الولاتي، جغرافية موريتانيا، انواكشوط 1993، ص ص 29-33.

– آمنة الشيخ بيده، الأخطار البيئية التي تهدد منطقة نواكشوط، رسالة مقدمة لنيل الماستر في الجغرافيا، جامعة انواكشوط العصرية، السنة الجامعية 2013-2014، ص ص 3-9. (مرقونة)

[41] – أحمد مولود أيده الهلال، من تراث معارف الصيد...، مرجع سابق، ص 51.

[42] – Vernet R, et Baouba Mohamed N., 2003, Op.cit., P. 41.

[43]– Vernet, R., "Bouteilles en œuf D'autruche gravées de l'azrag Région de Zouerate Mauritanie", l'anthropologie, Tome 87, N° 2, paris 1983,PP. 277-278.

[44]– Ibid.

[45]–Ibid., P. 278.

[46]– Vernet R, et Baouba Mohamed N., 2003, Op.cit., P. 56.

[47]– بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 56.

[48]– نفسه، ص 47.

[49]– أوديت دي بويغودو، فنون وعادات البيضان، تعريب وتقديم أحمد البشير ضماني، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 2017، ص ص 47-48.

[50]– روبير فيريي، الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 145.

[51]– Vernet R, et Baouba Mohamed N., 2003, Op.cit., PP. 73-74

[52]–Ibid, P. 59.

[53]–Ibid, P. 56.

[54]– Ibid, P. 48.

[55]– روبير فيريي، الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 162.

56 – نفسه، ص 161.

57 – بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 64.

58– نفسه، ص 162.

59 – Vernet R, et Baouba Mohamed N., 2003, Op.cit., PP. 48 Et 59.

60 – روبير فيريني، الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 137.

61 – بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 56.

62 – Vernet R, et Baouba Mohamed N., 2003, Op.cit., P. 46.

63 – – بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 59.

64– روبير فيريني، الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 188-191.

65 – Livingstone Smith, A., "Histoire du décor a la roulette en Afrique subsaharienne", Journal of African Archaeology, Vol. 5, No. 2, 2007, pp. 189-216.

66 – Lara, C., "Nouvelles perspectives sur les Cañaris d'hier et d'aujourd'hui", In: Journal de la Société des américanistes , Vol. 104, No. 2, 2018, pp. 65-104.

67 – روبير فيريني، الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 126.

68 – – بوبه ولد محمد نافع وآخرون، موريتانيا القديمة، مرجع سابق، ص 59.

69 – نفسه، ص 70.

70 – Herodote, Histoires, Livre II, Texte Traduit par: P.E.Legrand, les Belles-Leures, Paris, 1948.

71 – Herodote, Histoires, Livre IV, Tome : IV, Texte Traduit par : Larcher, Bochard, Wesseling, Casabon, Bellanger, Paris, 1888.

72 – Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, Tome I, Texte traduit par: F.HOEFER, Ed Hachette, Paris. 1912.

73 – Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, Livre XX, Texte traduit par: F.Hoefer, Ed Hachette, Paris. 1865.

74 – Pausanias, Discription de la Grèce, Livre I, texte établi par Casevitz M. traduit par: Pouilloux J. et commenté par Chamoux F, Les belles Lettres, Paris, 1992.

75 – Pline l'ancien, Histoir Naturelle, Livre V, Texte établi et Traduit et Commenté par: J. Desanges,Les belles Lettres, Paris, 1980.

76 – Pline L'ancien, Histoir Naturelle, Livre VIII, Texte établi et Traduit par: A. Ernout, Les belles Lettres, Paris, 1952.

77 – Salluste, Guerre de Jugurtha. XVIII, Texte établi et Traduit par: A.Ernout, Les belles Lettres, Paris, 1964.

78 – Silius Italicus, La guerre Punique, Livres I-IV, Texte établi et Traduit par: P.Miniconi et G.Devaller, Les belles Lettres, Paris, 1979.

79 – Stabon, Géographie, Livre II, Tome I, texte établi et Tradiut par: Aujac (G), Les belles Lettres, Paris, 1969.

80 – Stabon, Géographie, Livre XVII, Tradiction nouvelle par: A. Tardieu, Paris 1880.

81 – Pseudo Scylax, Périple, in RoGet R., Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1994, pp. 18-20.

[82] - Herodote, Histoires, II, 32.

ثلاثة نقوش صخرية غير منشورة بجبل المروح وبير صوير بجنوب سيناء

Three unpublished Rockinscriptions at Jebel Al-Marouh and Bir Suwayr in South Sinai

تامر حسن محمد العراقي[1]

ماجستير في الآثار والنقوش النبطية ومدير الشئون الأثرية بجنوب سيناء,وزارة السياحة والأثار. مصر Tamereleraky@yahoo.com

محمود توني شعبان كامل[(*)2]

باحث دكتوراه بكلية الأثار جامعة الفيوم – مصر.

Soldado2010@yahoo.com

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة **تاريخ القبول:**30/06/2022

ملخص:

تهتم الدراسة بنشر ثلاثة نقوش صخرية مكتشفة حديثًا في جبل المروح وبير صوير بصحراء جنوب سيناء والتي لم يتم الإعلان عنها بعد, وقد تم الكشف عن هذه النقوش أثناء عمليات المسح الأثري لبعض الطرق والدروب القديمة في صحراء جنوب سيناء بمرافقة المغامر أحمد أبو السعود[(1)]وقد تنوعت النقوش الصخرية المكتشفة بجنوب سيناء ما بين نقش ثمودي, ونقش نبطي, ونقش إسلامي. ويهدف الباحث من دراسة هذه النقوش الصخرية إلى الكشف عن هذه النقوش الصخرية ودراستها دراسة عملية متخصصة, وقد كشفت الدراسة عن العديد من النتائج الهامة ولعل أبرزها تأريخ تلك النقوش الصخرية وتحديد مواقعها بالوسائل والتقنيات الحديثة, والكشف عن مضمون ودلالات وأهمية تلك النقوش الصخرية.

(*)**المؤلف المرسل: محمود توني شعبان كامل:** Soldado2010@yahoo.com

الكلمات الدالة:نقوش ثمودية,نقوش نبطية, نقوش إسلامية, سيناء, جبل المروح, بير صوير.

Abstract: The studyisconcernedwithpublishing athreenewlydiscovered rock inscriptions in Jebel Al-Marwah and Bir Sawyer in South SinaiDesertthat have not yet been announced.Those rock inscriptions werediscovered by adventurer Ahmed Abu Al-Sauddduringarchaeologicalsurveys of someancientroads in South SinaiDesert,The rock inscriptions discovered in South Sinai are of various types: Thamudic inscription, Nabatean inscription, and the Islamic inscription,the researcheraims to revealthose inscriptions and studythem in a specializedpracticalstudy, The studyrevealedseveral important results,the mostprominent of whichisperhaps the datingThose rock inscriptions, locatingthemusing modern means and techniques, and revealing the content, connotations, and importance of those rock inscriptions.
Keywords: Thamudic inscriptions, Nabataeaninscriptions , Islamic inscriptions, Sinai, Jebel Al-Marouh, BirSuwayr.

1. مقدمة.

تقعشبةجزيرةسيناء[2]فيالجزءالشماليالشرقيمنمصر(خريطة 1), وهي عبارة عنهضبةعلى شكلمثلثرأسهفيالجنوبعند رأس محمد,وقاعدتهفيالشمال حيث ساحل البحر الأبيض المتوسط, حيث يحدهامنالشمالالابحرالمتوسطومنالجنوبالبحرالأحمر , ومنالشرقفلسطينوالأردنوخليجالعقبة, ومنالغربخليج السويسوقناةالسويس وهي بمثابة البوابة الشرقية لمصر[3]وبفضل هذا الموقع أصبحت سيناء تُمثل نقطة اتصال بين قارتي آسيا وإفريقيا, وخاصة الجنوب الغربي لقارة آسيا والشمال الشرقي لقارة إفريقيا, حيث تقع بين زراعي نهر النيل والدلتا في الغرب وبين البحر الأحمر في الشرق[4]وبذلك أصبحت سيناء من المواقع الأكثر جذباً ومقصداً للهجرات البشرية بين قارتي إفريقيا وآسيا منذ القدم بفضل

النشاطات التجارية والتعدينية وغيرها من النشاطات الأخرى, وكان الأنباط[5]والثموديين[6]على رأس تلك الهجرات البشرية إلى سيناء. وفي هذه الدراسة نستعرض نشر ودراسة لثلاثة نقوش صخرية مكتشفة حديثاً في صحراء جنوب سيناء: نقش ثمودي, نقش نبطي, ونقش إسلامي. ويهدف الباحث من هذه الدراسة إلى الكشف عن هذه النقوش الصخرية وتأريخها, والكشف عن مضمون ودلالات وأهمية تلك النقوش الصخرية, وذلك في اطار الدراسة الوصفية التحليلية لهذه النقوش الصخرية.

2.الدراسة الوصفية.

نتناول فيما يلي الدراسة الوصفية للنقوس الصخرية التي تم الكشف عنها بجبل المروح وبير صوير بجنوب سيناء, وتتضمن الدراسة الوصفية تحديد مواقع النقوش الصخرية بالتقنيات الحديثة المستخدمة في تحديد المواقع العالمية"GPS", ورصد أهم الأجواء المحيطة بتلك المواقع, ثم يلي ذلك استعراض النقوش الصخرية, وتفريغ كتابات تلك النقوش وقراءتها وترجمتها, وفيما يلى نتناول هذه النقوش من الأقدم إلى الأحدث.

1.2 النقش الأول.

ل ع ر ن ج م ل(لوحة 4)

الموقع.

يقع هذا النقش في جبل المروح بمحافظة جنوب سيناء, ويتم الوصول إلى هذه المنطقة من الطريق البري نويبع/ دهب (خريطة 1), ويقع هذا النقش في جبل المروح في أحد الأودية المحلية والتي يُطلق عليها بين العامة اسم وادي رأس غزالة(لوحة 1), وهذه المنطقة تبعد عن مدينة نويبع بمسافة تُقدر بـ 45 كيلومتر, ويتم الوصول إلى منطقة النقش بوادي رأس غزالة من مدينة نويبع, حيث يتم التوجه إلى الكمين الأمني بوادي سعال, حيث يوجد النقش على بعد 3 كيلومتر من الكمين الأمني بوادي سعال, ويشتهر هذا الوادي بصخرة كبيرة تُسمى عيش الغراب(لوحة 2), وهي صخرة كبيرة الحجم

وقد سُميت بهذا الاسم نظراً لأنها تشبه فطر عيش الغراب, وتبلغ أبعاد هذه الصخرة 5,75م×3,50م , ويبلغ ارتفاعها حوالي 5 أمتار, وقد تم العثور على جوانب هذه الصخرة على بعض الرسوم الصخرية وأكثر هذه الرسوم هي رسوم الغزلان البرية, ويُرجح الباحث أن سبب تسمية الوادي بهذا الاسم بين العامة ربما يرجع إلى كثرة رسوم الغزلان الصخرية بالوادي, وإحداثيات موقع النقش الصخري بنظام"GPS" هي(28°52`19 N - 34°27`34 E(لوحة 3), وفي هذا الموقع(خريطة 2) تم العثور على النقش الصخري.

الوصف العام للنقش.

تم العثور على هذا النقش في وادي غزالة بجبل المروح, وقد عُثر على هذا النقش مسجل بين قدمي إحدى الرسوم الصخرية لجمل بري(لوحة 4), وهذا النقش منفذ على مساحة من الصخر تبلغ أبعادها 11سم × 8 سم, والنقش مسجل بالقلم الثمودي[7]ومُنفذ بطريقة الحز على سطح الصخر, وجاءت الكتابات مسجلة في سطر واحد بمستوى أفقي,وكُتب هذا النص القصير بأسلوب الخط المستقيم, ويُقرأ النقش من اليمين إلى اليسار, وقد تم قراءة كتابات النقش كالآتي[8]:

قراءة النقش.

ل ع ر ن ج م ل

بناءً على الدراسة الخطية للنقش على اعتبار أن الحرف الأول حرف اللام، والحرف الثالث راء، والحرف الخامس حرف الجيم في الثمودية المتأخرة وفي الخط الحسمائي.

ترجمة النقش.

لعرن جمل

بمعنى:الجمل (أو الجمال) لعران: على اعتبار أن عران اسم علم، أو بمعنى الجمل لسيد القوم لشريف القوم.

تحليل كتابات النقش.

لـ :حرف اللام حرف جر للملكية.

ع ر ن: عرن علم بسيط، على وزن فَعل يعني "سادة القوم وأشرافهم"، ويمكن مقارنته بالعلم المعروف في الموروث العربي بصيغة عرانية[9]وقد ورد العلم بصيغته هذه عرن(ع ر ن) في النقوش السبئية[10]بينما ورد بصيغة ع ر ن ن في النقوش السامية الأخرى[11].

ج م ل: جمل علم مذكر معرف، noun, masculine, emphatic، وقد ورد بصيغة ج م ل، أي "جمل" في النقوش اللحيانية[12] وقد ورد بصيغة gmlyA ج م ل ي ا في النبطية بصيغة الجمع بمعنى "الجمال"[13]وقد ورد بصيغة ج م ل نفي حالة الإطلاق في الآرامية الدولية[14]وفي السريانية وردبصيغة جملgamla ج م ل ا[15] وورد بصيغة ج م ل ي ي ا، "الجمال" في اللهجة الآرامية اليهودية الفلسطينية[16]وقد ورد في الأشورية ܓܡܠܐgammalu[17]وقد ورد في السبئية جمل[18]والثمودية بصيغة جمل[19]وورد العلم بالصيغة نفسها في الصفائية[20]كما ورد العلم קאמל ج م ل في العهد القديم[21]وقد وردبصيغة ج م ل في ገመል الحبشية الكلاسيكية[22]كما جاء الاسم بالصيغة كام إ أ ر 𓂓𓄿𓅓𓇋𓂋 kAmi ; kAmirفي اللغة المصرية القديمة بمعنى اسم العلم (جمل) وجاءت الكلمة مع إبدال حرف الكاف بحرف الجيم، وحرف الراء بحرف اللام, كما ورد الاسم بالصيغة نفسها في اللغة القبطية " qamoul, "jamoul [23].

وهذا النقش غير مؤرخ, حيث لم يتضمن سمة تاريخ يمكن من خلاله معرفة الفترة الزمنية التي نُفذ فيها النقش, ولكن من خلال مستوى الكتابة التي سُجل بها النقش وطريقة تمثيل الحروف, أجمع بعض المتخصصين في الكتابات العربية القديمة[24]أن كتابات هذا النقش تُصنف إلى الثموديB , وأن تأريخ هذا النقش يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد.

2.2 النقش الثاني(لوحة 7)

س1: ح ر ى ش و

س2: ب ر ك م ى ل و

الموقع.

يقع هذا النقش في وادي بير صوير بصحراء محافظة جنوب سيناء على بعد 30 كم شمال مدينة نويبع باتجاه الطريق البرينويبع–طابا (خريطة 1), وللوصول إلى موقع النقش يتم التحرك من مدينة نويبع باتجاه طابا, ثم يتم ترك الطريق البري في الكيلو30 شمال نويبع, وارتياد أحد المدقات الجبلية الوعرة على يسار الطريق لمسافة 2 كم تقريباً, حتى يتم الوصول إلى نقطة الإنزال والترجل على القدم لصعوبة استكمال المسير بالسيارة نظراً لضيق الوادي ووعورة سطحه, ويتم السير على الأقدام لمسافة تبلغ 50محتى يتم الوصول إلى موقع النقش(خريطة 3) بوادي أبو خمسة, وهو وادي محلي صغير يقع داخل وادي بير صوير, وإحداثيات موضع النقش الصخري بنظام"GPS" هي 29°14`46 N - 34°43`28 E)((لوحة 6)، ويقع النقش داخل منطقة تشبه الأخدود الجبلي, وهذا الأخدود عبارة عن شق جبلي(لوحة 5) أحدث مساحات غائرة في الجبل, وعلى جانبي هذه المساحات تم العثور على بعض النقوش الصخرية, من بينها نقش نبطي وأخر إسلامي.

الوصف العام للنقش

النقش مسجل على واجهة إحدى الصخور بالخط النبطي, وهذا النقش منفذ على مساحة من الصخر تبلغ أبعادها 25سم × 15سم, والنقش مُنفذ بطريقة الحز على سطح الصخر, وجاءت كتابات النقش مسجلة في سطرين بمستوى أفقي, وقد تم قراءة كتابات النقش كالآتي[25]:

قراءة النقش (لوحة 7)

س 1: ح ر ى ش و

س 2:ب ر ك م ى ل و

ترجمة النقش.

س 1: حريش

س 2:بن كميل

التحليل.

س 1: ح ر ى ش و

وهو اسم علمبسيطعلىوزنفَعِيل،وقد ورد ذكره في النقوشالنبطية[26]وقد ورد في النقوش العربية القديمة بصيغة" حَرَش" الذي يصطاد العِظَاية[27]وقد ورد هذا الاسم بنفس الصيغة (ح ر ي ش و) في أحد النقوش النبطية بسيناء[28] كما ورد أيضاً بنفس الصيغة في أحد النقوش النبطية بموقعآثار السليكعلى الساحل الغربي لخليج السويس[29].

س2: ب ر ك م ى ل و

ب ر: تبدأ كتابات السطر الثاني للنقش بكلمة "ب ر", وهو اسم مفرد مذكر مضاف ويعنى "بن"[30] وهو اسم سامي مشترك فيما عدا النقوش العربية الجنوبية, وقد ورد بشكل مكثف في النقوش النبطية[31]ويظهر في النقوش السينائية عدداً من أسماء الأعلام التي تبدأ بـ." ابن"[32].

ك م ى ل و: وهو اسم علم مذكر, وقد بحثُت في أسماء الأعلام التي وردت في النقوش النبطية المنشورة خارج مصر وداخلها ولكن لم أعثر على هذا الاسم[33].

وهذا النقش لم يتضمن سمة تاريخ يمكن من خلاله معرفة الفترة الزمنية التي نُفذ فيها النقش, ولكن من خلال اللغة التي كُتب بها النقش وطريقة تمثيل الحروف, بالإضافة إلى الفترة الزمنية التي تواجد بها الأنباط في سيناء, نستطيع أن نُرجح تأريخ هذا النقش إلى الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي, وخاصة أن أغلب النقوش النبطية التي عُثر عليها في سيناء تؤُرخ ما بين عامي 50 – 33 ق.م, مثل النقوش النبطية التي عُثر عليها في قريةالمحمديةبشمالسيناء,وتلالشقافيةبالقربمنالتلالكبيربالإسماعيلية, وقصرويتبشمالسيناء شرق مدينة القنطرة[34] بالإضافة إلى أن الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي شهدت أوج

ازدهار الأنباط في مصر حتى أن قضى الرومان على دولة الأنباط, وسيطروا على عاصمة ملكهم في البتراء عام 106م[35] وهو ما يجعلنا نرجح تأريخ هذا النقش إلى هذه الفترة الزمنية.

3.2 النقش الثالث(لوحة 9)

مـــــــــــحـــــــــمـــــــد

الموقع.

تم العثور على هذا النقش في بير صوير بوادي أبو خمسة, وإحداثيات موضع النقش الصخري بنظام" GPS" هي)29°14`46 N – 34°43`28 E(لوحة 6), وقد سبق وأن قمنا بتحديد الموقع وكيفية الوصول إليه (خريطة 3).

الوصف العام للنقش.

وهو عبارة عن نقش كتابي مسجل باللغة العربية ومكون من كلمة واحدة, وهذا النقش منفذ على مساحة من الصخر تبلغ أبعادها 6سم × 2سم, والنقش منفذ بالحز على إحدى واجهات الصخور بالجزء الأعلى من الجبلفي وادي بير صوير, وقد تم العثور على هذا النقش مسجل أسفل بعض الرسوم الصخرية(لوحة 8).

قراءة النقش.

مـــــــــــحـــــــــمـــــــد

التـحـليـل.

مـــــــحـــــــمـــــــد : وهو اسم علم مذكر, ويُرجح أن هذا النقش يُصنف ضمن الكتابات الدينية الصخرية, حيث يتضمن اسم النبي محمد(ﷺ)، وقد ورد اسم النبي "محمد" في الكثير من الصيغ والعبارات الدينية المتعددة في النقوش الإسلامية المبكرة, ولعل أبرزها شهادة التوحيد والتي كانت شائعة في النقوش الصخرية الإسلامية المبكرة[36].

وهناك ترجيح آخر للباحث حول هذه النقش, حيث لفت نظر الباحث تسجيل النقش أسفل الرسوم الصخرية بالموقع, ويتضح للناظر بأن هذا النقش(محمد) يُمثل ربما توقيع مُنفذ هذه الرسوم الصخرية, وخاصة أن إحدى الدراسات الأثرية الحديثة لبعض الرسوم الصخرية المماثلة لتلك الرسوم بالمنطقة قد قامت بتأريخ مثل هذه الرسوم الصخرية إلى العصر الإسلامي(37)أو ربما يكون هذا النقش(محمد) يُمثل إحدى الكتابات التذكارية التي سجلها أحد أفراد القوافل المارة بالوادي في العصر الإسلامي, والذي أراد أن يُخلد ذكرى مروره بالوادي وبجانب تلك الرسوم الصخرية التي نالت استحسانه.

أما عن تأريخ هذا النقش فلا يوجد تاريخ يمكن من خلاله معرفة الفترة الزمنية التي نفذ فيها النقش, ويتضح من شكل بعض الحروف وطريقة تنفيذها وخاصة حرف الميم والدال بأنها كوفية مع بعض الليونة في تنفيذ الخطوط, لذلك نستطيع أن نُرجح أن هذا النقش يرجع تاريخه إلى القرون الأربع الأولى من الهجرة.

3. الدراسة التحليلية.

تضمنت الدراسة بعض النقوش الكتابية الصخرية بجبل المروح وبير صوير, ويُفضل البعض تسمية هذه النقوش بالمخربشات (Graffiti)(38) وقد أطلق عليها بعض الباحثين Inscriptions بناءً على كونها تُمثل كتابات منقوشة(39) وقد تنوعت النقوش الكتابية بمواقع الدراسة, حيث تم العثور على نقش كتابي مُنفذ بالقلم الثمودي(لوحة 4) بجبل المروح, وتم العثور أيضاً على نقش كتابي منفذ بالخط النبطي(لوحة 7) في بير صوير, وتم العثور أيضاً في نفس الوادي على نقش كتابي مُنفذ باللغة العربية(لوحة 9). وفي هذا الجزء من الدراسة نتناول تحليل النقوش الصخرية السابقة, وخاصة طرق تنفيذ هذه النقوش, والكشف عن أهمية ودلالات ومضامين تلك النقوش الصخرية.

1.3طرق تنفيذ النقوش الصخرية.

تم تنفيذ كافة النقوش الصخرية بمواقع الدراسة بطريقة الحز[40] على سطح الحجر, والحز قد يكون خفيفاً فيقوم الفنان باستخدام أدواته الخاصة في عمليات الحز على سطح الحجر المراد تنفيذ النقوش الصخرية عليه فلا يغور في السطح الذي يتم حزه بحيث يكون عمقه ضحلاً, وقد يكون الحز عميقاً وفي هذه الطريقة يغور الفنان في السطح الذي يتم حزه بحيث يظهر مجراه بشكل واضح.

2.3 مضامين النقوش الصخرية.

يمكن أن نُصنف النقوش الكتابية التي تم العثور عليها في مواقع الدراسة إلى ثلاثة أنواع طبقاً لمضمون كتاباتها: نقوش تذكارية, نقوش الملكية أو نقوش التملك, نقوش الدينية, وفيما يلي نستعرض تلك النقوش بشيء من التفصيل.

1.2.3النقوش التذكارية.

وهي نقوش ومخربشات قصيرة تمتاز– في أغلبها– بقصرها, وقد هدف أصحابها من كتابتها إلى تخليد ذكراهم أثناء مرورهم أو إقامتهم في منطقة ما, أو تخليد ذكرى موتاهم في بعض الحالات, وقد انتشر هذا النمط من النقوش في معظم المناطق النبطية, وخاصة في سيناء والبتراء وفي عدة مواقع في مدائن صالح شمال المملكة العربية السعودية[41]وقد تم العثور على أحد النقوش النبطية التذكارية بمواقع الدراسة(لوحة 7), وهذا النقش يوثق ذكرى مرور صاحب النقش بهذا الوادي, وهو ما يعكس ويدلل على التواجد العربي النبطي في جنوب سيناء, فقد ازدادالوجودالعربيفيمصروالنبطيبصفةخاصةخلالالقرنالأولقبلالميلادحيثعُثرعلىنقوشنبطيةفيقريةالمحمديةبشمالسيناء,وتلالشقافيةبالقربمنالتلالكبيربالإسماعيلية, وقصرويتبشمالسيناء شرق مدينة القنطرة, وتعودأغلبهذهالكتاباتوالنقوشإلى مابينعامي 50 و 33 ق.م, واتسعنطاقالنقوشوامتدفي صحراء مصرالشرقيةنظراً لارتباطهابموانئالبحرالأحمروكونواجالياتعربيةونبطية[42].

2.2.3نقوش التملك أو الملكية للأشياء.

ويُقصد بها النقوش التي يُبين فيها كاتبها ملكيته الخاصة لما يسجله[43]ومن نماذج تلك الكتابات النقش الثمودي الذي عُثر عليه بين قدمي جمل صخري في وادي رأس غزالة بجبل المروح(لوحة 4), وفي هذا النقش يُدون مُنفذ النقش ملكيته لهذا الجمل المرسوم على واجهة الصخور بالوادي, ولا عجب في ذلك فالإبل كانت إرث العربي وثروته, وكانت تُعد إلى وقت ليس بالبعيد أنفس مال العرب[44].

وقد تم الكشف عن الكثير من نقوش التملك الثمودية في شبة الجزيرة العربية, فغالباً ما يرافق نحت الجمل أو الناقة كتابات عربية قديمة أو رسوم لتحديد ملكيتها, وقد استُخدمت العديد من الأساليب للتعبير عن تلك الملكية, وكانت أغلب تلك الوسائل هو قيام الفنان بنحت إبله الخاصة به, ويُدون بداخلها أو أعلاها أو بداخلها نقشاً كتابياً يُسجل فيه ملكيته لهذه الإبل, وذلك بذكر نوع الإبل سواء كان جمل[45] أو ناقة[46]أو إحدى مرادفات كلمة جمل ويذكر أنها لفلان, كما ورد في النقش الثمودي المكتشفبجبل المروح(لوحة 4), وقد تم الكشف عن الكثير من نقوش التملك الثمودية في شبة الجزيرة العربية والتي تتشابه معالنقش الثمودي المكتشف بجبل المروح, ومنهانقش ثمودي برفقة رسم صخري لجمل, وقد تم قراءة النقش كالآتي(ل ك ا ت ه ج م ل) وترجمته هذا الجمل ملك كات[47] وقد تم العثور في وادي حفير[48]على العديد من الرسوم الصخرية لجمال, ومُدون بها نقوش لأشخاص يؤكدون بالنقوش ملكيتهم لهذه الجمال[49].

3.2.3النقوش الدينية.

ويُقصد بها النقوش المسجلة على واجهات الصخور الصالحة للنقش والكتابة والتي تحمل بعض العبارات الدينية[50]ويُصنف النقش الكتابي(مـــــحـــــمـــــــــد) المكتشف بوادي بير صوير(لوحة 9) ضمن النقوش الدينية الإسلامية والتي تحمل في مضمونها طابعا دينياً إسلامياً.

3.3 أهمية ودلاَّلاَّت النقوش الصخرية.

أمدتنا النقوش الصخرية بمواقع الدراسة ببعض أسماء الأعلام النبطية والثمودية والعربية, منها ما هو شائع ومعلوم مثل إسم حريش, والذي تم العثور عليه في نقوش أخرى مماثله داخل سيناء وخارجها, فقد ورد هذا الاسم بصيغة "ح ر ي ش و" في أحد النقوش النبطية بسيناء[51]كما ورد أيضاً بنفس الصيغة في العديد من النقوش النبطية[52]كما ورد أيضاً بنفس الصيغة في أحد النقوش النبطية بموقعآثار السليك[53]أيضاً ورد اسم محمد في العديد من الصيغ والعبارات الدينية الواردة في النقوش الصخرية الإسلامية المبكرة, كما ورد هذا الاسم بكثرة على العملة في القرون الأولى للإسلام. كما أمدتنا نقوش الدراسة بإسم عرن, وهذا الاسم من أسماء الأعلام التي وردت أيضاً في الكتابات العربية القديمة وخاصة بصيغة ع ر ن في النقوش السامية[54].

كما أمدتنا النقوش الصخرية بمواقع الدراسة بأحد أسماء الأعلام والذي لم يكن شائعاً في النقوش النبطية, وهو اسم"كميل", وهو اسم علم نبطي, ولم يرد ذكره في النقوش النبطية في مصر وربما خارجها, وهنا تأتي أهمية النقوش الصخرية بمواقع الدراسة في إمدادنا بأسماء أعلام جديدة يرد ذكرها لأول مره في النقوش الصخرية.

كما تتضمن النقش الثمودي بجبل المروح على كلمة "ج م ل", وكلمة جمل تُمثل إحدى مُسميات الإبل المتنوعة والتي وردت بكثرة في النقوش الثمودية[55]فقد تسمت الإبل بأسماء وأوصاف وصارت تلك الأوصاف اسماً لها[56] وقد سجلت لنا النقوش الثمودية الكثير من الكلمات الدالة على الإبل منها(ا ب ل – ب ع – ب ع ن و ط – ب ك ر – ب ك ر ت – ب ل – ج م ل – ح م م ي – ح ن ك – ح و ر – د د – ز ب ن ن – س ق ب – س م هـ ي – ش م ت – ع س – غ ل م – ف ر ج ت – م ت ف ن – م ت ل – م ك د – ن ق ت – ي س ج)[57].

كما كشف لنا النقش الثمودي بجبل المروح عن الاستيطان الثمودي المبكر في سيناء في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد والعمل بالرعي, فبعد دراسة مضمون الرسوم الصخرية للجمال التي

عُثر بداخل قدم أحدهما على النقش الثمودي لمعرفة دلائل هذا النقش, تبين أن هذه الجمال تم رسمها على الصخور بالوادي وهي في وضعية الرعي(لوحة 10), حيث قام الفنان برسم رقبة الجمل وهي ترنومن السطح وكأنها ترعى بسطح الوادي, بالإضافة إلى خلو رسوم الإبل من أي أحمال أو أمتعة قد تُشير أن هذه الإبل تُمثل رسوم صخرية لقوافل تجارية,بالإضافة إلى أن الرسوم الصخرية القديمة التي عثرنا عليها بالوادي تظهر بها الكثير من الرسوم الصخرية الخاصة بالصيد والرعي, والتي تؤكد على عمار هذا الوادي منذ القدم بالمياه الوفيرة والنباتات والأشجار الخضراء مما جعله مقصداً للرعي, وكل هذا يؤكد بلا شك على أن الرسوم الصخرية للجمال الثمودية المصاحبة للنقش الثمودي تُعبر عن الاستيطان الثمودي بجبل المروح بسيناءفي النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلادمن أجل الرعي وليس من أجلالتجارة.

كما كشف لنا النقش الثمودي بجبل المروحعنأسبقية التواجد الثمودي في سيناء قبل التواجد النبطي, فتاريخ النقش الثمودي يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد, في حين أن أقدم النقوش النبطية التي عُثر عليها في سيناء يرجع تاريخها إلى ما بين عامي 50 – 33 ق.م[58]وبذلك يكون النقش الثمودي قد كشف لنا عن أسبقية التواجد الثمودي في سيناء قبل التواجد النبطي.

كما قدمت لنا النقوش الصخرية بمواقع الدراسة العديد من الدلاّلاّتالهامة, فقد اسُتدل من مضمون النقش النبطي التذكاري على الدور التجاري للأنباط وتواجدهم في وادي بير صوير,وهو ما يجعلنا نُرجح أن الموقع كان يُمثل محطة تجارية استخدمها العرب الأنباط كمحطة تتوقف فيها القوافل للاستراحة والتزود بالماء والطعام, وخاصة أن الوادي كان يحتوي على بئر صوير وهو مصدر آمن للماء, كما أن الأخاديد الجبلية الطبيعية بالموقع استطاعت أن تُكّون مناطق للظل تنعم بها القوافل المارة بالوادي من أشعة الشمس الحارقة أثناء الاستراحة بالموقع, مما أتاح لبعض المسافرين والتجار تسجيل بعض النقوش الصخرية أثناء فترات التوقف والاستراحة بالمحطة التجارية, وهو ما يعكس الحركة التجارية للعرب الأنباطبوادي بير صوير وغيره من أودية جنوب سيناء,فقد تم الكشف عن

الكثير من النقوش النبطية التذكارية على امتداد الطرق والدروب التجارية في جنوب سيناء, فقد كشفتالحفرياتالأثريةعنوجودمايقارب منثلاثةآلافنقشنبطيفيجنوبشبهجزيرةسيناء[59] ولعل هذا الكم الهائل من النقوش النبطية في سيناء يعكس الدور التجاري لدولة الأنباط, وأن مصر كانت من أهم المناطق التجارية التي ترددت عليها قوافل الأنباط التجارية[60].

أو ربما كان الوجود النبطي في موقع النقش بوادي بير صوير(وادي أبو خمسة) يرجع إلى كون الموقع كان يُمثل إحدى نقاط الحراسة والتأمين على امتداد الطرق التجارية بصحراء سيناء, فقد كانت هناك نقاط حراسة وبها بعض الجنود وحرس القوافل, وبعضهم كان من الأنباط للحفاظ على الأمن على امتداد الطرق التي تسلكها القوافل داخل شبه جزيرة سيناء[61] وهو ما يجعلنا نُرجح أن هذا النقش ربما يتضمن اسم أحد الحراس المكلفين بحراسة وتأمين الطريق التجاري للقوافل في وادي بير صوير, فقد دلّت النقوش النبطية في منطقة مدائن صالح أن الأنباط كانوا يشاركون في حراسة الطريق التجاري العظيم بفرق من الهجانة, كما دلت نقوش صحراء مصر الشرقية أن الأنباط كانوا يمارسون نفس الحرفة إلى جانب بعض الحرف المستقرة, ربما في محطات المياه وحراسة القوافل الرومانية المنتشرة في الصحراء الشرقية[62].

كما دلّالنقش العربي بوادي بيرصوير(وادي أبو خمسة) على التواجد العربي في هذه المنطقة في العصور الإسلامية المبكرة, فقد دلَّ النقش العربي على استمرار القوافل التجارية في العصر الإسلامي في ارتياد نفس الطرق والمحطات التجارية القديمة والتي كانت تسلكها القوافل النبطية, مما يدل ويؤكد على استمرار موقع بير صوير(وادي أبو خمسة) كمحطة للقوافل في العصر الإسلامي,حيث كان الموقع يوفر الظل ويقي القوافل من أشعة الشمس الحارقة وخاصة في أوقات الذروة, فقد ذكر أحد الرحالة المسلمين أن الإبل كانت تستريح مرة أثناء السير, وذلك في الوقت الذي تشتد فيه حرارة الشمس حتى صلاة العصر وتسير بقيه الوقت[63]وهو ما أتاح لبعض المسافرين تنفيذ بعض النقوش الصخرية أثناء فترة الاستراحة بوادي بير صوير, وخاصة أن أحجار هذه المنطقةقابلة للنقش

والكتابة, وهذا الأمر كان شائعاً في كثير من الوديان الجبلية التي كانت تقع على امتداد الطرق البرية التجارية بجنوب سيناء.

4.الخاتمة والنتائج.

بعد الانتهاء من الدراسة الوصفية والتحليلية للنقوش الصخرية التي تم العثور عليها في جبل المروح وبير صوير بجنوب سيناء, تم التوصل إلى بعض النتائج الهامة والتي نستعرضها فيما يلي من نقاط.

1. كشفت الدراسة عن بعض النقوش الصخرية في جنوب سيناء, والتي يتم نشرها للمرة الأولى.
2. نجحت الدراسة في تأريخ هذه النقوش إلى الفترات الزمنية التي نُفذت فيها.
3. كشفت الدراسة عن أصناف هذه النقوش الصخرية من خلال مضامينها اللغوية.
4. نجحت الدراسة في الكشف عن مضمون وأهمية ودلآلآت هذه النقوش الصخرية.
5. أكدت الدراسة على الاستيطان الثمودي في سيناء في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد والعمل بالرعي.
6. أثبت الدراسة أن الهجرات الثمودية كانت أسبق إلى سيناء من الهجرات النبطية.
7. أكدت الدراسة أن موقع النقوش الصخرية في بير صوير كان يمُثل محطة تجارية نبطية استخدمها العرب الأنباط في تجارتهم إلى مصر, كما دلَّ النقش العربي بالوادي على استمرار موقع بير صوير(وادي أبو خمسة) كمحطة للقوافل في العصر الإسلامي.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي،جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت,1983م.
- أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي, فقه اللغة وأسرار العربية, الطبعة الثانية, المكتبة العصرية, بيروت, 2000م.
- ابن منظور, لسان العرب, دار الكتب العلمية, بيروت, 1993.

- إحسان عباس, تاريخ دولة الأنباط" بحوث في تاريخ بلاد الشام", الطبعة الأولى, دار الشروق للنشر والتوزيع, عمان, 1987م.
- أحمدحسين شرف الدين,مسالكالقوافلالتجاريةفيشمالشبهالجزيرةالعربيةوجنوبها " تاريخشبهالجزيرةفيعصرماقبلالإسلام",المجلدالثاني,الرياض, 1978م.
- أحمد العجلوني،حضارةالأنباطمنخلالنقوشهم، مشروع بيت الأنباط للطباعة والنشر,البتراء،الأردن, 2003م.
- ألفريد بيستون, قواعدالنقوشالعربيةالجنوبية"كتابات المسند", ترجمة رفعتهزيم, مؤسسةحمادةللخدماتالجامعية،الأردن, 1995.
- إليوسموسل،شمالالحجاز,ترجمة عبدالمحسنالحسني،الإسكندرية، 1952م.
- إيادالمصريومهديعبدالعزيز, المدلولاتالاجتماعيةفيالنقوشالنبطية, معهدالملكةرانياللسياحةوالتراث, الجامعةالهاشمية, الأردن.
- بيستون، ا. ف. ل؛ ريكمانز، جاك؛ الغول، محمود؛ مولر، والتر، المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء, 1982.
- تامر محمد حسن العراقي, الآثار والنقوش النبطية في سيناء، رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة كفر الشيخ، مصر, 2019م.
- حسانعوض, جغرافية شبة جزيرة سيناء" موسوعة سيناء", الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 1982م.
- حسين محمد العايش القدرة، دراسة معجمية لألفاظ النقوش اللحيانية في إطار اللغات السامية الجنوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، إربد – الأردن, 1993م.
- حياة بنت عبد الله حسين الكلابي, النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية (من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض, 2009م.

- خالد بن محمد أسكوبي، دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة رم بينثليثوات وقيعان الصنيع جنوب غرب تيماء، الرياض، دارة الملك عبد العزيز الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم الآثار والمتاحف, جامعة الملك سعود, 2007م.
- خالدسعد مصطفيومحمدجلالمحمود, ثلاثةمواقعللرسومالصخريةغيرالمنشورة بشبةجزيرةسيناء: كهفطورمحني–منطقةالفرش –واديالرحايا, حوليةالاتحادالعامللآثاريينالعرب, العدد 24, القاهرة, 2021م.
- سليمان بن عبد الرحمنالذييب, الموطنالأصليللأنباط, مجلةالدارة،العددالثاني،الرياض،1995م.
- سليمان بن عبد الرحمنالذييب, المعجم النبطي، دراسة تحليلية مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض, 2000م.
- سليمان بن عبد الرحمنالذييب, دراساتفريدريكوينيتلنقوشثموديةمنمنطقةحائل:دراسةتحليلية, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, العدد الأول, مكتبة الملك فهد الوطنية, الرياض, 2014م.
- عباس مصطفي عمار, المدخل الشرقي لمصر" أهمية شبة جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات, المعهد الفرنسي للأثار الشرقية, القاهرة, 1946م.
- عبدالمنعمعبدالحليم سيد, صلاتالأنباطبمصرمنخلالالنقوشالنبطيةعلىصخور الحجازوصحراءمصرالشرقية, مجلةكليةالآدابوالعلومالإنسانية, المجلد الأول, جامعةالملكعبدالعزيز, الرياض, 1981م.
- غويديأغناطيوس،المختصرفيعلماللغةالعربيةالجنوبيةالقديمة، القاهرة, 1930م.
- فايزأنورعبدالمطلب مسعود,مسمياتوصفاتالإبلفيالنقوشالثمودية, العدد 11, مجلةدراساتفيعلمالآثاروالتراث, الجمعيةالسعوديةللدراساتالأثرية, جامعةالملكسعود, الرياض, 2020م.
- كانتينو, اللغة النبطية, الجزء الأول: ترجمة مهدي الزعبي, المعهد الفرنسي في دمشق , كلية الملكة رانيا للسياحة والتراث, الجامعة الهاشمية , 2015م.

- محمد إسماعيل النصار, مملكة الأنباط, مشروع بيت الأنباط للنشر والتوزيع, عمان, 2007م.
- محمد السيد غلاب, الجغرافياالبشريةوالتاريخيةلشبهجزيرةسيناء "موسوعة سيناء", الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 1982م.
- محمد حمزة إسماعيل الحداد, النقوش الأثارية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية, المجلد الأول, مكتبة زهراء الشرق, القاهرة,2002م.
- محمودسا لم غانم, نقوشنبطيةمنمنطقهشمالغربخليعالسويس" دراسة لغوية حضارية", رسالةماجستيرغيرمنشورة, كلية الآداب, جامعة الإسكندرية, مصر , 2016م.
- محمودسالمغانم وآخرون, السليك: استراحةنبطيةعلىالساحلالغربيلخليجالسويس, مجلة مدارات تاريخية, المجلد 2, العدد 4, الجزائر, ديسمبر 2020م.
- محمودعبدالباسطعطية السيد, الإبلفيالكتاباتوالفنونالصخريةبمنطقةحائل, العدد الأول, مجلةالجمعيةالسعوديةلدراساتالإبل, الجمعيةالسعوديةلدراساتالإبل, جامعةالملكسعود, الرياض, 2019م.
- محمود محمد الروسان, القبائل الثمودية والصفوية" دارسة مقارنة", الطبعة الثانية, عمادة شئون المكتبات, جامعة الملك سعود الرياض, 1412هـ/1992م.
- ولفنسون،تاريخاللغاتالسامية, الطبعة الأولى, دار القلم, بيروت,1980م.
- ناصر خسرو علوي,سفر نامة, ترجمة يحي الخشاب, الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, 1993م.

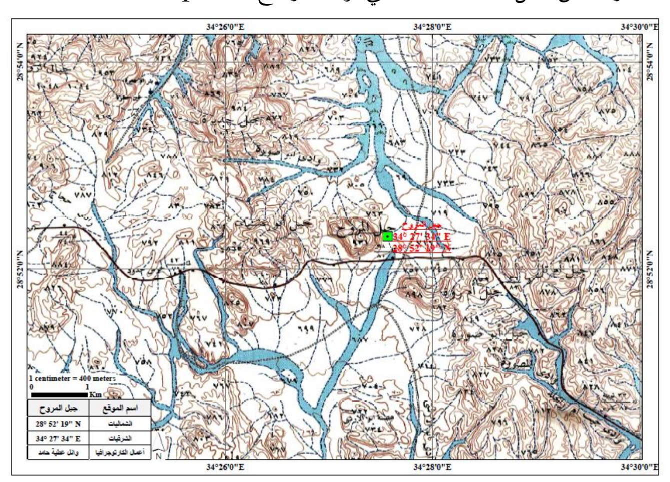
المراجع الأجنبية.

- Aime- Giron, N.,Textaraméensd'Egypte, Le Caire, 1931.
- Anati, E., Rock- Art in Central Arabia, Publications de l'institut orientaliste de louvain, 4, expeditionPhilby- Ryckmas- Lippens en Arabie, vol. 3 ,Corpus of the rock engravings, Parts I and II, Louvain – la-Neuve, 1972.
- Biella, Joan Copeland, Dictionary of Old South Arabic: Sabaean Dialect. Harvard Semitic Studies 25, 1982.

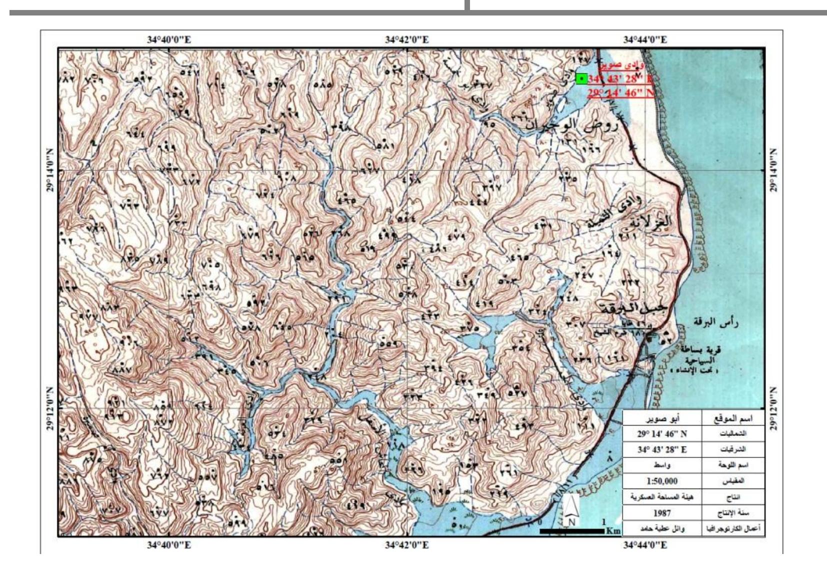
- Branden, van den., Les inscriptions thamoudéennes, Louvain-Heverie: Bibliothéque du Muséon 25, 1950.
- Brown, F, Driver, S, Briggs, C., A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, with an Appendix Containing the Biblical Aramaic, Oxford: Clarendon Press, 1906.
- CIS = Corpus InscriptionumSemiticarum, Pars 1, InscriptionesPhoneniciae, Paris, 1881.
- Gesenius, W., A Hebrew and English lexicon of the Old Testament, oxford,1963.
- Harding, G.,An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto: Near and Middle East Series :8.(العددالأول),1971.
- James E. Hoch, Semitic Words In Egyptian Texts Of The New Kingdom And Third Intermediate Period, Princeton University Press Princeton, New Jersey, 1994.
- Leslau, W, Comparative Dictionary of Ge‘ez (Classical Ethiopic): Ge‘ez-English, English-Ge‘ez, with an Index of the Semitic Roots. Otto HarrassowitzVerlag, 1987.
- Negev, A., The Nabateans and the Provincia Arabia. ANRW 2.8, 1977.
- Palmer, E., The Desert of the Exodus: Journeys on Foot in the Wilderness of the FortyYearsWandering. Deighton, Bell and Co., Cambridge. (Vol 46), 1871.
- Smith, J., A Compendious Syriac Dictionary, Founden upon the Thesaurus Syriacus, Oxford: The Clarendon Press,1967.
- Sokoloff, M., A Dictionary of Jewish Palestinian Aramaic of the Byzantine Period, Barilan University Press,1992.
- Winnett, F., Harding, G.,Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, Toronto: University of Toronto Press, 1978.
- Zayadine, F., The Pantheon of the Nabataean Inscriptions in Egypt and the Sinai. Aram 2, 1990.

6. ملاحق:

خريطة 1: خريطة لشبة جزيرة سيناء توضح المواقع الأثرية المكتشفة حديثا والخاصة بمواقع النقوش الصخرية- من عمل الباحثة هند حسني بواسطةبرنامج Arc Map 10.6 .



خريطة 2: خريطة مساحية لموقع جبل المروح بصحراء جنوب سيناء موقع عليها إحداثيات موقع النقش الصخري بواي رأس غزالة- من عمل الباحث وائل عطية حامد.



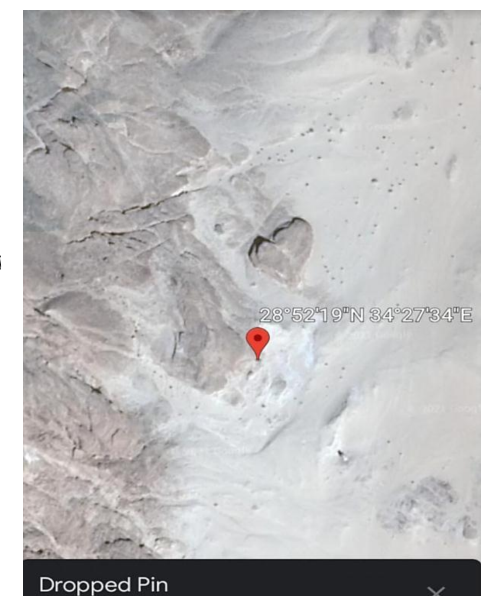
خريطة 3: خريطة مساحية لموقع وادي صوير(وادي أبو خمسة) بصحراء جنوب سيناء موقع عليها إحداثيات موقع النقشين بواي أبو خمسة- – من عمل الباحث وائل عطية حامد.

لوحة  :1

منظر عام لوادي رأس غزالة – جبل المروح – صحراء جنوب سيناء.

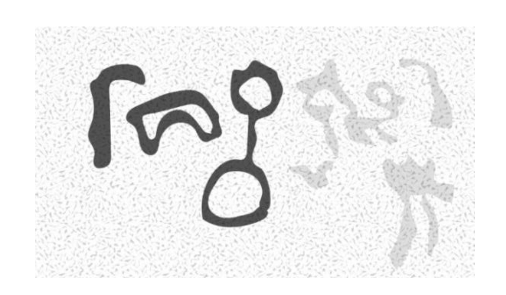


لوحة 2: صخرة عيش الغراب بوادي رأس غزالة – جبل المروح.

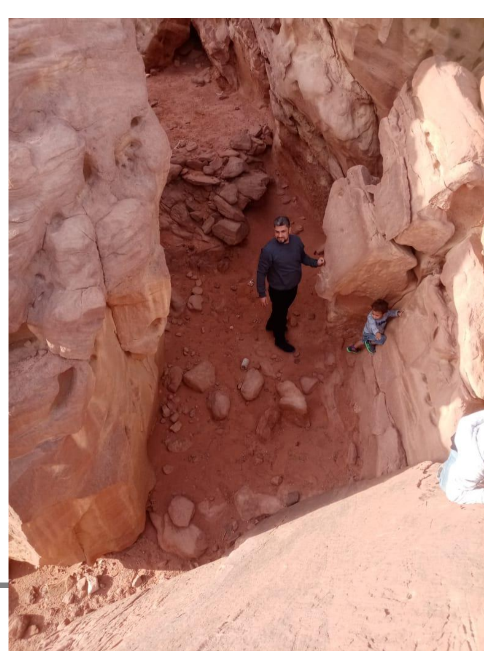


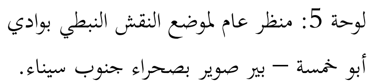
لوحة 3: صورة بالأقمار الصناعية لموقع النقش الثمودي موقع عليها إحداثيات الموقع– وادي رأس غزالة – جبل المروح.





لوحة 4: صورة للنقش الثمودي الذي عُثر عليهبين قدمي جمل صخري بوادي رأس غزالة– جبل المروح,
وعلى اليسار صورة لتفريغ كتابات النقش من عملالأثري / سمير جابر بواسطةبرنامجillustrator.





لوحة 5: منظر عام لموضع النقش النبطي بوادي
أبو خمسة – بير صوير بصحراء جنوب سيناء.



لوحة 6: صورة بالأقمار الصناعية لموقع النقش النبطيموقع عليها إحداثيات الموقع بوادي أبو خمسة – بير صوير





لوحة 7: صورة للنقش النبطي بوادي أبو خمسة – بير صوير, وعلى اليسار صورة لتفريغ كتابات النقش من عملالأثري / سمير جابر بواسطةبرنامجillustrator.



لوحة 8: صورة للنقش العربي الإسلامي أسفل الرسوم الصخرية بوادي أبو خمسة – بير صوير.





لوحة 9: صورة للنقش العربي الإسلامي أسفل الرسوم الصخرية,وعلى اليسار صورة لتفريغ كتابات النقش من عملالأثري / سمير جابر بواسطةبرنامجillustrator.



لوحة 10: صورة لجمل صخري ثمودي يرعى بالوادي – جبل المروح.

8. الهوامش:

1() يتقدمالباحثانبأسمآياتالشكروالتقديرللمغامر المصري" أحمد أبو السعود "علىدورةفيالكشفعنهذه النقوش الهامةوتسليطالضوءعلىتلكالمناطقالواعدة بصحراء جنوب سيناء.

2()
شبهجزيرةسيناءعبارةعنهضبةمرتفعةتتجهمناالجنوبإلىالشمالوتتكونمنصخورناريةوقممبركانيةجبليةمرتفعةمثلجبلسانت تكاترين, والذي يُعد أعلى قمة جبلية في مصر بارتفاع يبلغ 3639م, وهناك أيضا جبل شومر البلغ ارتفاعه 2556م, وجبل التبت والذي يبلغ طولة 2439م, وتحف بهذه الجبال هضبة التيه التي تمثل ثلثي مساحة سيناء, ويبلغ ارتفاعها حوالي 1000م, ويخرج منها وادي العريش الذي يصب في مدينة العريش.

محمد السيد غلاب, الجغرافياالبشريةوالتاريخيةلشبهجزيرةسيناء "موسوعة سيناء", الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 1982م, ص20.

3() حسانعوض, جغرافية شبة جزيرة سيناء" موسوعة سيناء", الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 1982م, ص 1.

4() عباس مصطفي عمار, المدخل الشرقي لمصر" أهمية شبة جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات, المعهد الفرنسي للأثار الشرقية, القاهرة, 1946م, ص 2.

5() الأنباط هم قبائل عربية كانتعيشخلالالقرنالسادسقبل الميلادإلىالجنوبمندومةموطنبنيقيدار،وهي المنطقةالواقعةبينحائلجنوبًاوالقصيمشمالاً،ويذكر المؤرخون وجود شعب عربي في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد في جنوب يهودا في صحراء أدوم, وقد لُقب هؤلاء العرب بـ Nabattioi الأنباط, وذلك لكون ملوكهم قد أطلقوا على أنفسهم لاحقا في النقوش والعملات لقب م ل ك ن ب ط و ا ي " ملك الأنباط", وبسب ما ترك الأنباط مواطنهم الأصلية واستقروا بالجزيرة العربية. للاستزادة انظر: إحسان عباس, تاريخ دولة الأنباط" بحوث في تاريخ بلاد الشام", الطبعة الأولى, دار الشروق للنشر والتوزيع, عمان, 1987م, 7-105؛ كانتينو, اللغة النبطية, الجزء الأول: ترجمة مهدي الزعبي, المعهد الفرنسي في دمشق , كلية الملكة رانيا للسياحة والتراث, الجامعة الهاشمية , 2015م, ص 15-20؛ محمد إسماعيل النصار, مملكة الأنباط, مشروع بيت الأنباط للنشر والتوزيع, عمان, 2007م, ص 24؛ سليمانبن عبد الرحمنالذييب, الموطنالأصليللأنباط, مجلةالدارة،العددالثاني،الرياض،1995م, ص 68-73.

6()الثموديون قوم عاشوا في الجزء الشمالي من شبة الجزيرة العربية, وقرنوا في القرآن الكريم مع قوم عاد, كما قرنوا أيضاً مع قوم نوح وقوم لوط, وقد تمكنوا خلال ثلاثة قرون من بسط نفوذهم على عرب شمال الجزيرة العربية, وكان الهدف من تلك الحملات هو السيطرة على الطرق التجارية الهامة التي تمر عبر المنطقة الشمالية إلى سوريا وفلسطين من بلاد اليمن, وقدكانتالسمةالغالبةعلىالثموديونأنهمأقربإلىالحضرمنهمإلىالبدو, فقد مارسواالنشاطالتجاريبينالجزيرةالعربيةوالشاممومصر, ويعودأولتوثيقلاسمثمودإلىنقشالملكالآشوريسرجونالثاني في الربع الأول من القرن الثامن قبل الميلاد. القرآن الكريم, سورة ق, أية 11-13؛ محمود محمد الروسان, القبائل الثمودية والصفوية" دارسة مقارنة", الطبعة الثانية, عمادة شئون المكتبات, جامعة الملك سعود الرياض, 1412هـ/1992م, ص 3-5؛ إليوسموسل،شمالالحجازترجمة عبدالمحسنالحسني،الإسكندرية، 1952م, ص91.

7()يكادالباحثونأنيجمعواعلىأنّ" القلمالثموديمشتقمنالقلمالمسند اليمني،ويُحتملأنهجاءإليهمعنطريققبائلمعينالتياستوطنتفيالحجاز,والتينقلتحضارةاليمن وعمارتها وعبادةالأوثاناليمنيةإلىشمالبلادالعرب.ولفنسون،تاريخاللغاتالسامية, الطبعة الأولى, دار القلم, بيروت,1980م, ص 180؛ غويدياغناطيوس،المختصرفيعلماللغةالعربيةالجنوبيةالقديمة، القاهرة, 1930م, ص2.

8() تم قراءة النقش وترجمته بمساعدة الدكتور علي محمد علي صبرة, دكتوراه لغة مصرية قديمة ومفتش آثار بوزارة الآثار المصرية.

9() أبو محمد علي بن أحمدالأندلسي،جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت,1983م, ص 389.

(10)Harding, G., An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto: Near and Middle East Series :8. (1971)، p 16.

11() خالد بن محمدأسكوبي، دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة رم بينثليثوات وقيعان الصنيع جنوب غرب تيماء، الرياض، دارة الملك عبد العزيز الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب، قسم الآثار والمتاحف, جامعة الملك سعود, 2007م, نقش 45.

12()حسين محمد العايشالقدرة، دراسة معجمية لألفاظ النقوش اللحيانية في إطار اللغات السامية الجنوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، إربد – الأردن, 1993م, ص 84.

(13) CIS Corpus InscriptionumSemiticarum, Pars 1, InscriptionesPhoneniciae, Paris, 1881, p 157.

(14)Aime - Giron, N., Text araméensd'Egypte, Le Caire, 1931, p 90.

(15) Smith, J., A Compendious Syriac Dictionary, Founden upon the Thesaurus Syriacus, Oxford: The Clarendon Press, 1967, p 72.

(16) Sokoloff, M., A Dictionary of Jewish Palestinian Aramaic of the Byzantine Period, Barilan University Press, 1992, p132.

(17) Gesenius, W., A Hebrew and English lexicon of the Old Testament, oxford, 1963, p 147.

18()بيستون، ا. ف. ل؛ ريكمانز، جاك؛ الغول، محمود؛ مولر، والتر، المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء, 1982, ص49؛

Biella, Joan Copeland, Dictionary of Old South Arabic: Sabaean Dialect. Harvard Semitic Studies 25,1982, p 72.

(19) Branden, van den., Les inscriptions thamoudéennes, Louvain-Heverie: Bibliothéque du Muséon 25, 1950, Hu 161, p 101.

20() محمد محمودالروسان، نقوش صفوية من وادي قصاب بالأردن، أطروحةدكتوراه غير منشورة، قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود، الرياض,2004م, ص 384؛

Winnett, F.,Harding, G., Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, Toronto: University of Toronto Press, 1978, p 633.

(21) Brown, F, Driver, S, Briggs, C., A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, with an Appendix Containing the Biblical Aramaic, Oxford: Clarendon Press, 1906, p 168.

(22) Leslau, W, Comparative Dictionary of Ge‘ez (Classical Ethiopic): Ge‘ez-English, English-Ge‘ez, with an Index of the Semitic Roots. Otto HarrassowitzVerlag, 1978, p 194.

(23)James E. Hoch, Semitic Words In Egyptian Texts Of The New Kingdom And Third Intermediate Period, Princeton University Press
Princeton, New Jersey, 1994, p 327.

24() تم عرض النقش على بعض السادة المتخصصين في الكتابات العربية القديمة لتأريخ النقش, وهم الأستاذ الدكتور إياد عبد الله يونس الأمين العام للاتحاد العربي للثقافة والأستاذ بجامعة تشرين, الأستاذ الدكتور مهدي عبد الكريم الزعبي الأستاذ بكلية الملكة رنيا للسياحة والتراث ونائب عميد البحث العلمي في الجامعة الهاشمية, الدكتور رافعمحيميدحراحشه بدائرة الآثار الأردنية, الدكتور علي صبرة بوزارة السياحة والآثار المصرية, الفرنسي جيروم نوريس المتخصص في النقوش الثمودية.

25() تم قراءة النقش وترجمته بمساعدة الأستاذ الدكتور سليمانبن عبد الرحمنالذييبأستاذالكتاباتالقديمةوالأثاربقسمالآثاركليةالسياحةوالأثارجامعةالملكسعود.

26()كانتينو, اللغة النبطية, ص 100.

27() محمودسا لم غانم, نقوشنبطيةمنمنطقةهشمالغربخليعالسويس" دراسة لغوية حضارية " رسالةماجستيرغيرمنشورة,كلية الآداب, جامعة الإسكندرية, مصر, 2016م, ص 53.

28() ورد هذا الاسم في النقش التالي" ش ل م ع م ي و ب ر ح ر ي ش و ك ه ن ع ز ي ا", وترجمة النقش" سلام عميو بن حريشو كاهن العزيا", ويبدو أن العزيا يطابق الآلهة العزى التي عُبدت في البتراء,كانتينو, اللغة النبطية, ص 254.

29() ورد هذا الاسم أيضاً في أحد النقوش النبطية التي تقع بموقع أثار السليك على الساحل الغربي لخليج السويس, وقد ورد ذكره في النقش الآتي: سل م أ و ي س و ح ر ي ش و ب رأ و س و, وترجمة

النقش " تحياتأويسبنحَريشبنأَوْس". محمودسا لم غانم, نقوشنبطيةمنمنطقهشمالغربخليعالسويس, ص 52-53.

30() كانتينو, اللغة النبطية, ص 280.

31() سليمان بن عبد الرحمنالذييب, المعجم النبطي، دراسة تحليلية مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض, 2000م, ص 56.

32() كانتينو, اللغة النبطية, ص 138.

33() تم البحث عن هذا الاسم في معجم الأعلام الخاص بالنقوش النبطية المنشورة من البتراء والحجاز والحجر وسيناء وحوران, للاستزادة انظر معجم الأعلام النبطية بالمرجع السابق:كانتينو, اللغة النبطية, ص 259-372.

34() أحمدحسين شرف الدين,مسالكالقوافلالتجاريةفيشمالشبهالجزيرةالعربيةوجنوبها " تاريخشبهالجزيرةفيعصرماقبلالإسلام",المجلدالثاني,الرياض, 1978م, ص 251-257.

35() تامر محمد حسن العراقي, الآثار والنقوش النبطية في سيناء، رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة كفر الشيخ، مصر, 2019م, ص 27.

36() حياة بنت عبد الله حسين الكلابي, النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية (من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض, 2009م, ص 429.

37() اعتمدت هذه الدراسة على تأريخ مثل هذه الرسوم إلى العصر الإسلامي معتمدةً على ظهور المساند التي يجلس عليها الفرسان أعلى الجياد, حيث يميزجسدالخيول بالرسومظهورالجزءالمساندللفارسالأماميوالخلفي(سرج الخيل)،بالإضافة إلى طريقة تنفيذالنقشوالشكلالمتطورللجوادمنحيثالأرجلوطريقةتمثيلالذيلوظهورالجزءالمساندللفارس,وكلهاتمثيلاتلمتظهرفيعصورماقبلالتاريخ. للاستزادة انظر:خالدسعد مصطفيومحمدجلالمحمود, ثلاثةمواقعللرسومالصخريةغيرالمنشورة بشبةجزيرةسيناء:كهفطورمحني–منطقةالفرش –واديالرحايا, حوليةالاتحادالعامللآثاريينالعرب, العدد 24, القاهرة, 2021م, ص 427.

38() ألفريدبيستون, قواعدالنقوشالعربيةالجنوبية"كتابات المسند", ترجمة رفعتهزيم, مؤسسةحمادةللخدماتالجامعية،الأردن, 1995, ص 9.

(39) Anati, E., Rock- Art in Central Arabia, Publications de l'institutorientaliste de louvain, 4, expedition Philby- Ryckmas- Lippens en Arabie, vol. 3 ,Corpus of the rock engravings, Parts I and II, Louvain – la- Neuve, 1972, p 27.

40() الحز في اللغة افتعل من القطع, وقيل الحَزُّالقطعمنالشيءفيغيرإبانَةأوقَطْعٌغيرُظاهر ,والفَرْضُفيالعظموالعُودغيرطائلحَزٌّأيضا, والتحزيز كثرة الحز كأسنان المنجل وربما كان ذلك في أطراف الأسنان. للاستزادة انظر: ابن منظور, لسان العرب, ج ٢, دار المعارف، مصر, ص856.

41() إيادالمصريومهديعبدالعزيز, المدلولاتالاجتماعيةفيالنقوشالنبطية, معهدالملكةرانياللسياحةوالتراث, الجامعةالهاشمية, الأردن, ص 3؛ أحمد العجلوني،حضارةالأنباطمنخلالنقوشهم، مشروع بيت الأنباط للطباعة والنشر,البتراء،الأردن, 2003م, ص47.

42() أحمدحسين شرف الدين,مسالكالقوافلالتجاريةفيشمالشبهالجزيرةالعربيةوجنوبها, ص 251-257.

43() للاستزادة عن نقوش التملك أو الملكية أنظر سليمان بن عبد الرحمنالذييب, دراساتفريدريكوينيتلنقوشثموديةمنمنطقةحائل:دراسةتحليلية, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, العدد الأول, مكتبة الملك فهد الوطنية, الرياض, 2014, ص 29؛ محمود محمدالروسان,القبائل الثمودية والصفوية" دارسة مقارنة", الطبعة الثانية, عمادة شئون المكتبات, جامعة الملك سعود الرياض, 1992م, ص 85.

44() محمودعبدالباسطعطية السيد, الإبلفيالكتاباتوالفنونالصخريةبمنطقةحائل, العدد الأول, مجلةالجمعيةالسعوديةلدراساتالإبل, الجمعيةالسعوديةلدراساتالإبل, جامعةالملكسعود, الرياض, 2019م, ص41.

45() الجمل هو الذكر من الإبل. ابن منظور, لسان العرب, دار الكتب العلمية, بيروت, 1993, باب (أ ب ل).

46() الناقة هي الأنثى من الإبل, وجمعها نوق, أو أُنوق, وأينق, وأيانق, ونياق. ابن منظور, لسان العرب, مادة (ن و ق).

47() فايزأنورعبدالمطلب مسعود,مسمياتوصفاتالإبلفيالنقوشالثمودية, العدد 11, مجلةدراساتفيعلمالآثاروالتراث, الجمعيةالسعوديةللدراساتالأثرية, جامعةالملكسعود, الرياض, 2020م, ص6.

48() وادي حفير يقع بمحافظة العقبة بالأردن.

49() فايزأنورعبدالمطلب مسعود,مسمياتوصفاتالإبلفيالنقوشالثمودية, ص 6.

50() محمد حمزة إسماعيل الحداد, النقوش الأثارية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية, المجلد الأول, مكتبة زهراء الشرق, القاهرة,2002م, ص 16.

51()كانتينو, اللغة النبطية, ص 254.

52() انظركانتينو, اللغة النبطية, ص 311

53() محمودسالمغانم وآخرون, السليك : استراحةنبطيةعلىالساحلالغربيلخليجالسويس, مجلة مدارات تاريخية, المجلد 2, العدد 4, الجزائر, ديسمبر 2020م, ص 227.

54() خالد بن محمدأسكوبي،دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة رم بينثليثوات وقيعان الصنيع جنوب غرب تيماء، الرياض، دارة الملك عبد العزيز الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الآثار والمتاحف, 2007م, نقش 45.

55() انظر فايزأنورعبدالمطلب مسعود,مسمياتوصفاتالإبلفيالنقوشالثمودية,ص6.

56()للاستزادة انظر أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي, فقه اللغة وأسرار العربية, الطبعة الثانية, المكتبة العصرية, بيروت, 2000م, ص 43, 44. 54, 124, 130, 225-227.

57()فايزأنورعبدالمطلب مسعود,مسمياتوصفاتالإبلفيالنقوشالثمودية, ص 3-12.

58() عبدالمنعمعبدالحليم سيد, صلاتالأنباطبمصرمنخلالالنقوشالنبطيةعلىصخور الحجازوصحراءمصرالشرقية, مجلة كليةالآدابوالعلومالإنسانية, المجلد الأول, جامعةالملكعبدالعزيز, الرياض, 1981م, ص43.

(59) Zayadine, F, The Pantheon of the Nabataean Inscriptions in Egypt and the Sinai. Aram 2, 1990, p 154-155 ؛ Negev, A, The Nabateans and the Provincia Arabia. ANRW 2.8,1977, p 73.

60 ()عبدالمنعمعبدالحليم سيد, صلاتالأنباطبمصرمنخلالالنقوشالنبطيةعلىصخور الحجازوصحراءمصرالشرقية, ص 42.

(61) Palmer, E, The Desert of the Exodus: Journeys on Foot in the Wilderness of the Forty Years Wandering. Deighton, Bell and Co., Cambridge. (Vol 46), 1871, p 190-193.

62()عبدالمنعمعبدالحليم سيد, صلاتالأنباطبمصرمنخلالالنقوشالنبطيةعلىصخور الحجازوصحراءمصرالشرقية, ص 57.

63() ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو أثناء رحلته إلى مصر واجتيازه للصحاري المصرية أن الأبل تستريح مرة أثناء السير وخاصة في أوقات الذروة. للاستزادة انظر ناصر خسرو علوي,سفر نامة, ترجمة يحي الخشاب, الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, 1993م, ص 133.

تأثير النشاط الملاحي على الدين المصري القديم.

The Impact Of Navigational Activity On The Ancient Egyptian Religion.

د. بلعباس محفوظي(*) 1،
جامعة عمار ثليجي "الأغواط"، abassalgeria@gmail.com

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة تاريخ القبول:30/06/2022

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية الى معرفة تأثير الملاحة على الوازع الديني لدى المصري القديم وهذا نابع من حياته الدنيوية، إذ شبه عبوره النيل بواسطة المراكب ما يقوم به إله الشمس بمركبي النهار والليل (مراكب الشمس)، بالاضافة الى استعمالها في المواكب الجنائزية وفي الأعياد الدينية بحيث كانت مصاحبة وضرورية لطقوس الدفن، وبما أن المسلة قديما رمزا من رموز الشمس المقدسة من السماء والممثلة في قمتها الهرمية كان لها بعد ديني ارتبط بعقيدة الشمس و بنظرية الخلق، عمل الفراعنة على جلبها أمام معابدهم من محاجر أسوان بسفنهم الضخمة.

الكلمات الدالة: الملاحة.، الدين المصـــري القديم.، مراكب الشـــمس.، المواكب الجنائزية.، عيد الأوبت.، المسلة.

Abstract:

This research paper aims to know the impact of navigation on the religious motive of the ancient Egyptian, and this stems from his earthly life, as his crossing of the Nile by boats resembles what the sun god does with the day and night boats (sun boats), in addition to its use in funeral processions and religious feasts so that it was Accompanying and necessary for burial rituals, and since the obelisk was in the past a symbol

(*) المؤلف المرسل:د. بلعباس محفوظي: abassalgeria@gmail.com

of the sacred sun from the sky and represented at its hierarchical summit, it had a religious dimension linked to the doctrine of the sun and the theory of creation, the pharaohs worked to bring it in front of their temples from the quarries of Aswan with their huge ships.
Keywords: navigation; ancient Egyptian religion; sun boats; funeral processions; Opet; obelisk.

___

1. مقدمة:

لقد اهتم الإنسان المصري القديم بالملاحة وركوب البحر منذ القدم، فكانت جزء من عقائده ومذاهبه الدينية، فنجده كثيرا ما يتغنى بالسفر والإبحار في أناشيده الدينية، وفي تصوراته عن خلق الكون والحياة ما بعد الموت كما قدس آلهتها المرتبطة بها، بالاضافة انها بني على العديد من المعتقدات والنظريات الدينية كان الماء محور نشأتها ومن هنا نطرح اشكالية تتمحور حول ارتباط الملاحة بالمعتقد الديني؟

2. إبحار المعبود "رع":

رع هو رب الشمس، فقد ارتبطت الملكية بالعقيدة الشمسية منذ أواخر عصر الأسرة الرابعة وبداية الأسرة الخامسة، ومنذ ذلك الحين اعتبر "رع" ربا رسميا للدولة بصورته المفردة، أو من خلال دمجه مع عدد من الأرباب الآخرين عبر مختلف العصور، كان أشهر هذه الاندماجات، دمجه مع الإله "آمون" (إله طيبة) في عصر الدولة الحديثة تحت اسم "آمون-رع"[1].

وقد جسد هذا الإله في أشكال وهيئات متعددة، مثل هيئة قرص الشمس قرنى الجناحين للتعبير عن قدرته على التحليق في السماء، أو على هيئة جسم آدمي برأس صقر متوج بقرص الشمس، وقد طوقته حية للتعبير عن قوته على نثر النيران على أعدائه[2].

لقد كان الاعتقاد برحلة المعبود "رع" في مركب الشمس ورحلتي الليل والنهار[3]، حيث يقول سليم حسن :" للملاحة أثر فعال في معتقدات القوم الدينية وفي شعائرهم فكان في

نظرهم الإله "رع" يسير في الفجر في سفينة الصباح وعند الغروب يسبح في سفينة الليل، أما النجوم فكانت تسبح في قواربها الخاصة "[4].(أنظر الشكل1)

وكان الآلهة هم بحارته الذين يقومون على خدمته وهو طفلا صغيرا حديث الولادة عند الفجر، وكلما تقدمت الساعات يتسارع في النمو ليصبح في وسط النهار رجلا مكتمل القوة، ثم يبدأ بالتقدم في السن بعد الظهر حتى تأتي ساعة الغروب ثم يتحول إلى شيخ أحنى الضعف ظهره[5].

الشكل1: نون إله المياه الأزلية يرفع على قارب الشمس الخاص بالإله الشمسي تصحبه سبعة ألهة من مقبرة رمسيس السادس



https://egypte- eternelle.org/im/vro/KV920.jpg

كما اعتبر المصريون القدماء أن السماء[6] هي فضاء واسع يقع على الماء وكيف أن الشمس والقمر والنجوم تسافر إليها خفاءً، وأنهم كانوا متأكدين بأن عقولهم أجسادا سماوية

تسافر إلى السماء في قوارب، وأن الشمس ممسوسة بقاربين[7]، حيث كان المصري القديم يعتقد بأن هذه السماء صحن حديدي يشمل الفضاء الموجود فوق الدنيا، وأن هذا الصحن مرفوع على حبال في أربعة أركان هي الشمال والجنوب، الشرق والغرب، وكانوا يتصورون أن حول العالم يجري نهر عظيم وهو الذي تسبح فيه الشمس يوما بعدد يوم في سفينتها مرسلة الأنوار للدنيا، ويتبع الشمس في سيرها القمر وهو يبحر في سفينة خاصة وتحرسه عينان لا تغفلان عنه ابدا[8]،"حتحور" هي العين اليمنى وربان النهر بينما يمثل "إيزة" العين اليسرى وربان الليل التي تلتقي "بأوزير" في العالم السفلي[9].

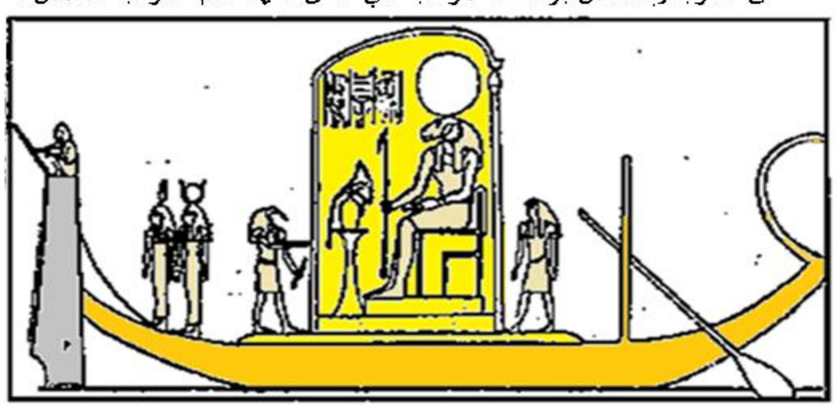
"يتجلى رع متألقا في أفقه، إن تاسوعه في معيته وعندما يخرج من المكان السري تعتري الأفق الشرقي من السماء رعشة علة صوت نوت...انهض إذن رع أنت الذي في مقصورتك لتستمتع بالنسيم وتستنشق ريح الشمال ...بينما يبحر قاربك المقدس ناحية السماء السفلي العظماء يرتعدون عند سماعهم صوتك...وهكذا تعود كل يوم وانت جديد ياسيد المتعة ...إن الأفق في فرح وأولئك الذين بين حبال قاربك مغتصبون"[10].

والنقوش الملونة على جدران المقابر الملكية في "طيبة" والتي تصور كتب العالم الآخر ورحلة "رع" في مركبه الليلية تظهر نوعا من الاندماج والإحلال بين هذا المعبود وبين "أوزير" حيث يتحد "رع" مع المعبود "أوزير" في العالم الآخر خلال رحلته، وليصبح "أوزير" بذلك بمثابة الجسد للمعبود، ويصبح "رع" بمثابة الروح، ويستمر هذا الاندماج بين الإلهين في رحلة الصباح حيث يصعد رع بوصفه "با" روحا في النهار ويعاود الاتحاد بالجسد في الليل[11].

وبهذ اعتقد الإنسان المصري القديم أن إله الشمس "رع" بحاجة إلى مركب يساعده على الانتقال من الشرق إلى الغرب[12]، (الشكل2) هذا الاعتقاد النابع من حياته الدنيوية إذ شبه ما يقوم به الفرد وعبوره نهر النيل بواسطة المركب بما يقوم به إله الشمس بعبوره نهارا بمركبه الخفي[13]، الذي أطلق عليه إسم "معتيت"[14] MATET

بمعنى مركب الفجر ومركب آخر لرحلة المساء يسمى "سكتت" sektet
[15]، وعند الغروب يجوب بها العالم السفلي أو سماء عالم الموتى [16]، وهما ما يطلق عليها مركبا الشمس، وكان لهذين المركبين طراز معين يتوسط كل منهما رموز خاصة لم تختلف ولم تتطور على مر العصور الفرعونية، هو عبارة عن قارب طويل مقدمته عالية تنتهي بمنصة لها شكل يشبه المربع، تتدلى منها ستارة عريضة تكاد تلمس سطح الماء، أما مؤخرة القارب فهي عبارة عن بروز ينحني أولا إلى الداخل ثم لا يلبث أن يمتد في استقامته إلى الخارج، ويقام في وسط القارب قوائم ترمز إلى نواحي دينية معقدة توارثها المصريين عن عصورهم القديمة ،وتخيل المصري القديم أحيانا أن هذا القارب من الذهب الخالص، يعبر به إله الشمس السماء وتشرف النجوم على تسييره[17].

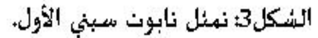
الشكل رقم2: تصور المصريون القدماء أن إله الشمس "رع" ينتقل من الشرق الى الغرب وبالعكس بواسطة المراكب التي أطلق عليها اسم " مركب الشمس".



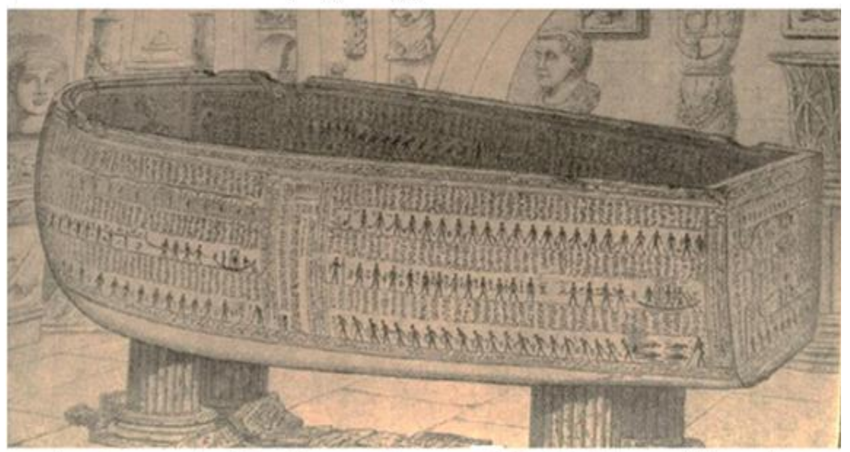
مختار السويفي، من تاريخ البحرية وصناعة بناءالسفن في مصر القديمة، مجلة المدير الناجح، ع88-90، مصر،2000م،ص60.

كما صورت الشمس في تابوت سيتي الأول (من ملوك الدولة الحديثة) (أنظر الشكل3) في شكل وردة خارجة من ماء السماء اعتقدوا بأن الشمس عبارة عن وردة خارجة

من ماء السماء كل صباح في هذا القارب، ويرفع خارج الماء عن طريق الربة "نوت" وهو يستند بأيدي مرفوعة، وكما يذكر النص: "**اظهر من المياه، واحمل هذا القارب**"، وبداخل القارب نرى خنفساء ضخمة وقرص الشمس يعلوها، وداخل الربة "نوت" ربة السماء والتي تستقبل "رع" وعلى يمين الخنفساء الربة "نفتيس"، وثلاثة آلهة وعلى اليسار الربة "إيزة" و"جب" إله الأرض، وتحوت الإله الذي ينطق بكلمات القوة و"حو" و"صا" الأسطورة تقرأ هذا الإله يستقر في قارب" منتيشت" مع الآلهة الذين معهم[18].



الشكل3: تمثل تابوت سيتي الأول.



An Account of the Sarcophagus of Seti I, King of Egypt, B.C. 1370, Sir John Soane's Museum M2898-01.jpg

و"رع" بكل قدراته وقدرات الآلهة المصاحبة له لم يستطيعوا تفادي هجمات الشياطين والكائنات المرعبة التي كانت تخاطر باعتراض مسار قاربه، هذه الشياطين كان أهمها "أبيب" Apep و"سيباو" Sebau و"ناك"Nak"، والأول كان أكبرها وأكثرها شرا، حيث كان يجسد في عصر الأسرات ظلام أكثر ساعات الليل ، وكان على "رع" ليس فقط قتاله، ولكن أن ينتصر عليه أيضا ليستطيع أن يشرق كل صباح، وهو أيضا كان ذلك الظلام الدامس

الذي كان يغلف "نو" في البداية والذي وضع العقبات العديدة الخطيرة أمام الشمس عندما بدأت طريقها من خارج ماء التجمع الداخلي الذي بزغت منه لأول مرة[19] .

ورغم أن الإله "حورس" الذي نصب نفسه إلها للشمس لم يكن هو الإله الوحيد حيث نجد الإله "رع" الذي جاء ليكشف "حورس"، وكان الإله "رع" يطل على المصريين من جبل المشرق في كل صباح بأشعته الذهبية التي يرسلها للناس، فخورا بانتصاراته على قوى الظلام بادئا رحلته النهارية في زورقه السابح في البحر السماوي طاويا ملايين السنين، واهبا للنور واالدفئ وكل مقومات الحياة للمخلوقات على سطح الأرض من نبات وحيوان وإنسان[20].

وهناك تعويذة لحماية زورق "رع" في كتاب الموتى: **"يا من شق الماء وخرج من الماء الأزلي والجالس في مؤخرة زورقه اجلس في مؤخرة زورقه واذهب الى مكانك في البارحة، الأوزير فلان قد انضم إليك كميرا عظيما في ركابك لأنك عندما تزهر يزدهر هو أيضا... يارع باسمك الذي هو رع اذا مررت بالقرب من الموتى الذين يتقدمون ورؤوسهم إلى الأسفل ...**[21]

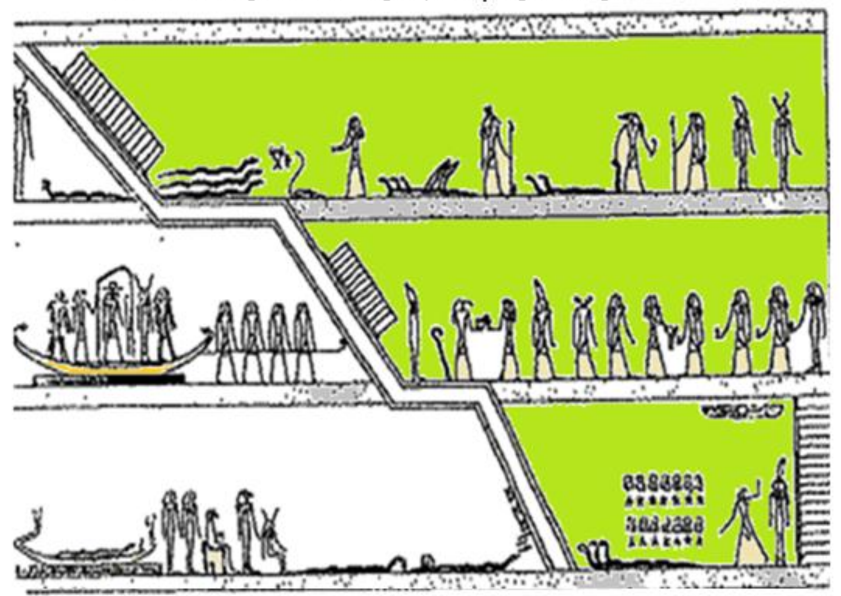
وكما كان اسما القاربين مناسبين لشروق وغروب الشمس نجد أن اختيار الربة "ماعت" لتحديد مسار "رع" خلال رحلته اليومية عبر السماء منذ بداية الخلق، كان يدل على أن ما أدهش الإنسان البدائي وجعله يعبد الشمس جنبا إلى جنب مع ضوئها وحرارتها هو انتظام شروقها وعدم كللها، فالربة "ماعت" تجسد الاستقامة والعدل والقانون والانتظام، وما يشبهها من معان، و"رع" كان مضطرا لأن يترك قاربه في أماكن معينة خلال رحلته في التوات أو العا لم الآخر ليلا، ويستخدم لتنقلاته وسائل أخرى حتى أنه كان يستخدم في بعض الأحيان جسد الثعبان، وأن كان هناك رأى آخر يعتقد أصحابه أن "رع" كان يغير قاربه كل ساعة من ساعات النهار والليل، إلا أن الديانة الأكثر قدما جعلته يمتلك قاربين فقط[22].

والإله "رع" يسحبه خلال رحلته عددا من الآلهة التي كان من واجبها المساعدة على جعل قاربه يبحر بأمان أثناء سفره من الجزء الشرقي للسماء إلى المكان الذي يدخل فيه إلى التوات، ذلك المسار الذي صممه وحدد مكانه كل من "توت" وزوجته الربة "ماعت" اللذين

كانا يقفان على جانبي "حورس" الربان الذي يمسك بالدفة، أما الربتان السمكتان "ابتو" abtu و"انت" ant المرشدتان للقارب فقد كانتا تسبحان على جانبي القارب وأمامه[23].

وكان يسعد المصري أن يشهد الشمس ساعة شروقها وقد عبر عن فرحته هذه في الفصل الخامس عشر من كتاب الموتى ":"**مرحى أيها القرص.. أنت رب الضياء الذي يشرق في الأفق يوما بعد يوم ..لتسطع بأشعة الضوء فوق وجه أوزيريس–آني الظافر (المبرأ) لأنه يغنى ترانيم المديح لك عند الفجر ويودعك في غروبك عند المساء بآيات التبجيل عسى ان تصل روح اوزيريس –آني الظافر مع نحو السماء عسى ان يتقدم في زورق "معدت"(يرتحل في قارب المعنجت و قارب المسمكتت) وعسى ان يشق طريقه وسط النجوم التي لا تغمض في السموات أبدا".**[24] ، وعلى ذلك فإن الشخص كان يأمل سواء أكان رجلا أم امرأة أن يحمل في قارب الشمس وأن يبحر عبر السماء في حضرة "رع" ذي البهاء"[25]. (انظر الشكل4).

الشكل4: رحلة المتوفى في عالم الموتى "مقبرة تحوتمس الثالث".



لبشنبرج روجيه ودونان فرنسواز، المومياوات المصرية من الموت الى الخلود،تر: ماهر جويجاني، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص60.

كما كانت قصارى أماله أن يحيا بعد الموت في عالم الخلود الى جانب "رع" إله الشمس بعد رحلته جاب أثرها السماء الدنيا بالنهار، وأخرى جاب أثرها سماء العالم السفلي بالليل[26]، إذ يقول: **"يأيها الكبير في زورقه اجعلني أستقر في زورقك ادفعني الى سلمك لأقود ابحارك مع رفاقك الذين هم النجوم التي لا ترهق أبدا...وإن زورق الليل وزورق النهار سيأتيان بهما إلي، أما هبات المدن فستقدمها مذابح أرواح هيلبوليس**[27]. وقد عثر علماء الآثار على حوالي خمسة مراكب، بعضها مصنوع من الخشب وبعضها من الحجارة[28].

وهناك نموذج لسفينة تعود للملك توت عنخ أمون عثر عليها في غرفة الكنوز، حيث كان الهدف منها أن يستخدمها الملك في رحلاته إلى العالم الآخر ولهذا فإن جميع السفن كانت تواجه الغرب في إشارة واضحة إلى اتجاه الرحلة، والسفينة مجهزة بأشرعة وأكفان وبها قمرة مركزية

ومقران عند نهايته مزينان بصور للثور وأبي الهول، وهذا النوع من السفن كان يستخدم للقيام بالحج إلى مدينة أبيدوس المقدسة، كما تم العثور على عدة مراكب الشمس في خزانة المقبرة، تميزت بمقدمة مرفوعة على شكل زهرة لوتس ومؤخرة مقوسة بالداخل، وقد وضع الكرسي العرش في الوسط المركب تماما كما زودت بمجذافين للتوجيه، وقد تم صناعتها من الخشب مغطاة بطبقة مطلية بالجص، مع بعض الأجزاء المذهبة مثل مقدمة المركب ومؤخرته التي كانت منقوشة بأسماء توت عنخ أمون[29].

3. المراكب والشعائر الجنائزية:

عندما يموت الانسان المصري القديم يحمله أهله أو أقربائه إلى المحنطين[30]، وكانت هذه العملية تتم عن طريق طبقة من المحنطين "رئيس المحنطين ورجال من الكهنوت والجراحين والعملة وبعض أرباب الصنائع التي يستلزمها التحنيط"، وكان هؤلاء يمارسون مهنتهم في أطراف المدن وجوانب النيل حيث الماء لأن تطهير الجسد يتطلب الكثير من الماء، وقد أظهرت بقايا المواد النباتية على المومياوات أن التحنيط كان يتم في الهواء الطلق[31].

كما زود الميت بالنصوص الدينية الجنائزية وهي من أهم النصوص الخاصة بعالم ما بعد الموت في مصر القديمة، كتبت في البدء على التوابيت[32]، ثم على لفافات البردي خلال الدولة الحديثة وأضيفت لها مواد أخرى وسميت بـ "كتاب الموتى"[33]، وظهر في النصف الثاني من عهد الأسرة الثامنة عشر نصوص جنائزية أخرى مدونة في كتابان آخران (ايم دوات–أي ما في العالم السفلي) المكون من 12 قسما ومنظمة مثل نظام المقاطعات المصرية[34]، يتحدث عن رحلة الشمس ليلا في العالم السفلي وأمل الميت بلحاق موكبه، حيث يستعين بالنصوص الموجودة في ذلك الكتاب حتى يتمكن من تخطي الأخطار التي تكتنف طريقه ليلا[35]، أما الكتاب الثاني فهو" كتاب الأبواب" الذي ينقسم 12 قسما بقدر ساعة الليل الاثني عشر، ويتحدث عن رحلة الشمس خلال أقسام العالم السفلي الاثني عشر[36]، وكان الملك "أمنحوتب الثاني "من ملوك الأسرة الثامنة عشر أول من أمر بنقش حجرة دفنه بالكتب الجنائزية ومنها

كتاب "ما يوجد في العالم الآخر" و"كتاب الأبواب" و"كتاب الكهوف" و"كتاب الليل والنهار"[37].

وقد لجأ المصريون القدماء في عهد الدولة الحديثة وخاصة الأغنياء إلى تزوير الموتى لـ"أوزير" في أبيدوس قبل دفنهم في المقبرة حيث تلف المومياء بقماش من الكتان المطرز وتوضع في القارب المتجه إلى أبيدوس، ويصحبها كهنة يرتلون ويطلقون البخور، ويحصل المتوفي على بركة وقرابين الإله أوزير ثم يقفل راجعا من أبيدوس في سلام[38].

لذلك كانت المراكب أحد أولى وأقدم العناصر الفنية التي حرص المصري القديم على رسمها ونقشها منذ عصور ما قبل التاريخ ضمن مواضيعه الفنية، التي لا يخلو رسمها من غرض عقائدي في أغلب الأحيان ، وكان للنيل أثر كبير في الفكر والعقيدة المصرية، فكما كانت القوارب ضرورية في حياة المصريين اليومية، هي أيضا ضرورية للموتى للوصول إلى عالم الآخرة، إذ استخدمها المصريون في نقل رفات موتاهم من ضفة لأخرى، كما ظهرت مراكب مقدسة خاصة بالاحتفالات والطقوس الدينية على الأقل منذ عصور ما قبل الأسرات إلى غاية الدولة الحديثة[39].

4. قوارب الموكب الجنائزي:

فيما يخص هذه القوارب، كانت مصاحبة وضرورية لطقوس الدفن، فبعد أن تتم عملية التحنيط يصحب المتوفى في بطئ في موكبه الجنائزي حتى يصل إلى شاطئ النيل، حيث كان في انتظاره مجموعة من القوارب، القارب الرئيسي، كانت مقدمته ومؤخرته مقوستين في رشاقة إلى الداخل وتنتهيان في شكل مجموعات من نبات البردي، وبه غرفة كبيرة مبطنة من الداخل بأقمشة مطرزة وسيور من الجلد، وفي هذه الغرفة كان يوضع النعش ومعه تمثلي الإلهتين الأختين إيزة ونفتيس[40].

ففي عهد رمسيس الثاني خصصت لدفنه سفينة ضخمة في شرق الدلتا على ضفاف مياه "رع" لا يقل طولها عن ستين ذراعا، وكانت قد شيدت خصيصا من أجل جنازة الفرعون راسية على رصيف الميناء، وكان قد لزم الأمر تزويدها بمظلة ضخمة لأجل حماية تابوت الملك

وجثمانه، فبدت كأنها نعش هائل مزين، فقد زخرفت بفروع باسقة من نبات البردي إيماء إلى المستنقعات الأولية في بدء الخليقة، حيث روح رمسيس تطرقها وتجوب أنحاءها [41].

ومواكب الدفن تعرف فقط من الرسوم التي على جدران المقابر، ورغم تكراراها كثيرا فإن العديد من تفاصيلها يبدو غامضا، ومن هذه التفاصيل رحلتان يقوم بها جسد الميت إحداهما إلى "بوزيريس" في دلتا مصر، والثانية إلى أبيدوس في الصعيد حيث نرى مركبا يعلوها الميت تجرها سفينة أو سفينتان شراعيتان، ويبدو أن هذه الرحلات كانت فقط مجرد ذكرى مصورة للدفنة الملكية[42].

كان الكاهن يقوم بحرق البخور وهو يغطي كتفيه بجلد الفهد، بينما تواصل النائحات اللطم على رؤوسهن ويقتصر عدد نوتية هذا القارب على بحار واحد يتحسس عمق الماء بمدرى طويل إذ أن القارب الذي يحمل التابوت كان يجره مركب آخر ذات عدد كبير من النوتية، بقيادة قبطان يقف في مقدمة المركب يعاونه نوتي (الملاح الذي يدير السفينة) يتحكم في الدفة في مؤخرة المركب، وهذا المركب القاطرة تحتوي على حجرة واسعة تجتمع النائحات فوق سطحها متجهات نحو النعش وقد كشفن عن صدورهن ويواصلن الصراخ ويأتين بحركات تنم عن الحزن الشديد وعلى سبيل ما يقولون:" **لنذهب سريعا نحو الغرب...إن نساء القارب يبكين كثيرا وكثيرا جدا...**[43].

وهناك شبه كبير بين المراكب الخاصة بالنعش المعدة لتعبر نهر النيل، ومراكب المعدة للسفر لأعالي البحار لأهل جبيل، بالرغم من تشابهم إلا أنهم يختلفون، والسبب أن "إيزة" عندما قامت باسترداد الشجرة المقدسة التي كانت تحوي جسد زوجها أوزير حملتها فوق مركب كانت متأهبة للإقلاع متجهة نحو مصر، وهناك احتضنتها وأخذت ترويها بدموعها، وهكذا تفعل سيدات الأسرة تعبيرا عن حزنهن فوق القارب أثناء عبور النيل[44].

وكانت تستعمل أربع سفن أخرى لنقل أولئك الذين كانوا يرغبون في مصاحبة المتوفي حتى مثواه الأخير وتوضع فيها أيضا كافة الأثاث الجنائزي، أما من لم يكن يرغب في الذهاب بعيدا فكانوا يبكون على الشاطئ ويوجهون إلى صديقهم تمنياتهم الأخيرة :"..**لعلك تبلغ**

بسلام غرب طيبة" أو كانوا يقولون أحيانا:" **إلى الغرب..إلى الغرب أرض الأبرار** ..."وقد أتت اللحظة التي ترفع فيها المرأة صوتها الناحب: " **يأخي. يازوجي ..ابق استقر مكانك ولا تبتعد...واحسرتاه إنك تذهب لتعبر النيل** ...[45].

وهناك من عهد رمسيس الثاني عندما تحرك موكبه الجنائزي سارع سكان السواحل والفلاحون وأعداد غفيرة من المدنيين وقد علموا بخبر مروره للتجمهر والتجمع على ضفاف نهر النيل، وهناك على مقربة من مياه النهر كانت تتعالى صيحات ونحيب النساء الحزينات المتأسيات، بل إن بعض منهن كن يهلن التراب فوق رؤوسهن تعبيرا عن شجنهن وهن يرددن في نهاية كل أغنية جنازية يصدح بها الملاحون بعض المقاطع الغنائية الحزينة التقليدية [46].

وفي الجانب الآخر من غرب الشاطئ فإن الاستعدادات كلها معدة لمقابلة الموكب، فالناس قد تجمعوا وأقيمت حوانيت صغيرة تحوي مجموعة وافرة من الأدوات الخاصة بالمراسيم الجنائزية لأولئك الذين لم يكونوا أتوا معهم بما يكفي منها، وقد أمسك أحد الرجال بمقدمة المركب الأولى وسرعان ما ينزلون الركاب والنعش والأثاث جميعه إلى الشاطئ ، ثم يقوم زوج من البقر الزحافة التي تحمل مركبا من طراز قديم وأخذت كل من ايزة ونفتيس مكانهما، وبعد مشقة يصل الموكب إلى مكان دفنه [47].(أنظر الشكل5).

الشكل5: الموكب الجنائزي.

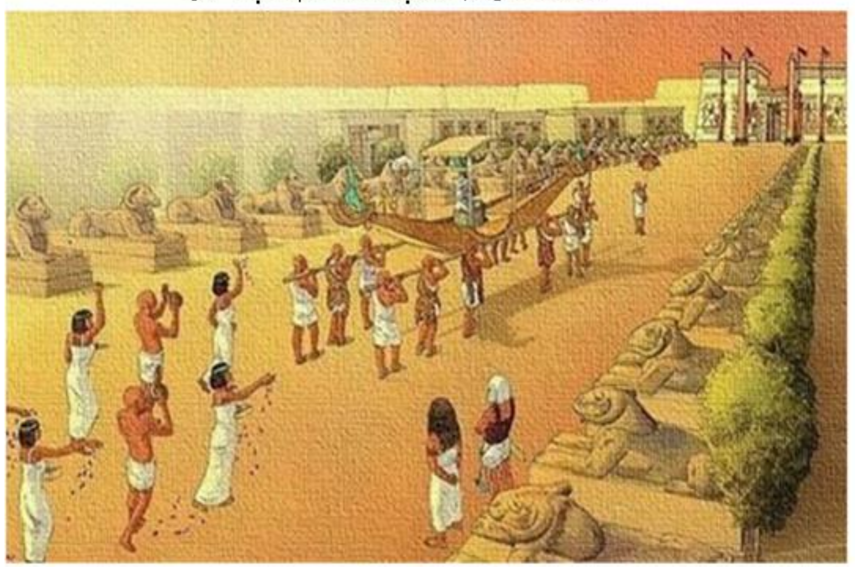


Pearce Paul Creasman.Noreen Doyle,**Ouverland Boat Transoprtation During The Pharanic Period**:Archaeology And Iconogrphy, Journal Of Ancient Egyptian Interconnections, Vol:2.3,2010,p21.

5. مراكب الاحتفالات الدينية:

سرعان ما عاد الفرح والسرور ثانيا بين أفراد الشعب بعد انقضاء الأيام الخمسة عشرة التي يتم خلالها الاحتفال بالعام الجديد، أو بالتحديد بعد وصول الفيضان، ففي هذا الوقت خاصة تقل أوجه نشاط المصريين بسبب اندفاع مد الفيضان المفعم بالخير والخصب على حقولهم،لذلك فقد تقرر إحياء أعياد "الأوبت" الكبرى التي ربما تستمر طوال ثلاثة وعشرون يوما بشهر سبتمبر في هذا العام[48]، ويعد هذا العيد أكثر الأعياد شهرة في عصر الدولة الحديثة[49]، حيث ذكرت متون الأهرام أنواع من المراكب استخدمها الملك في هذه المناسبة[50]. (أنظر الشكل6).

الشكل 6: رسم تخيلي لعيد الأوبت في مصر.



https://www.civgrds.com/wp-.jpg

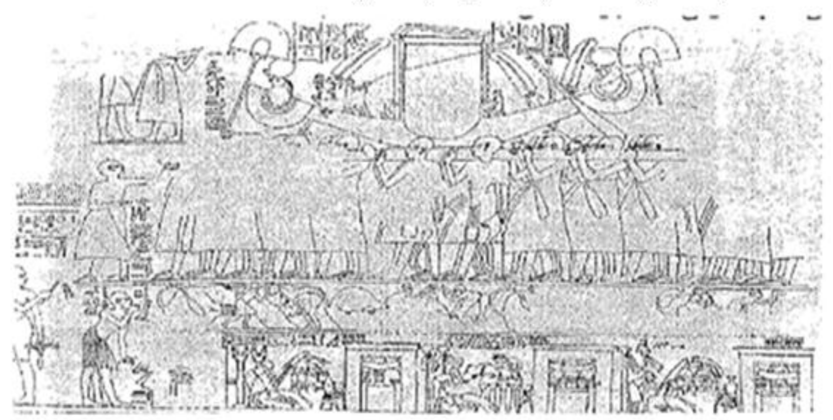
وتبدأ مناظر هذه الرحلة بأن يقدم الملك القرابين للقوارب الإلهية، وهي قوارب الآلهة آمون وموت وخونسو، إذ تحمل هذه القوارب فوق أكتاف الكهنة من معبد الكرنك حتى النيل، ثم يجري الإبحار بها في النيل حتى الرسو عند الأقصر، ويصحب هذا الإبحار موكب على البر من الكهنة والجيش وعامة الشعب، وحتى الذين كانوا يقومون بسحب القوارب ضد التيار يؤدون هذا العمل الصعب في سرور[51].

"أنت المشرق دوما يا آمون رع، وأنت في السفينة الكل يمجدك، فكل الأرض في عيد لأن ابنك الأكبر ووريثك يسير بك إلى الأقصر، ندعوك أن تهبه الخلود كملك للقطرين، وأن تكون سنواته كلها سلام ، واحمه وزوجته وهبه الحياة والاستقرار والسلطان وأنعم عليه بالمجد واجعله ملكا سعيدا"[52].

ونظرا للأبهة والفخامة التي شهدها هذا العيد، فقد كان كافة أهالي ضفاف النيل في عهد الملك رمسيس الثاني يتجمعون على الشواطئ للتمتع بمشاهدة عرض ذلك الموكب المهيب والفخم للمركب الإلهي الذي يحمل على متنه تمثالا للإله آمون يتبعه في هذا العرض مركبتين لكل من الربة "موت" والإله "خنسو" الابن، وعادة كان الموكب الهائل يتحرك بداية من معبد الكرنك إلى نظيره بالأقصر القائم جنوبا، وهناك بأعماق المعبد كان إله طيبة يحتفل على مدى إحدى عشر يوما بزواجه من الإلهة "موت" رفيقته " ويجدد "الكا" الخاصة به[53].

وعلى ضفتي النيل راحت الجموع الحاشدة تصدح بأغانيها وتؤدي رقصاتها في مرح وبهجة غامرة ، وامتلأت محال بيع المشروبات عن آخرها بالفاكهة والزهور والشراب المتنوع الأصناف عند الساحة، وهناك عند الساحة ترى المراكب المقدسة محمولة فوق محفات خاصة على أكتاف الكهنة ثم توضع الواحدة بعد الأخرى في مقصوراتها الخاصة بمواجهة الصرح الخاص بأمنحوتب الثالث حيث نهاية الأساطين الكبرى التي شيدها "توت عنخ آمون" وأكمله "حور محب"، في ذلك الحين أي في عهد رمسيس الثاني كان كبير الكهنة آمون قد توفى لتوه، ولذا قرر رمسيس الثاني أن يقوم شخصيا بقيادة ورئاسة احتفالات التبجيل والإجلال الكبرى هذه، وهكذا سارع هذا الفرعون بارتداء الزي الكهنوتي الرسمي المصنوع من جلد الفهد[54]. (أنظر الشكل7).

الشكل7: وصول احتفال "الأوبت الكبير" في منطقة مابين الكرنك والأقصر "سفينة خونسو" تخرج من موقعها وقد حملها عدد من الكهنة وفي السجل السفلى بعض المحال الصغيرة الخاصة بالاحتفال معبد الكرنك.



كريستيان ديروش نوبلكور، رمسيس الثاني، المرجع السابق، ص429.

وبعد الرسو تحمل القوارب في موكب ضخم بصحبة الموسيقيين والراقصين والراقصات حتى تدخل القوارب معبد الأقصر وتوضع في محاريبها. أما رحلة العودة فهي تماثل تماما رحلة الذهاب ومناظرها منقوشة على الحائط الشرقي في مواجهة مناظر رحلة الذهاب المنقوشة على الحائط الغربي،(أنظر الشكل8) وهذا الاحتفال الرسمي كان يستغرق مدة طويلة، وهناك من عهد "تحوتمس الثالث" ما يثبت انه استمر إحدى عشر يوما، وأربع وعشرون يوما في عهد "رمسيس الثالث"، وفي هذا العيد يبحر آمون في مواكب دينية وشعبية إلى جبانة طيبة على الضفة الغربية ليلتقي بآلهة الغرب[55].

الشكل8: الملك رمسيس الثاني وخلفه زوجته نفرتاري أمام مركب "أمون رع"



http://mathstat.slu.edu/~bart/egyptianhtml/kings%20and%20Queens/abu-simbel-barquev2%20copy.jpg

وقد صمم هذا المركب على شكل معبد وهو مصنوع من الخشب المجلوب من بلاد الشام ومطلي بالذهب ومرصع بالجواهر البراقة وكانت مقدمته ومؤخرته مزينتان برأس كبش وهو أحد رموز الإله آمون يعلوهما التاج الملكي ويتصدر المركب تمثال للملك وهو يحمل مجذافا ذهبيا، وهذا يرمز إلى أن الملك هو الذي يقود المركب ويتبع المركب الإله مركب زوجته وابنه، ومن ثم تسير مجموعة من المراكب الصغيرة التي زينت مقدمتها برؤوس الإوز ومؤخرتها بأذنابه وهو من رموز الإله آمون ايضا [56].

6. نقل المسلات:

كان حجر "بن بن" من بين الرموز المقدسة التي ظهرت في مدينة عين الشمس هذا الحجر الهرمي الشكل ذو القمة المدببة هو الحجر الذي تطورت منه فكرة المسلة[57]، أما سبب إقامة هذا الحجر وكيف اكتسب قدسيته فغير معروف على وجه التحديد، حيث من المحتمل أن قدماء المصريين أنفسهم لم تكن لديهم فكرة محددة عن هذا الموضوع، ففي عصر الأسرات

الأولى اعتقد المصريون أن هذا الحجر مقر روح الشمس التي خرجت من طرفه على شكل طائر وكتب اسمه "بنو" وكان الاعتقاد السائد أن روح الإله "رع" تتجسد في هذا الطائر وتقول النصوص أن هذا الطائر يظهر كل صباح في الفجر على شجرة البرساء المقدسة الموجودة في مدينة "أون" (هليوبوليس)، حيث شيد له في العصور المبكرة معبد سمي "حت بنو" أي معبد الطائر "بنو"، وقد وحد الإغريق بين طائر "البنو" وبين طائر الفونكس[58] الذي ذكره المؤرخ هيرودوت في مصر فقال:

"وهناك طائر مقدس آخر يسمى" الفونقس"، وإني لم أره إلا مصورا فإن زيارته للبلاد نادرة–كل خمسمائة عام فيما يقول أهل هليوبوليس وهو يزورهم –فيما يقولون عندما يموت والده ... يغطي والده بطبقة من المر وينطلق من بلاد العرب حاملا والده إلى معبد الشمس ويدفنه هناك..وانه يحمله على النحو الآتي: يصنع بيضة من المر كبيرة ..ثم يجرب أن يحملها وبعد يجرب ذلك تماما يجوف البيضة ويضع والده فيها ...وبعد أن يغطي والده يحمله إلى معبد الشمس في مصر" [59].

وفي الأسرة الخامسة بدأت المسلة تقوم بدور مهم في معابد الشمس المصرية، بل وأصبحت الرمز الحقيقي لإله الشمس "رع"، إذ كانت مقابر "الأهرامات "تبنى على شكل هذا الرمز الحجري، وفي عهد الدولة الوسطى كانت القمة الهرمية للهرم تنقش بالأدعية والصلوات لإله الشمس، أما في عصر الدولة الحديثة فقد أصبحت اللوحات الجنائزية تصنع على هيئة أهرامات صغيرة أو على شكل حجر "البن بن" وترسم عليها "عين الشمس" و"عين القمر" وصورة المتوفي يتعبد لها[60].

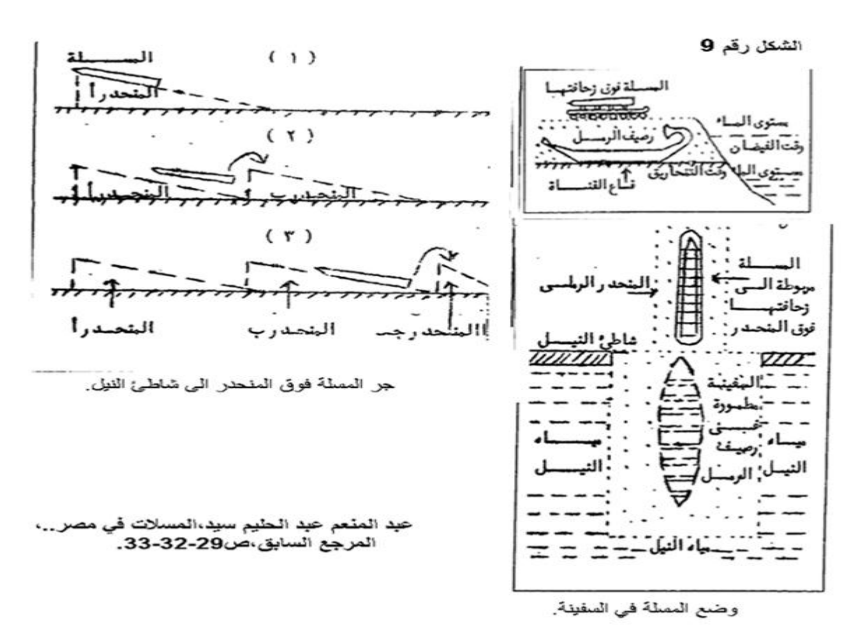
كانت تنقل المسلات عن طريق النيل بعد نحتها في سفن عدة مربوطة ببعضها البعض [61] وذلك وفق طرق :

الطريقة الأولى: كانت متداولة في الأقصر، حيث يتم وضع إحدى المسلات في السفينة ثم تحفر قناة في النيل إلى مكان المسلة لتجلب سفينتين محملتين بكتل من الحجر يبلغ حجم

الكتلة الواحدة قدم مكعب، إذ كانت حمولة كل سفينة تعادل ضعف وزن المسلة لتوضع المسلة فوق القناة، بحيث يرتكز طرفاها على جوانب القناة "وتشبه الكوبرى" ثم تسير السفن أسفل المسلة كلما ارتفعت فوق سطح الماء حتى حملت المسلة أخيرا[62].

طريقة أخرى: أما الطريقة الثانية فكانت موجودة بمدينة أسوان، حيث وجد على آثار لقنوات في هذه المحاجر، وأدلة على وجود جيش لتحميل هذه المسلات فوق سفينة كبيرة، وهذه السفينة تسحبها ثلاثة قوارب شراعية إلى أن تلامس الشاطئ لتبدأ رحلتها في النهر إلى المكان المطلوب، ولتفادي إحتكاك السفينة في قاع النهر بالأماكن المنخفضة كان على المصري أن ينقلها في فترة الفيضان تفاديا ذلك[63].

لكن هناك اتجاه آخر يقول حول نقل المسلة من المحجر إلى شاطئ النيل، والتي تتم وقت التحاريق (هو الوقت الذي ينخفض فيه منسوب النيل بشدة في الشتاء)، كانت تسحب على منحدر نحو شاطئ النيل حتى تصير على مقربة منه، ثم تحفر قناة من النيل إلى مكان المسلة وتوضع السفينة في قاعها، ثم تهال عليها الرمال حتى تغطيها وتملأ القناة وعندما يصير مستوى الرمل في القناة في مستوى سطح الأرض تجر المسلة حتى تثبت فوق السفينة، ثم يبدأ العمل في رفع الرمال وكلما أزيل جزء من الرمل كلما هبطت المسلة تدريجيا حتى تستقر أخيرا في السفينة، وآخر عمل يقوم به حاملي المسلة هو إزاحة الرمال من القناة لكي توصل بالنيل وعندما يحل وقت الفيضان تدخل المياه في القناة فتطفو السفينة فوق سطحها، عندئذ يسحب العمال المسلة إلى النهر لتبدأ رحلتها النيلية[64].(أنظر الشكل9).



وفي نص للوزير والمهندس "أنيني" "Ineni" الذي عاش في منتصف الأسرة الثامنة عشر: "يذكر أنه أشرف على إقامة مسلتين للملك "تحتمس الأول" ثم يصف السفينة التي أشرف على صنعها لنقل المسلتين فيقول: **"لقد أشرفت على إقامة مسلتين عظيمتين عند البوابة المزدوجة للمعبد من حجر الجرانيت، كما أشرفت على بناء قارب بديع يبلغ 120 ذراعا في طوله و40 ذراعا في العرض لنقل هذه المسلات، وقد وصل القارب في سلام وفي حالة جيدة إلى الأرض المجاورة لمعبد الكرنك"**[65].

وقد ذكر محرم كمال: "كان طول السفينة "أي سفن نقل المسلات في عهدي "حتشبسوت وتحتمس الأول" يبلغ 81 مترا تقريبا، وعرضها نحو 27 مترا أي ثلث الطول، وكانت السفينة تسير بدون مجاديف ماعدا أربع دفات توضع كل اثنتين منها على جانب ويجرها سبع وعشرون سفينة، يقدمها عظماء الدولة مرتبة في ثلاث صفوف، كل صف يتكون من تسع سفن، بكل سفينة 32 مجدفا...وتسير إلى جوانب السفينة الأصلية ثلاثة قوارب مقدسة

يطلق فيها البخور ويقدم القربان ثم قارب آخر صغير يسير أيضا على مقربة منها ويرجح أنه مخصص لإعطاء الأوامر"[66].

النص بالكتابة الهيروغليفية :

//لقد أشرفت على إقامة مسلتين عظيمتين
عند البوابة المزدوجة للمعبد من
حجر الجرانيت
كما أشرفت على بناء قارب بديع (يبلغ)
١٢٠ ذراعًا في طوله و ٤٠ ذراعًا في العرض
لنقل هذه المسلات:
وقد وصل (القارب) فى سلام وفى
حالة جيدة إلى
الأرض المجاورة لمعبد الكرنك

عبد المنعم عبد الحليم سيد،المسلات..،المرجع السابق،ص34

أما فيما يخص السفن المخصصة لنقل المسلات: فإن أقدم نص يشير إلى صناعة السفن الكبيرة يرجع إلى عهد الدولة القديمة فقد جاء على حجر بالرمو أنه في عهد الملك سنفرو تمكن المصريون من صناعة سفن ذات حمولة كبيرة كما ورد في نصوص "أوني" الذي عاش في عهد الأسرة السادسة أنه اشرف على صنع سفينة يبلغ طولها 30 مترا استغرق صنعها 17 يوما[67]، أما السفن حاملة المسلات فلم ترسم غير مرة واحدة في معبد الملكة "حتشبسوت"، حيث رسمت سفينة بداخلها مسلتان "يحتمل أنهما مسلتا هذه الملكة في الكرنك" متلاصقتان من مؤخرتيهما ولابد أن يكون طول هذه السفينة 60 مترا على الأقل وعرضها حوالي 20 مترا[68].(أنظر الشكل10).

الشكل 10: السفينة الكبيرة التي حملت مسلات حتشبسوت بنهر النيل، الكابلات المؤدية للأمام هي الأبراج.



Bijorn Landstrom, Ships of the Pharos, 1970, ,p132-133.

إذ قامت الملكة حتشبسوت بإرسال بعثات تجارية بحرية متعددة كبعثة الشلال الأول التي كانت بقيادة الوزير "سنموت" للوصول إلى محاجر الجرانيت عند الشلال الأول حيث قام بقطع حجرين كبيرين ليصنع بهما المسلتين العظيمتين التي أقامتهما في معبد الكرنك[69].

بعد رسو السفينة على شاطئ النيل المواجه للمعبد تبدأ عملية إخراجها من السفينة ونقلها إلى المعبد ، وهذه العملية تشبه كثيرا عملية وضع المسلة في السفينة، فيبنى منحدر يمتد من مقدمة المركب بحيث لا يرتفع إلى أعلى مستوى الأسطوانات الخشبية الحاملة للزحافة، ثم تستخدم الروافع في نقل المسلة من السفينة إلى هذا المنحدر المتجه نحو المعبد، والراجح أن مقدمة السفينة كانت تكسر حتى يمكن اخراج المسلة منها، وبعد كل هذا تأتي آخر مرحلة وهي وضع المسلة أمام المعبد وهذا ماتثبته بردية أنسطاسى anastasi [70].

كانت تلك السفن هي أكبر وأضخم سفن بناها المصريون القدماء على الاطلاق نظرا لحجم الحمولة التي كانت مخصصة لحملها والمتمثلة في المسلات الضخمة، ويحكي الموظف "إنرى" الذي عاش في عصر تحوتمس الأول حوالي عام 1550ق.م أنه بنى لسيده سفينة عظيمة

لنقل المسلتين للملك وبلغ طولها حوالي 195 قدما وعرضها 70 قدما، وهذا ما مابين أن السفن قد تم بناءها بنفس الأسلوب التقليدي للسفن الأصغر حيث يبدوا أن هناك 12 كتلة خشبية سميكة ربطت مع بعضها البعض بقوة وإتقان، والجدير بالذكر أن ضغط الماء قد ساعد كثيرا على حمل تلك المسلات، وتم ربط أسطح وجوانب السفينة جيدا بالحبال وكذلك تدعيم الكبائن من الأمام إلى الخلف[71].

7. خاتمة:

إذن في الأخير نرى أن المراكب هي جزء لا يتجزأ من الحياة المصرية القديمة، إذ لم يكن استخدامها مقصورًا على أغراض النقل و الترفيه والتنزه والأمور الدنيوية بصفة عامة ، وإنما أيضا ذات بعد ديني، ربما تكون المراكب وسيلة غريبة بعض الشيء للصعود لأعلى السماء ولكن المركب في الوجدان المصري كانت هي الوسيلة فحسب، وقد دلت النصوص الدينية المختلفة على حيوية المراكب وكيف كانت من ضمن الاحتياجات الأساسية في الحياة الدنيوية و الدينية ، وقد نتج على ملازمة المركب للأنشطة المختلفة في مصر قديما ان وعيها المصري وعيا تاما من حيث اجزاءها المختلفة ووظيفة كل جزء وطريقة قيادتها التي تطلبت منتهى الدقة واليقظة وكذلك حسن تقسيم العمل داخلها والحزم في ادراتها.

8. قائمة المراجع:

أ–بالعربية:

1. برت.إم هرو، **كتاب الموتى الفرعوني عن بردية آني بالمتحف البريطاني**، تر: من الهيروغليفية: السير والس بدج، تر: العربية، فيليب عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1988،1م.
2. رضوان سيد عبد السلام، **شرح لوحات كتاب الموتى**، (**د . ط**) ،2013.
3. هيرودوت في مصر، الفقرة73.
4. أسامة بسيوني الدمنهوري، **الأسطول الحربي في مصر القديمة" منذ عصر الانتقال الأول حتى نهاية عصر لبطلمي**"، مذكرة ماجيستير، كلية الاداب، جامعة طنطا، مصر، 2016.

5. آلن شورتر، **الحياة اليومية في مصر القديمة**، تر:نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (**د . ط**) ، 1997م.
6. إيمان شمخي جابر المرعي، **عقائد عالم مابعد الموت خلال عهد الدولة الحديثة(1580–1085ق م)**، دراسات تاريخية جامعة البصرة، ع13 ، العراق، 2012م.
7. بدج والاس، **آلهة المصريين**، تر: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة ،(**د . ط**)، 1998.
8. بهاء الدين إبراهيم محمود، **المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية :تنظيمه الإداري ودوره السياسي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (**د . ط**)، 2001م.
9. بول بارجيه، **كتاب الموتى**،تر: زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 2004م،
10. بيير مونتيه، **الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة**، تر:عزيز مرقس منصور، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د . ط)، (د . ت).
11. جمال الدين زكية زكى، **بعض مظاهر تأثيرات النشاط الملاحي على الصياغة الحضارية في مصر القديمة**، مجلةالاتحاد العام للأثاريين العرب واتحاد الجامعات العربية، ع3، مصر، 2002.
12. جيمس بيكي، **مصر القديمة** ، تر: نجيب محفوظ ، المجلة الجديدة، القاهرة، (د . ط)، (د . ت).
13. حسن نعمة ، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، دار الفكر اللبناني، بيروت،(د . ط)، 1994م.
14. خزعل الماجدي، **الدين المصري**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999م.
15. خميس زينب عبد التواب رياض، **استجلاب الروح في الطقوس والممارسات الشعائرية في مصر صور ماقبل التاريخ**، مجلة فكر وإبداع، ع116، 2017.
16. سليم حسن، **مصر القديمة**، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د . ط)، (د . ت).
17. سمير أديب، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، العربي للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2000م.
18. سميرة الجعراني الساحلي، **رحلة حتشبسوت إلى بلاد بونت1496ق.م**، مجلة القلعة، ع9، (د.ت).
19. سير. و.م رزيتري فلند، **الحياة الإجتماعية في مصر القديمة**، تر: حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتابة، مصر، (د . ط)، 1975م.

20. سيلقى كوقيل، **قرابين الآلهة في مصر القديمة**، تر: سهير لطف الله، المطبعة بي اتشرو، (د.ط)، 2010.
21. شارن شافية، **حضارة مصر الفرعونية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د . ط)، 2009م.
22. صدقي ربيع، **المراكب في مصر القدية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د . ط)، 1992م.
23. عبد الحليم نور الدين، **الديانة المصرية القديمة " المعبودات"**، ج1، القاهرة ، ط2، 2010م.
24. عبد المنعم عبد الحليم سيد، **المسلات في مصر الفرعونية "بحث في نشأة فكرة المسلة وفي طرق قطع ونقل وإقامة المسلات"**، مجلة المؤرخ العربي، مج1، ع 6، القاهرة، 1998.
25. فرانسوا دوما، **حضارة مصر الفرعونية**، تر: ماهر جويجاتي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر.
26. كريستيان ديروش نوبلكور، **رمسيس الثاني "فرعون المعجزات"** ، تر:فاطمة عبد الله محمود، ط1،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د . ط)، 2005م.
27. لطفي وحيد، **أشهر الديانات القديمة**، مكتبة معروف، الإسكندرية، القاهرة، (د . ط)، 2004م.
28. ليلى بومريش، **التحنيط في مصر القديمة**، مجلة الدراسات التاريخية، ع15-16، جامعة الجزائر، 2012/ 2013م.
29. محرم كمال، **تاريخ الفن المصري القديم**، دار الهلال، مصر، (د . ط)، 1937م.
30. محمد عصفور أبو المحاسن، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، دار النهضة العربية، بيروت، (د . ط)، 1987م.
31. نهى محمد نايل، **الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الآلهة في النقوش المصرية القديمة**، مذكرة ماجيستير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، مصر، 2003م.
32. والاس بدج، **آلهة المصريين**، تر: محمد حسين يونس، (د . ط)، (د . ت).
33. ياروسلاف تشرني، **الديانة المصرية القديمة**، تر: أحمد قدري، دار الشروق،ط1، 1996م.

ب–بالأجنبية:

1. Alan H.Gardiner, **Egyptian Hieratic Texts**, The Papyrus Anstasi1 And The Papyru Koller , part1, 1911.
2. E.A.Wallis Budge, **The Book Of The Dead Papyrus Of Ani**,Vol:2, W.Griggs Sons ltd Peckham,london, 1913.
3. James Henry Breasted, **Ancient Records Egypt**,Vol:1,The University Of Chicago Press, 1906.
4. R. Engelbach, **The Problem Of The Obelisks** ,london,1923.
5. Steve Vinson, **Boats(Use of)**, Journak Ucla Encyclopedia Of Egyptology, 2013.
6. Stuart A. Kallen**, Pharaohs Of Egypt**, library Of Congress, United States, 2013.

9. هوامش:

[1] – عبد الحليم نور الدين، **الديانة المصرية القديمة " المعبودات"**، ج1، القاهرة ، ط2، 2010م، ص8.

[2]–نهى محمد نايل، **الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الآلهة في النقوش المصرية القديمة**، مذكرة ماجيستير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، مصر، 2003م.ص81.

[3]- Steve Vinson, **Boats(Use of)**, Journak Ucla Encyclopedia Of Egyptology, 2013,p7.

[4]– سليم حسن، **مصر القديمة**، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د . ط)، (د . ت)، ص222.

[5]–آلن شورتر، **الحياة اليومية في مصر القديمة**، تر:نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د . ط)، 1997م، ص ص57–59.

[6]– فرانسوا دوما، **حضارة مصر الفرعونية**، تر: ماهر جويجاتي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، (د . ط)، ص756.

[7]– رضوان سيد عبد السلام، **شرح لوحات كتاب الموتى**، (د . ط)، (د . ت)، 2013، ص28.

[8]– جيمس بيكي، **مصر القديمة** ، تر: نجيب محفوظ ، المجلة الجديدة، القاهرة، (د . ط)، (د . ت)، ص46.

[9]–سيلقى كوقيل، **قرابين الآلهة في مصر القديمة**، تر: سهير لطف الله، المطبعة بى اتشرو، (د.ط)، 2010، ص159.

– خزعل الماجدي، **الدين المصري**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999م، ص109.[10]

[11] –عبد الحليم نورالدين، المرجع السابق، ص253- 254.

-[12] Stuart A. Kallen, **Pharaohs Of Egypt**, library Of Congress, United States, 2013, p10.

[13] – شارن شافية، **حضارة مصر الفرعونية**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د . ط)، 2009م، ص78.

[14]– والاس بدج، **آلهة المصريين**، تر: محمد حسين يونس، (د . ط)، (د . ت)، ص368- 369.

[15]– حسن نعمة ، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، دار الفكر اللبناني، بيروت، (د . ط)، 1994م.ص 215 .

[16]– شافية شارن، المرجع السابق، ص78.

[17]– صدقي ربيع، **المراكب في مصر القدية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،(د . ط)، 1992م، ص61-62.

[18]–رضوان سيد عبد السلام، المرجع السابق، ص28.

[19]–بدج والاس، **آلهة المصريين**، تر: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة ،(د . ط)، 1998، ص368- 369.

[20]–لطفي وحيد، **أشهر الديانات القديمة**، مكتبة معروف، الإسكندرية، القاهرة، (د . ط)، 2004م، 29.

[21]– بول بارجيه، **كتاب الموتى**، تر: زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 2004م، ص119.

[22]– والاس بدج، المرجع السابق، ص368- 369.

-[23] E.A.Wallis Budge, **The Book Of The Dead Papyrus Of Ani**,Vol:2,w.griggs, Sons ltd Peckham,london, 1913, pp343-345.

[24]–برت.إم هرو، **كتاب الموتى الفرعوني عن بردية آني بالمتحف البريطاني**، تر: من الهيروغليفية: السير والس بدج، تر: العربية، فيليب عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988م، ص35- 36.

[25]– آلن شورتر، المرجع السابق، ص57.

[26]– شارن شافية، المرجع السابق، ص90.

[27]–بول بارجيه، **كتاب الموتى**، تر: زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م، ص120.

[28]– شارن شافية ، المرجع السابق، ص90.

[29]– أسامة بسيوني الدمنهوري، **الأسطول الحربي في مصر القديمة" منذ عصر الانتقال الأول حتى نهاية عصر البطلمي** مذكرة ماجيستير، كلية الاداب، جامعة طنطا، مصر، 2016، ص ص86-87.

[30]–خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 238-241.

[31]–ليلى بومريش، **التحنيط في مصر القديمة**، مجلة الدراسات التاريخية، ع15-16، جامعة الجزائر، 2012/ 2013م، ص13.

[32]–إيمان شمخي جابر المرعي، **عقائد عالم مابعد الموت خلال عهد الدولة الحديثة(1580-1085ق م)**، دراسات تاريخية جامعة البصرة، ع13 ، العراق، 2012م، ص207.

[33]–محمد عصفور أبو المحاسن، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، دار النهضة العربية، بيروت، (د . ط)، 1987م، ص87.

[34]– إيمان شمخي جابر المرعي، المرجع السابق، ص207- 208.

[35]–خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص35.

[36]–محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص88.

[37]– إيمان شمخي جابر المرعي، المرجع السابق، ص208.

[38]–نفسه، ص209.

[39]–خميس زينب عبد التواب رياض، **استجلاب الروح في الطقوس والممارسات الشعائرية في مصر صور ماقبل التاريخ**، مجلة فكر وإبداع، ع116، 2017، ص232.

[40]–بيير مونتيه، **الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة**، تر:عزيز مرقس منصور، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ص435.

[41]–كريستيان ديروش نوبلكور، **رمسيس الثاني "فرعون المعجزات"** ، تر:فاطمة عبد الله محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م، ص31.

[42]–ياروسلاف تشرني، **الديانة المصرية القديمة**، تر: أحمد قدري، دار الشروق، ط1، 1996م، ص145.

- بيير مونتيه، المرجع السابق، ص435- 436.[43]

-نفسه، ص436.[44]

- نفسه، ص437.[45]

-كريستيان ديروش نوبلكور، **رمسيس الثاني**..، المرجع السابق، ص32.[46]

[47]-بيير مونتيه، المرجع السابق، ص435- 438.

[48] -كريستيان ديروش نوبلكور، **رمسيس الثاني**...، المرجع السابق، ص111.

[49]-عيد أوبت: يعد عيد أوبت من الأعياد المهمة في مصر خاصة في عصر المملكة الحديثة، والتي حرص ملوكها على حضور الإحتفالات بهذا العيد ولم يتخلف عنه إلاّ القليل منهم، مثلا اخناتون على الرغم من أن الملوك كانوا في بعض الأعياد وكذلك في الشعائر اليومية التي تؤدي للإله، ينيبون عنهم كبير الكهنة للقيام بدورهم، إلا أنهم حرصوا على الظهور أمام الناس في هذا الإحتفال الذي ربما كان يمثل إحياءا لذكرى الزواج الإلهي الذي كان الملك له ثمرة فقد كانت الملكة نفسها تشترك في الإحتفالات بوصفها زوجة الإله. **للمزيد أنظر:** عباس علي عباس الحسيني، **مجتمع الآلهة في الديانة المصرية القديمة**، دار نيبور للنشر والتوزيع، العراق، ط1،2012،ص154.

[50]-جمال الدين زكية زكي، **بعض مظاهر تأثيرات النشاط الملاحي على الصياغة الحضارية في مصر القديمة**، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب واتحاد الجامعات العربية، ع3، مصر، 2002، ص61.

[51]-بهاء الدين إبراهيم محمود، **المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية :تنظيمه الإداري ودوره السياسي**،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د . ط)، 2001م، ص68- 69.

-عباس علي عباس الحسيني، المرجع السابق، ص156.[52]

-كريستيان ديروش نوبلكور، **رمسيس الثاني**...، المرجع السابق، ص111.[53]

- نفسه، ص111-112.[54]

-بهاء الدين إبراهيم محمود، المرجع السابق، ص68- 69.[55]

- عباس علي عباس الحسيني، المرجع السابق، ص156.[56]

[57]-سمير أديب، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، العربي للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2000م، ص734.

[58]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، **المسلات في مصر الفرعونية "بحث في نشأة فكرة المسلة وفي طرق قطع ونقل وإقامة المسلات"**، مجلة المؤرخ العربي، مج1، ع 6، القاهرة، 1998، ص12.

[59]–هيرودوت في مصر، الفقرة73.

[60]– عبد المنعم عبد الحليم سيد، **المسلات في مصر ...**، المرجع السابق، ص14-15.

[61]– سير. و.م رزيتري فلند، **الحياة الإجتماعية في مصر القديمة**، تر: حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتابة، مصر، (د . ط)، 1975م، 287.

[62]–عبد المنعم عبد الحليم سيد، **المسلات في مصر ...**، المرجع السابق، ص31.

[63]- R.Engelbach, **The Problem Of The Obelisks** ,london,1923, p64- 65.

[64]–عبد المنعم عبد الحليم سيد، **المسلات في مصر**...، المرجع السابق، ص32- 33.

[65]– نفسه، ص34.

[66]–محرم كمال، **تاريخ الفن المصري القديم**، دار الهلال، مصر،(د . ط)، 1937م، ص212-213.

[67]- James Henry Breasted, **Ancient Records Egypt**,Vol:1,The University Of Chicago Press, 1906, p322.

[68]– عبد المنعم عبد الحليم سيد، **المسلات في مصر الفرعونية**...، المرجع السابق، ص34.

[69]– سميرة الجعراني الساحلي، **رحلة حتشبسوت إلى بلاد بونت1496ق.م**، مجلة القلعة، ع9، (د.ب)، (د.س)، ص320-321.

[70]–عبد المنعم عبد الحليم سيد، **المسلات** ..، المرجع السابق، ص34- 35.؛

Alan H.Gardiner, **Egyptian Hieratic Texts**, The Papyrus Anstasi1 And The Papyru Koller , part1, 1911, p17.

[71]– أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، المرجع السابق، ص85.

المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية القديمة

Civilizational manifestations of the ancient Libyan society through the ancient Egyptian antiquities

(*)1د.مريم عبد السلامين Meriem Abdesselamyene،

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، abdesselamyene.meriem@gmail.com

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة تاريخ القبول:30/06/2022

ملخص:

تعتبر النقوش والنصوص المصرية القديمة من فترة ما قبل الأسرات إلى مجيء الإغريق إلى قورينة المصدر الرئيسي الذي تحدث عن الليبيين القدماء في هذه الفترة، فمنذ محاولات الليبيين الأولى لدخول مصر وحروبهم مع الملوك الفراعنة حتى وصولهم للحكم وانشاء أسرات حكمت مصر، نستمد معلوماتنا عن هذا التاريخ من خلال هذه المصادر .

يهدف موضوع البحث الى معرفة درجة التقدم الذي وصل اليه المجتمع الليبي القديم من مظاهر حضارية ومنجزات قاموا بها، وتقديم صورة بسيطة عن حياتهم الاجتماعية الدينية والاقتصادية و غيرها من منجزات فنية.

.

الكلمات الدالة: الليبيون القدماء؛ الاثار المصرية ؛ المنجزات الحضارية ؛ ليبيا القديمة ؛ مصر.

Abstract:

The Egyptian Petroglyph and Text from the pre-dynastic period to the coming of the Greeks to Cyrene, are the main sources that talked about the Libyans during this period. These sources dealt with the first Libyans ‘ attempts to conquer Egypt, and their wars against the Pharaohs until reaching power and establishing ruling families. These

(*) **المؤلف المرسل:** مريم عبد السلامين :abdesselamyene.meriem@gmail.com

documents helped us to know about the religious and cultural level of development they achieved; they provided us also with simple ideas about their social ,economical life and artistic achievements ;Yet they saved us some important information that we will see in this article.
Keywords: Egyptian Antiquities ; Civilizational achievements; Ancient Libya; Egypt.

1. مقدمة:

سجل المصدر المصري أخباره وأخبار جيرانه منذ أن بدأوا بتدوين تاريخهم في فترة فجر التاريخ، وقد زوّدونا بالكثير عن القبائل الليبية التي كانت تعيش من النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا عاداتهم، معتقداتهم،وعتادهم، فالمصادر المصرية القديمة ساهمت في تقديم صورة واضحة عن النظام الاجتماعيوالاقتصادي للّيبيين، فقد كان المصريون أقرب من غيرهم من الأمم من سكان ليبيا اقليميا واثنيا وربما لغويا[1]. ورغم أن هذه المصادر المصرية مليئة بالفجوات والثغرات فهي لم تهدف في المقام الأول إلى تسجيل جوانب غيرها من الشعوب المجاورة وإنما جاء ذلك متضمنا تسجيلها لجوانب الحياة المصرية لأن التقليد السائد عندهم أن يسجل الفرعون أخبار انتصاراته أو أمجاده وليس كل تاريخه؛ فهذه المصادر عبارة عن أخبار تمثل وجهة نظر غير الليبيين فلا تخلو من كثرة المبالغات[2]. ومع ذلك فليس أمام الدارس للتاريخ الليبي في فترة فجر التاريخ إلا أن يستخلص من هذه المصادر ما أمكنه، وأن يعطي صورة عن الليبيين آنذاك يملأ بها الفراغ الذي خلفه عدم العثور في ليبيا على نحت أو نقش يعطي صورة لما وجد في هذه الوثائق[3] باستثناء الرسوم الصخرية، على أمل أن تساهم هذه الأخيرة كمصدر موضوعي وخام، خلفه لنا سكان المنطقة – أسلافنا من القبائل الليبية– في توضيح بعض النقاط، خاصة أنماط معيشتهم ونشاطهم، ومنجزاتهم الحضارية. وعليه نتساءل ما مدى أهمية المصادر المصرية القديمة لدراسة التاريخ المغاربي القديم ؟ وهل تمكن الدارس

للتاريخ المغاربي القديم من معرفة المظاهر الحضارية لأسلافه من القبائل الليبية القديمة وأنماط معيشتهم من خلال هذه المصادر؟

اعتمدنا في انجاز هذه الورقة البحثية على المنهج التحليلي والمنهج التاريخي الوصفي، لمعالجة سير الأحداث التي وقعت، من خلال عرض الحقائق وتقديم الأدلة والبراهين العلمية، والبقايا الأثرية واللوحات ومحاولة استقرائها، لأن كل واقعة أو ظاهرة من الظواهر الإجتماعية أو السياسية أو العسكرية التي لها صلة بالموضوع، لابد من الإشارة إليها وضرورة التأكد منها، من أجل معالجة الحقائق والآراء وتفسيرها ونقدها بهدف الوصول إلى إجابة للإشكالية، ومن ثمة القيام بعملية الاستقراء واستنباط النتائج.

2.الجانب الإجتماعي :

1.2 . المجتمع:

عرف الليبيون نظام الحكم القبلي، فقد كان يرأس القبيلة زعيم أو رئيس من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة، ويشترط في رئيس القبيلة المختار الالتزام بالعدل في حياته وتصرفاته، وتستطيع القبيلة عزل رئيسها إذا ما ثبت عدم كفاءته، ويعهد بمنصبه إلى أحد أعضاء الأسرة الآخرين كما حدث في حالة الأمير "مري بن دد" بعد هزيمته، الذي ولى أخوه في منصب رئيس القبيلة[4]، كان منصبا وراثيا في الأسرة الحاكمة.

كان يساعد رئيس القبيلة في إدارة شؤونها مجلس استشاري، وهذا ما تبينه نصوص الملك "رعمسيس الثالث" الذي أمر أن يحضر إليه الأسرى العشرة ويرجح أنهم كانوا يشكلون مجلسا استشاريا، كما تكررت في نصوص هذا الملك أيضا عبارة رؤساء المشواش، وأشير في نصوص الأسرة الثانية والعشرين الليبية إلى الرئيس الأعظم للمشواش "رئيس الرؤساء" و"زعماء أرض المشواش". كما توضح الصور التي حفظتها جدران المعابد في مصر تباين المركز الاجتماعي للّيبيين بعدد الريش التي يضعونها فوق رؤوسهم[5]، فبعضهم يتحلون بريشة واحدة وآخرين يتحلون بريشتين.

يعتقد "بيتس"[6] بأن رئيس القبيلة يعتبر كاهنا في القبيلة أيضا، وهذا الرئيس يثبت في رأسه ريشتين تمييزا له عن الرؤساء الأصاغر الذين يحملون ريشة واحدة، ويحمل صولجانا من الفضة المطعمة، وله لباس رأس خاص مطرز بالفضة، ويرتدي لباس أبيض يشبك فوق الكتف بمشبك ذهب وينتعل صندلا، وهذه الميزات قد استدل بها "بيتس" من خلال الرسوم التي تغطي جدران معابد الملوك الذين خاضوا حروبا كثيرة ضد الليبيين أمثال "مرنبتاح" و"رعمسيس الثالث"، وكانت قد سبقت هذه الميزات في بداية الألف الثالثة تثبيت ذيل الحيوان في الحزام ليتدلى من الخلف، والوشم على الأذرع والسيقانوكذلك تثبيت الريش على الرأس[7].

2.2 الأسرة الليبية:

تساعدنا النصوص المصرية على دراسة المجتمع الليبي بصفة عامة ونظام الأسرة الليبية بصفة خاصة، وإذا كانت مصادر العصر اليوناني تقطع بأن الليبي قد عرف تعدد الزوجات، فإن المصادر المصرية تكشف عن وجود هذه العادة عند الليبيين القدماء،فقد ذكر في نقوش الكرنك من عصر "مرنبتاح" أن "مري بن دد" أمير الليبو كان يصحب معه زوجه وستة أولاده، كانوا في الواقع رجالا بالغين، ومن غير المعقول أن تكون هذه الزوجة أمّا لهم وإلا لكانت من كبر السن بحيث لا تستطيع مصاحبة زوجها[8]، لذلك فإنه من المرجح أن تكون هي السيدة الأولى في حريم الأمير الليبي.

كما جاء في نصوص رعمسيس الثاني أن كبر بن دد" أحضر معه ابنه وزوجه وأسرته، ولكن في نص آخر أشير إلى نسائه وبذلك تكون الزوجة التي ذكرت هي السيدة الأولى في الحريم، وثمة شواهد أخرى منها لوحة حورباسن وهو ينحدر من أسرة ليبية سجل شجرة نسبه، التي تبين أن كل رجل من هذه الأسرة كان يتخذ زوجة واحدة، ولعل ذلك يفسر أن الزوجة التي ورد ذكرها كانت السيدة الأولى في حريم ضم عددا من الزوجات؛ وفي لوحة "بعنخى" نقرأ أن الملك "نمرود" (وهو ليبي من المشواش) أرسل زوجته الملكة "نس تبت"

إلى زوجات الملك بعنخى لتلتمس العفو عنه "..ولما دخل بعنخى قصر نمرود أمر بأن تمثل في حضرته كل زوجات الملك وبناته.."[9] وهذا النص يقطع بتعدد زوجات هذا الملك الليبي الأصل.

ولعل ظاهرة تعدد الزوجات على نطاق واسع بين الليبيين هي التي أدت إلى وقوع عدد كبير من الكتاب الإغريق والرومان في الخطأ عندما تحدثوا عن انتشار ما يشبه أن يكون إباحية جنسية؛ فها هو "هيرودوت" يقول عن قبيلة "الناسامونيين" و"المساجيتي": " إن الرجل منهم حتى ولو كان متزوجا كان يتمتع بنساء الآخرين من أبناء قبيلته"، ويقول عن "الأوسيس:" انهم لا يتزاوجون وإنما يعيشون سوية كقطيع من الحيوانات وعندما يكبر الأطفال يجتمع مجلس القبيلة الذي يضم كل رجالها البالغين، ليقرر إلحاقهم بمن يشبهونهم من الرجال"[10].

ويناقش " بيتس" هذه التهم فيعتبرها أخطاء وقع فيها قدماء الكتاب الإغريق والرومان لعجزهم عن تفهم ظاهرة تعدد الزوجات ويورد حجتين يدعم بهما رأيه: الأولى أن الأوسيين كانوا ينزلون عقوبة الموت بالفتاة المشتركة في بعض طقوسهم الدينية، إذا تبين لهم أنها كانت فاقدة لعذريتها، وقوم هذه صفتهم لا يمكن أن يصح عليهم ما قاله "هيرودوت" عنهم؛ والثانية أن نمطا من قرابة الدم كان شائعا في شمال افريقيا مما يدل على أن القوم كانوا متفقين على نوع من الزواج يكفي لتحديد قرابة الدم في نطاق الأسرة والقبيلة[11].

ولا يعني تعدد الزوجات في هذا المجتمع الليبي القديم يعني انحطاط مركز المرأة فيه، ذلك أن المرأة الليبية تظهر في صور الآثار المصرية وهي تلبس ملابس الرجل وتتحلى بنفس زينته[12]، وهذا في حد ذاته دليل على علو مكانتها في المجتمع.

فكان للمرأة دور ملحوظ في المجتمع اللّيبي، فإلى جانب كونها زوجة وأم، فقد خرجت مع الرجال للحرب واسعاف الجرحى، وقد اتخذت زي الرجال رداء لها، ومنه جراب العورة وذيل الحيوان، وهي أهم قطعة لباس ميّزت الرجل عن المرأة، وقد علّق الأثري "بيتس"

على ذلك بأنه كان وسام شرف،وسمو المكانة للمرأة التي ترتدي لباس الرجل، ولهذا الغرض ارتدت "حتشبسوت"، وملكات مروى لباس الرجل، وهذا هو ما نقلته رسومات جدران "ساحورع" وكذلك جدران مدينة "هابو"[13].

3.2 .الملابس و الحلي عند اللّيبيين القدماء:

تميزت القبائل الليبية القديمة سواءالتحنوأوالتمحو، الليبو،أوالمشواش، كل قبيلة بطريقة لبسها، فمثلا كان "التحنو" يلبسون أشرطة من الجلد وقراب العورة، أما "التمحو" فملابسهم كانت أرقى كثيرا، تتألف من عباءة فضفاضة مزخرفة من الجلد ثبت في ذيلها شريط مخطط، وإلى جانب ذلك احتفظ "التمحو" بقراب العورة، كما كان "الليبو" يلبسون تحت العباءة بدلا من قراب العورة قميصا يعلو الركبة وملابسهم تكاد تشبه ملابس المشواش، غير أن المشواش عادوا إلى استعمال قراب العورة، الذي يقتصر لبسه على البالغين من الرجال والنساء[14].

كان الليبيون يلبسون الأحذية والصنادل، وإن كانوا يظهرون في صور الآثار المصرية حفاة الأقدام، هذا لا يعني أنهم كانوا حفاة في واقع حياتهم وإنما قد يعني إما إهمال من جانب الفنانين المصريينوإما المبالغة في اظهار أولئك الرؤساء والأمراء بمظهر الذل والخضوع، وعلى أي حال فهناك صور للّيبيين ينتعلون نعال، حيث نقرأ في نصوص الكرنك من عهد "مرنبتاح":"..أنهم تركوا ملابسهم ومتاعهم وكذلك أحذيتهم"[15].

أما لباس الرأس فلم يكن شائعا بين الليبيين بشكل عام، بالرغم من شدة حرارة الشمس، وأحيانا كان المشواش يغطون رؤوسهم بنوع من الشيلان يثبتونه على الرأس بعصابة أو شبكة، وتظهر في مدينة هابو سيدة ليبية تلبس طاقية على رأسها[16]، وفي لوحة للملك "تحتمس الرابع" يظهر رجل يلبسها كذلك.

أشهر الحلي التي كان الليبيون يتزينون بها هي ريش النعام، إذ نجد أن المحاربين اللّيبيين عامة كانوا يزينون به رؤوسهم، بالإضافة إلى ذلك فإن الليبيين كانوا يلبسون الحلق والأساور على أذرعتهم والخلاخيل، ولعل الريشة كانت أبرز ما كان الليبي يتحلى به، وإذا

كانت لا تظهر أحيانا، فإن ذلك لأن الرسام لا يجد في المساحة التي يرسم فيها صورة الليبي متسعا لرسمها، كما كانت الريشة من علامات الزعامة وسقوطها من على الرأس هو علامة ذل وعار لحاملها[17]، وكان الرؤساء يتحلون أيضا بذيل الحيوان.

كما كان الليبيون يعتنون بتصفيف شعورهم وترتيبها في جدائل، على نحو ما تظهر في الصور المصرية، فقد تزين الليبيون بخصلة من الشعر على الجبهة، كما هو واضح على نقوش معبد الفرعون "ساحورع" أو بظفائر تغطي الجبهة وهو ما صوّر على جدران المقابر بتل العمارنة ومعبد مدينة هابو، كذلك عرف عنهم أيضا اسدال ضفيرة من الشعر على الصدر أو تلف وراء الأذن أو تنسدل الجديلة على الصدغ؛ ويطلق الرجل من الليبيين لحيته بشكل منسق، وقد تكون اللحية أحيانا كثة، وقد تكون خفيفة تحيط بالوجه وتنتهي بطرف مدبب، ونشاهد على بعض الصور أن الرجل كان يطلق شاربه، ولكن عادة اطلاق الشوارب لم تكن عادة شائعة عند كل الليبيين[18] (أنظر الشكل رقم1).

واستعمل الليبيون أيضا الوشم في أشكال مختلفة، وأحسن شاهد عليها هو صور الرؤساء الليبيين المرسومة على جدران مقابر الفرعون سيتي الأول بتل العمارنة، ويرجع "أوريك بيتس" أن الرؤساء الليبيين هم فقط الذين كانوا يستعملون الوشم، وأن رجال الأسر الحاكمة دون نسائها هم الذين كانوا يستعملونه؛ أما أنماط الوشم التي استخدمها الليبيون فقد كانت أنماط محلية بسيطة، وأهمها نمط ذو دلالة دينية لأنه يتعلق بالآلهة نيت، فقد كان الوشم عند الليبيين في البداية علامة مميزة للرؤساء الكبار، ثم صار شيوع استعماله بين الرؤساء علامة تدل على أنهم كانوا يضعون أنفسهم تحت حماية الآلهة "نيت[19]"، أما الأنماط الأخرى من الوشم فهي بسيطة للغاية و يمكن ردها إلى العصر الحجري الحديثوكانت ربما للزينة فقط.

4.2 المظاهر المادية في المجتمع الليبي:

أجمع عدد كبير من المؤرخين على أن الليبيين في عصر الحروب الليبية الكبرى لمصر، كانوا في مرحلة حضارية متقدمة إلى حد كبير، لأنهم كانوا يستعملون الأسلحة والأواني

المعدنية، وهذه قضية جديرة بالبحث الواعي العميق، لأنها ذات أثر كبير على الحضارة الليبية القديمة وذات دلالة تاريخية عميقة. ففي قائمة الغنائم التي استولى عليها الفراعنة المصريون كانت تضم أوان من الذهب والفضة والبرونز، وسيوفا من النحاس(أنظر الشكل رقم 2 و الصورة رقم 1)، وكانت سيوف المشواش عبارة عن نصل من المعدن مثبت في مقبض من الخشب، قد يبلغ طوله ثلاثة أمتار، وكان السلاح الرئيسي للّيبيين القوس والنشاب؛ وفي نص للملك "مرنبتاح" أن "مري بن دد" انقض برماة السهام، وأن الرئيس الليبي خلف وراءه قوسه وسهامه وجعبته، وأكثر من تسعة آلاف من سيوف المشواش البرونزية وأواني الشرب الفضية والسكاكين، كما كان من جملة الغنائم التي استولى عليها "رعمسيس الثالث" من الليبيين 115 سيفا بطول خمسة سواعد و124 سيفا بطول ثلاثة سواعد[20]، ويؤكد هذه المعلومات ما نجده من تمثيل للأوعية الليبية في النقوش المصرية وما ذكره الكتاب الكلاسيكيون عن السيوف الليبية.

يعتقد فريق من الباحثين ومنهم "بيتس" أن الليبيين قد حصلوا على هذا النوع من السيوف من بلاد أجنبية، في حين يذهب "وانرايت" إلى أن الليبيين كانوا على صلة بشعوب البحر في هذه الفترة بالذات فأخذوا عنهم استخدام السيوف الطويلة في المعارك[21].

ومن المعدات اللّيبية الأخرى التي صنعها قدماء الليبيين "العربات الحربية"، فقد كان الليبووالمشواش يقاتلون المصريين بعرباتهم الحربية[22]، وقد غنم منها رعمسيس الثالث حوالي ثلاثة وتسعين عربة.

ومن الأسلحة الدفاعية التي يدافع بها المحارب عن نفسه- وإن كانت هناك مراجع تقول بأن اللّيبي كانت تنقصه هذه الأسلحة الدفاعية- وبالاعتماد دائما على الآثار المصرية، فإننا نستشف بأن الحقيقة غير ذلك، حيث أن رسومات على جدران معبد الكرنك تبيّن المحارب الليبي وقد استخدم الدروعوالخوذات وقاية له من ضربات السيوف، بل ويرجع استخدام الليبي الدرع إلى مرحلة العصور الحجرية؛ وتجدر الإشارة في هذا المقام بأن الآلهة

الليبية "نيت" كان يرمز لها بدرع مصنوع من جلد، يتقاطع عليه سهمان، كما تشهد عليه آثار مصرية تعود لمرحلة ما قبل الأسرات، وهو نفس الرمز الذي استخدمه أفراد قبيلة الليبو، كوشم يزينون به أذرعهم وسيقانهم، كما هو واضح على منظر شعوب العالم الأربعة[23].

كما كان جنود الليبووالمشواش يعسكرون في خيام مصنوعة من الجلد ويضعون سهامهم في جعاب من الجلد ويحفظون المياه في قرب من الجلد[24]، وهذه الأخيرة تعد من أهم المعدات الليبية القديمة التي كان يستحيل للجندي الليبي أن يعبر الصحراء دونها، وقد ورد ذكرها لأول مرة على آثار الدولة الحديثة في مصر، وكانت القرب تحمل بربطها تحت بطون الخيل حتى لا يتبخر الماء منها[25](وهذه عادة لا تزال دارجة حتى اليوم).

ومما يكشف عن بعض مظاهر الحضارة المادية للّيبو، ما جاء بصدد غزوة "مري بن دد"، من أنه "فر تاركا أثاث زوجه وعرشه.." وهذا يعني أنه كان للّيبو في مساكنهم في ليبيا أثاث، وأنهم كانوا يعرفون الكراسي، إذ كان رئيسهم يتخذ لنفسه عرشا، وقد عثر في "غدامس" على صورة ربما كانت معاصرة لأواخر عصر الدولة الحديثة في مصر، حيث تمثل الصورة سيدة وهي جالسة على مقعد، وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام، ولنا أن نتصور أن مساكنهم كانت لا تخلو من الأواني الفخارية أو المعدنية وقرب الماء والأسبتة، وأنه كان لديهم أدوات تستخدم في كافة أغراض الحياة اليومية، مثل الإبر والأكياس الجلدية ومخارز لصنعها، وأواني لحفظ اللحم المجفف والحبال والسلال[26]،إذ تدل إحدى الصور على جدران مقبرة "خنومحتب" ببني حسن أن اللّيبيين كانوا يعرفون السلال حيث ظهرت النساء الليبيات في تلك الصورة وهن يحملن أطفالهن على ظهورهن فوق سلة، وقد قامت كل واحدة منهن بسند قاعدة السلة بيدها زيادة في تحقيق الأمان للطفل[27].

تكشف الآثار أيضا عن وجود بعض الآلات الموسيقية مثل الصاجات، والطبل ذو الوجهين الذي يدل شكله على أنه كان مصنوعا إما من الفخار أو الخشب الذي غطيت نهاياته بالجلد، وكان هذا الطبل يحمل برباط يشده إلى الكتفين، وكان يعلق في العنق بوساطة

شريطين؛ بالإضافة إلى آلات موسيقية أخرى مثل البوق والنفير والقيثارة الصغيرة قائمة الزاوية، وكان الليبيون يستعملون جميع الآلات الموسيقية المذكورة في وقت واحد في مناسبات الاحتفالات العامة، إذ اننا نجد أحد النقوش المصرية يمثل جميع هذه الآلات أثناء استعمالها في آن واحد، كما كان الليبيون يقومون بالرقص ويسيرون في مواكب احتفالية، حيث ينقل "أوريك بيتس" عن النقوش المصرية رقصة حربية كان يؤديها أفراد من قبيلة "التمحو" الليبية تعود إلى عهد الدولة الحديثة، حيث انقسموا إلى مجموعتين: يقوم ثلاثة رجال بقرع العصيّ بتوقيت زمني منتظم، بينما يؤدي اثنان آخران حركات قتالية راقصة موزونة بقرع العصيّ أيضا؛ وهذه الرقصة تشبه إلى حد كبير رقصة (الكاسكا) التارقية في وقتنا الحاضر[28]، مما يشير إلى أن قدماء الليبيين تركوا شيئا من آثارهم الفنية وعاداتهم وتقاليدهم في مواقعهم الأولى، بينما حملوا نماذج منها إلى وادي النيل أثناء هجرتهم إليه زمن الجفاف.

لم يعثر على مبان للّيبيين في هذه الفترة، وقد يعلل ذلك بأن هؤلاء القوم كانوا يشيدون مبانيهم من أنواع من الحجارة لم تستطع مقاومة عوامل الفناء، والليبيون سواءالليبو أو المشواش كانوا يتخذون خياما مصنوعة من الجلد، وقد استمر استعمالهم لهذا النوع من الخيام حتى فترة متأخرة[29].

3 .الحياة الاقتصادية:

للتعرفعلى الحياة الاقتصادية عند الليبيين القدماء، فإن ما ذكر على الآثار المصرية كاف لتبين أنّ الليبيين قد ألفوا حياة الرعي والزراعة والتجارة.

1.3 .الرعي:

يرجّح أنّ الرعي وتربية الماشية والصيد تقع في المرتبة الأولى من مقوّمات الاقتصاد اللّيبي، إلى جانب الزراعة والتجارة؛ وقد توصل سكان شمال غرب افريقيا إلى استئناس الحيوان في العصر الحجري الحديث، ويظهر ذلك واضحا على الرسوم الصخرية، التي تبيّن الحيوان المستأنس وقد علق في رقبته طوق، لكن هذا لم يمنع من أنّهم كانوا يصطادون الحيوانات البرية

والمستأنسة على السواء،ويتزينون بريش النعام، فقد سبق أن لاحظنا في الحروب الليبية المصرية أعداد هائلة من المواشي التي كان المصريون يستولون عليها من اللّيبيين منذ عهد ساحورع من الأسرة الخامسة، وفي كل حرب كانت الجماعات الليبية من تحنو أو تمحو أو ليبو أو مشواش، تأتي بعدد ضخم من الماشية والماعز إلى جانب البقر والثيران والخيل والحمير[30]، كما أنّ الضريبة التي كانت تأخذها الملكة "حتشبسوت" من قبائل التحنو كانت تحتوي على جلود نمور وأنياب الفيلة، وكذلك ريش النعام.

توالت الأسر الفرعونية بعد ذلك، وتكاثفت مناورات ومحاولات اللّيبيين الاستقرار على أرض مصر وانهزامهم المتكرر والاستيلاء على ممتلكاتهم بما فيها ماشيتهم. فقد استولى الفرعون رعمسيس الثالث في حربه الثانية ضد الليبيين على غنائم كثيرة منها ماشية متنوعة وهي بعدد 42.721 رأسا من الحيوانات المختلفة مقسمة على الوجه التالي: 107 ثور، 7340 رأس ماشية، 34.738 رأسا من الغنم و 9452 من الماعز و184 حمارا و 92 زوجا من الخيول التي تجر 92 عربة. إنّ هذه الأعداد إنما تشير إلى غنى ليبيا في الثروة الحيوانية وكذلك في خصوبة الأرض التي تعيش عليها مثل هذه الأعداد[31].

ورد ذكر جلود النمر التي كانت القبائل الليبية تقدمها جزية لحتشبسوت، وتعددت الاشارات إلى ملابس الليبيين المصنوعة من الجلد، ووضح لنا مدى اهتمام الليبيين بريش النعام ولم يقم أي دليل على استئناس الليبيين لمثل هذه الحيوانات[32]، ولذلك فإنه من المرجح أن يكون الصيد هو وسيلتهم للحصول عليها.

2.3 .الزراعة:

إلى جانب الرعي وتربية الماشية، فقد عرف الليبيون الزراعة؛ وتدلنا على ذلك كثرة الأواني الفخارية، بالإضافة إلى تلك الآلات العظمية التي اكتشفت في مواقع "مشتى العربي" بالقرب من "شلغوم العيد"،و"كولومناطة"(تيارت)، وهي عبارة عن عظام ضلع عجل قوي، يعتقد أنّها استخدمت لقطع السنابل، ثم وجود الرحى النائمة (المطاحن الحجرية) بكثرة في كل أجزاء

الصحراء من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا؛ كل هذه دلائل على المعرفة المبكرة لسكان شمال غرب افريقيا للزراعة؛ فقد أرخت المخابر لسنابل قمح من موقع "أمكين" بتمنراست بحوالي 6100 ق.م، أما عملية التصحر فبدأت وبالتدريج مع منتصفالألف الثامنة، مما جعل السكان يهجرون أماكن استقرارهم المتصحرة، نحو مناطق بها مصدر ماء ثابت مثل النيل في مرحلة فجر التاريخ، أو تراجع شمالا حيث الأودية والأحواض[33].

وما ذكر على الآثار المصرية يبيّن أنّ اللّيبيين قد ألفوا حياة الزراعة، فقد ورد بلوحة التحنو أو كما تعرف بلوحة الحصون والغنائم على أحد وجهيها أربعة صفوف أفقية، الثلاث الأولى صور ثيران وحمير وخراف على الترتيب أما الصف الرابع ففيه أشجار زيتون وإلى يمين هذه الأشجار نقشت علامة التحنو، ومن الواضح أن الماشية والأغنام غنائم حرب تبين ممارسة الليبيين للرعي وتربية المواشي، وشجر الزيتون رمز لزيت التحنو الثمين المشهور في مصر القديمة[34] وهذا دليل على أن الليبيين عرفوا الزراعة مبكرا.

كما ورد في نصوص الأسرة التاسعة عشرة إشارة إلى أن اللّيبيين عرفوا الزراعة، إذ جاء في نص أنشودة النصر التي أشادت بمرنبتاح"..وأسفاه على ليبيا، لقد أصبح أهلها لا يعيشون بحالتهم الطبيعية يمرحون في الحقول". كما قال هذا الفرعون أنه أخذ كل عشبة تأتي من حقول ليبيا، وأنه لم يعد هناك فوق أرض الليبو أي حقل صالح ليكفي إعالة السكان". كما يتبيّن بأن الليبيين قد زرعوا الحبوب، وأرض الليبو كانت تنتج القمح، لأن هذا الفرعون قال أنه "نهب كل مؤن رئيس الليبو من القمح.."[35].

3.3 .التجارة:

إلى جانب الرعي والصيد والزراعة عرف اللّيبيون القدماء التجارة؛ إن صفة البداوة التي فرضتها الظروف على بعض القبائل الليبية، جعلت هذه القبائل تتحكم في القوافل التي تمر بالصحراء، كما أنّ طبيعة منطقة شمال افريقيا وموقعها وسط مراكز حضارية، ومناجم الثروة

في افريقيا منذ أقدم العصور أدّى باللّيبيين إلى امتهان التجارة، وإن كانت النصوص المصرية تتكلموبإسهاب عن تبادلاتها التجارية مع الشرق مثل جبيل والجنوب مثل بونت، فإنها تبقي تبادلاتها مع الغرب طي الكتمان[36].

كان الليبيون يلعبون دور الوسيط في نقل السلع من دارفور ومنطقة تشاد، وكان بعضها يذهب مباشرة إلى مصر كجانب من الجزية المفروضة على الليبيين، أو كسلع تجارية عبر بلاد النوبة، فقد حصلت الملكة "حتشبسوت" من التحنو على العاج وسبعمائة ناب فيل، وكان الليبيون يقدمون الذهب كنوع من الجزية للملكة حتشبسوت وشريكها في الحكم الملك "تحتمس الثالث"، وكان "التمحو" ينقلون إلى بلاد النوبة حجر التمحي، وهو من الأحجار الكريمة؛ كما عثر في جزيرة كريت على تمثال لقرد مصنوع من العاج وعلى بعض الأختام العاجية أيضا، وقد عثر في مقابر الأتروريين على بيض النعام؛ فاللّيبيون كانوا يقومون بدور الوسيط بين تجار الجنوب (بلاد النوبة و تشاد)،وتجار الشمال بين مصر وبعض دول البحر المتوسط، فقد كان اللّيبيون ينقلون هذه السلع إلى سواحل برقة، ومنها كانت تصدر إلى جزيرة كريت أو ايطاليا وبعض أقاليم البحر الأبيض المتوسط[37].

ولعل الليبيين من ناحية أخرى كانوا يحصلون على بعض الأقمشة الجلدية المزخرفة من الشردان،والأواني الذهبية والفضية والبرونزية والسيوف النحاسية من آسيا الصغرى أو من بحر إيجة،وتصور بعض الرسوم المنقوشة على الصخر في جبل أكاكوس جنوب فزان قوافل يحرسها أصحابها[38] وهذا يعني أنّ الليبيين كانوا منذ عصور ما قبل التاريخ يعملون في نقل التجارة وتبادل السلع مع غيرهم من الشعوب.

وهذا ما يبيّنه متحف "الهواء الطلق" بالتاسيلي والهقار، على أن الليبيين منذ الألف الأولى ق.موقبلها، قد تولوا قيادة القوافل التجارية المتجهة إلى النيجر والتشاد، وكانت تحميها العربات العسكريةوالخيالة المحاربين على صهوة أحصنتهم، كما تظهره لنا الرسوم الصخرية في مرحلة الخيالة[39].

4. خاتمة:

هذه هي الصورة العامة للمظاهر الحضارية للمجتمع الليبيمن خلال الآثار المصرية القديمة، بجوانبها المختلفة الاجتماعية، الدينية، الاقتصادية والفنية ، التي توصلنا إليها من خلال المعلومات القليلة التي بحوزتنا، فالآثار المصرية غطت جزءا مهما من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ و كيف عاشها الليبيون، و لذلك نستبعد الفكرة القائلة بأن الليبيين قد بقوا في غياهب العصور الحجرية انتظارا لمجيء الفينيقيين ليدخلوهم عالم الحضارات والتاريخ من أوسع أبوابه.

5. قائمة المراجع:

أ- المؤلفات:

1- باللغة العر بية:

- البرغوثي عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي ، ج 1 ،(د.ط)،تامغناست، (د.ت).

- دراز أحمد عبد الحليم ، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع و القرن الرابع ق.م،(د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.

- الصويعي عبد العزيز ، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، (د.ط)،دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013.

- عبد العليم مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ،(د.ط)، المطبعة الأهلية ، بنغازي، 1966.

2- باللغة الأجنبية:

-Bates.O, the eastern libyans ,éd Macmillan and co limited , London , 1914.
-Breasted.H, ancient records of Egypt , vol III , the university of Chicago press,Chicago,1906.
-Breasted.H, Ancient records of Egypt , vol IV, the university of Chicago press , Chicago , 1906.
-Hérodote, histoire d'hérodote , livre IV , traduit par Larcher , charpentier libraire-éditeur , paris , 1850.

ب- المقالات:

1- باللغة العربية:

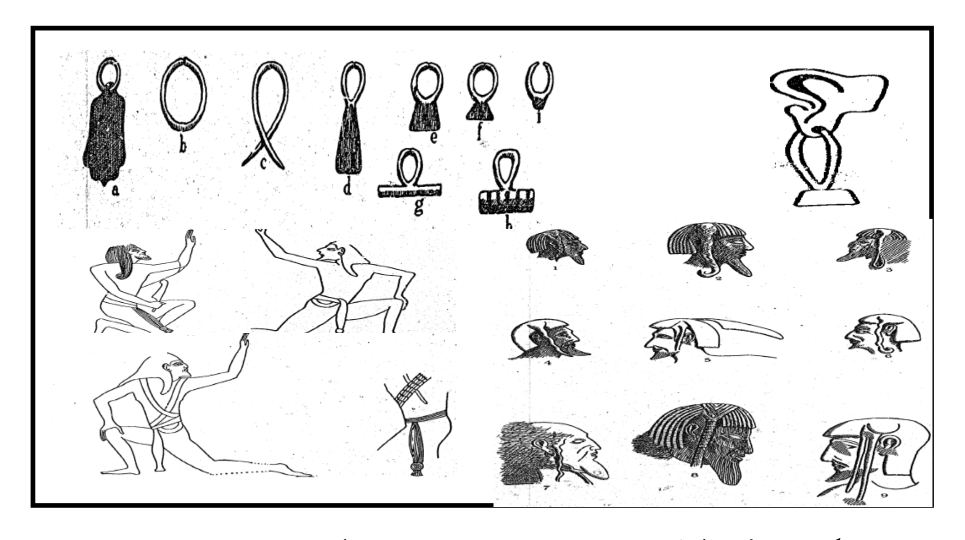
- رشدي جيهان محمد، مناظر اصطحاب المرأة للطفل على جدران مقابر عصر الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة "دراسة تحليلية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 12، القاهرة، 2011.
- شاهين علاء الدين عبد المحسن، العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت ، الحولية 23، الرسالة 195 ، الكويت ، 2003.
- العقون أم الخير ، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد السابع ، القاهرة ، 2006.
- العقون أم الخير ، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم الانسانية، العدد الأول، رقم 2، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2012.
- العقون أم الخير ، من مصادر تاريخ المغرب القديم "الرسوم الصخرية والآثار المصرية، carrefours sahariens vues des rives du Sahara، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية (CRASC)، وهران، 2016.

– الأثرم رجب عبد الحميد، العلاقات الليبية المصرية حتى تأسيس الأسرة الثانية و العشرين الليبية ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، السنة السادسة ، العدد الأول ، 1984.

2– باللغة الأجنبية:

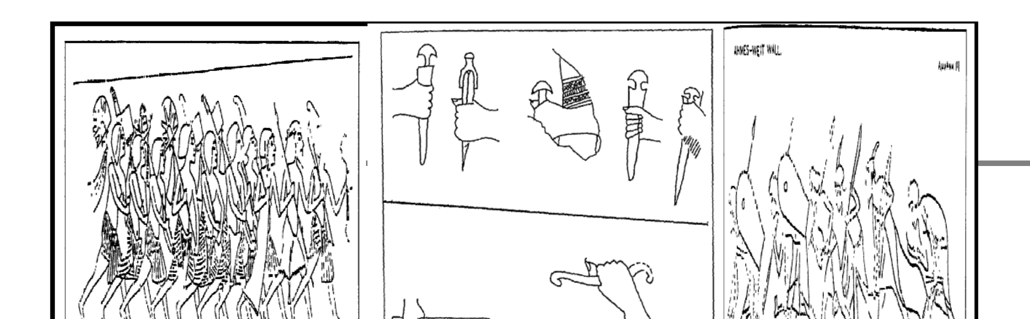
Wainwright. J.A, the Mechwech,in J.E.A,N48,London, 1962.

6. ملاحق:



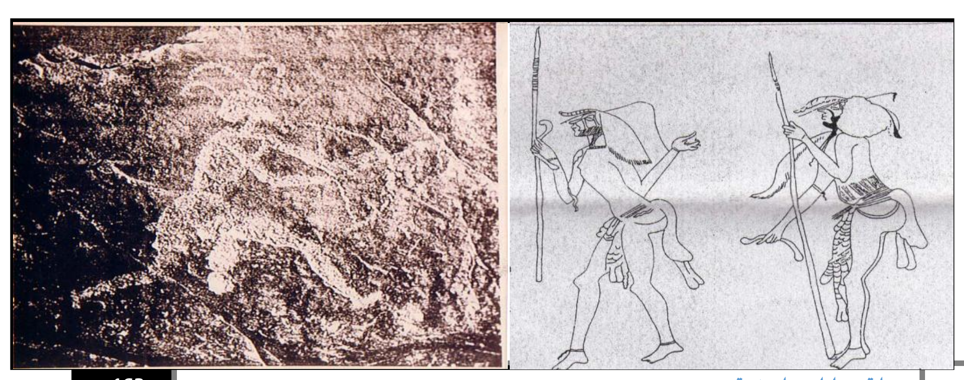
الشكل رقم 1: أشكال جراب العورة وتصفيفات الشعر وأدوات الزينة عند القبائل الليبية

عن: O.Bates, op-cit , p p 43-131.



الشكل رقم 2:أنماط متنوعة من الأسلحة الليبية والليبيون ضمن الحرس الملكي للفرعون أخناتون بجبانة تل عمارنة

عن: شاهين علاء الدين عبد المحسن، العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت ، الحولية 23 ، الرسالة 195 ، الكويت ، 2003، ص ص 98-106.



الصورة رقم 1: ليبيون يرتدون جراب العورة و ذيل الحيوانوعلى رأسهم ريش،مسلحين بعصا الرماية وبالقوس، بنفس مواصفات الليبيين على الآثار المصرية (تاسيلي أن أجار).

عن: أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم "الرسوم الصخرية والآثار المصرية، carrefours sahariens vues des rives du Sahara،مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية (CRASC)، وهران،2016، صص 111-114.

7. هوامش:

[1]– أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم الانسانية، العدد الأول، رقم 2، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2012، ص 15-16.

[2]– رجب الأثرم عبد الحميد، العلاقات الليبية المصرية حتى تأسيس الأسرة الثانية و العشرين الليبية ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، السنة السادسة ، العدد الأول ، 1984، ص 163.

[3]– أحمد عبد الحليم دراز ، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع و القرن الرابع ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص 27.

[4]– مصطفى عبد العليم كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، المطبعة الأهلية ، بنغازي، 1966، ص 39؛ عبد اللطيف البرغوثي محمود ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي ، ج 1 ، تامغناست، ص 87.

[5]– مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق، ص 39.

[6]– O.Bates, the eastern libyans ,éd Macmillan and co limited , London , 1914 , p 116.

[7]– أم الخير العقون، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد السابع ، القاهرة ، 2006، ص 3. أنظر: O.Bates, op-cit, p 116

[8]– H.Breasted, ancient records of Egypt , vol III , the university of Chicago press,Chicago,1906. para 588, p p 248-250,O. Bates, op-cit, p 116 ; مصطفى عبد العليم، المرجع السابق ، ص 38

[9]– مصطفى عبد العليم، المرجع نفسه، ص 38-39؛ O.Bates, op-cit, p 109.

[10]– عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 85-86؛ Hérodote, histoire d'hérodote , livre IV , traduit par Larcher , charpentier libraire-éditeur , paris , 1850,para 172-180؛ O.Bates, op-cit, p 110.

[11]– عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 86؛ O.Bates, op-cit, p 110-111.

[12]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 39.

[13]– أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 19؛ O..Bates, op-cit , p 113-114

[14]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 40.

[15]– عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 98؛ Breasted, op-cit, para 584, p 246.

[16]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 41.

[17]–عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق ، ص 99-101.

[18]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 41-42؛ أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 14.

[19]–عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 102-103؛ Bates, op-cit, p 138.

[20]– عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 104؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 42؛ H.Breasted,Ancient records of Egypt , vol IV, the university of Chicago press , Chicago , 1906, para 111, p 66

[21]– أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 34. أنظر:
J.A.Wainwright, the Mechwech,in J.E.A,N48,London, 1962, p 94-95.

[22]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 43؛ عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013، ص 316.

[23]- أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 16-17.

[24]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 43.

[25]- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 111.

[26]- مصطفى عبد العليم،المرجع السابق، ص 43-44؛البرغوثي،المرجع السابق،ص 115-116؛ O.Bates,op-cit,p 153

[27]- جيهان رشدي محمد، مناظر اصطحاب المرأة للطفل على جدران مقابر عصر الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة "دراسة تحليلية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 12، القاهرة، 2011، ص 18.

[28]-عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 117-118؛ عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 313؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 44.

[29]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 44-45.

[30]- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 21؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37.

[31]- أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 6.

[32]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37؛ O.Bates ,op-cit, p 94.

[33]- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي القديم، ص 22.

[34]- رجب الأثرم عبد الحميد، المرجع السابق، ص 165.

[35]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37؛ H.Breasted, A.R.E, vol III, para 610, p 260

[36]- أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 24.

[37]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37-38؛ البرغوثي، المرجع السابق، ص 95؛ O.Bates, op-cit, p 101.

[38]- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 38؛ O.Bates, op-cit, p 104.

[39]- أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 9.

المجتمع القرطاجي في بلاد المغرب القديم(814ق.م–146ق.م)

Carthaginian society in the ancient Maghreb (814 BC - 146 BC)

(*)حسيبة باحمان

[1] جامعة أحمد درايةأدرار، hassibabahman@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة **تاريخ القبول**:30/06/2022

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى دراسة أحد المواضيع المهمة في تاريخ قرطاجة كواحدة من أقدم المستوطنات التي تأسست في عرض البحر الأبيض المتوسط الذي تفاعلت فيه الحضارات القديمة فيما بينها، حيث تتناول بالبحث والتنقيب خصائص ومكونات المجتمع القرطاجي ببلاد المغرب القديم الذي شهد امتزاج اجتماعي لوبي –قرطاجي يصعب الفصل في خصائص كل منهما.

وقدتميز المجتمع القرطاجي بانه مجتمع حضري منفتح، ومتميز بالتعايش بين مختلف فئاته رغم تركيبته الاجتماعية التي فرضها التفاوت الاقتصادي والمكانة الاجتماعية والسياسية

الكلمات الدالة: قرطاجة،الأسرة،ال ماغون، هملكار برقة.

Abstract:

This research paper seeks to study one of the important topics in the history of Carthage as one of the oldest settlements founded in the Mediterranean Sea in which ancient civilizations interacted with each other. Separation of the characteristics of each.

The Carthaginian society was distinguished as an open urban society, distinguished by coexistence between its various groups,

despite its social structure imposed by economic disparity and social and political status

Keywords: Carthage; family;Magonides;Amilcar Barca.

____

(*) المؤلف المرسل: حسيبة باحمان: hassibabahman@univ-adrar.edu.dz

مقدمة:

تأسست قرطاج حسب الأسطورة على يد الأميرة الفينيقية عليسة سنة814ق.م كواحدة من أشهر المستوطنات التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وقد امتلكت مهارة عالية في بناء السفن التي استخدموها للسيطرة البحرية على مدى قرون، كما قاموا بعدة رحلات بحرية استطاعوا من خلالها جلب عدد كبير من العبيد، إضافة إلى المعادن الثمينة،كالذهب والعاج.

سرعان ما برزت قرطاج بفضل تجارتها وأسواقها كقوة متوسطية لها أنظمتها السياسية والاقتصادية والعسكرية، الأمر الذي جعل منها مركز للتنوع الاثني والجاليات الأجنبية، وهذا ما أنتج خليط اجتماعي كبير داخل قرطاج، وسنحاول في هذه الورقة البحثية دراسة المجتمع القرطاجي من حيث تركيبته وخصائصه معتمدة على ما توفر لدي من معارف رغم شحتها، منتهجة في تصفيفها وترتيبها على المنهج التاريخي الوصفي الملائم لمثل هذه المواضيع.

التركيبة الاجتماعية :

تميزالمجتمع القرطاجي بأنه مجتمع حضري منفتح، ويتميز بالحركية والتعايش بين مختلف العناصر الحضرية المحلية والوافدة مع تفاوت بينهما من ناحية القدرات الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية مما انتج هرم طبقي للمجتمع القرطاجي تربع على قمته المواطنون القرطاجيون، ثم الأجانب فالعبيد في قاعدته.

أ–المواطنون القرطاجيون: وهم الذين يتمتعون بحقوق المواطنة والحرية والإسهام في بناء المجتمع والدولة، والقيام بالمهام السياسية والادارية والدينية والاجتماعية[1]، وتضم فئة المواطنون الأثرياء في المرتبة الأولى، ثم يليهم الحرفيين.

أ–1– **الأثرياء**: وهم المتفوقون مادياً بما يملكونه من ممتلكات سواء كانوا قادة عسكريين ذوو درجات عالية أو أصحاب أموال وعقار، وقد لعبت هذه الطبقة دورا بارزاً في الميادين السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، حيث كانوا يمتلكون أكبر الأساطيل البحرية التي كانت تُجهز بمختلف المنتجات لتوزع على مختلف الموانئ، والأسواق فتدر عليهم أرباحاً طائلة، فبرزت بلك بعض الأسر الأرستقراطية كأسرة هملكار برقة، وابنه حنون[2].

كما ينتمي لهذه الطبقة الكهنة، هذه الوظيفة التي كانت تستند إلى كبار العائلات القرطاجية [3]، وقد اعتلى بعض أفراد عائلتهم مناصب سامية في الدولة ،ولم تكن الكهانة في قرطاجة مقتصرة على الرجال فقط بل شملت النساء أيضاً.[4]

أ–2– **الحرفيون**: ويمثلون الصنف الثاني، وهم الذين يتعاطون مختلف الصناعات والحرف كالتجارة والحدادة، وسبك المجوهرات والحلي والفخارة والبناء ،وينضم إلى هذا الصنف كل الذين كانوا يعملون في البحر والمزارع من صيادين وملاحين، وفلاحين ممن يملكون حقولاً أو بساتين توفر لهم وسائل عيش متواضعة ، ويبدو أنهم كانوا ينوهون عن حرفهم كتابة على متن الأنصاب التي كانوا يقدموها قرباناً للآلهة حسب ما عثر عليه الباحثون من نقوش نذرية أو إهدائية [5] .

وينتمي لهذا الصنف أيضاً ذوو المهن الحرة كالأطباء والمدرسين، والمهندسين وبعض الذين يعملون في دواوين الإدارة والساطرين وغيرهم، بالإضافة إلى الجدافين وعملة المزارع والمصانع والمناجم، وهي الفئة الضعيفة التي تميزت بكثرة أعدادها وضعف فاعليتها، على أنها قد تنضم أحيانا إلى الطبقة الوسطى فتزيدها قوة ونفوذا في بعض الحالات.[6]

ب- الأجانب:لقد ضم المجتمع القرطاجي جاليات أجنبية مختلفة، فقد أثبتت النقائش وجود أسماء مصرية كعبدرع وعبد أوزريس، بالإضافة إلى العنصر الاغريقي الذي تأثر بالفنيقين أولاً، ثم بالقرطاجيين ثانياً أثناء تعاملاتهم التجارية معهم فأخذوا عنهم الكتابة[7] وطوروها، وقد درَّس معظمهم كمعلمين بعد ذلك بقرطاج، ولعل أشهرهم هم معلمو المدرسة الفيتاغورية، وقد تعلم القرطاجيين أيضا لغة الإغريق، وإن كانت محصورة في النخبة السياسية فقط .كما أن بعض القرطاجيين تزوجوا زيجات إغريقيات فقد كانت والدة (عبد ملقرط الماغوني)إغريقية[8]، وقد سمح لهم بإقامة معبد لعبادة الآلهة ديمتري ربة الزراعة اشرف على رعايته كهان اغريق، وامتهن بعضهم صناعة التماثيل والتحف البرونزية.[9]

وإلى جانب الإغريق والمصريين تواجد في المجتمع القرطاجي الأتروسكيين والإيباريين والأفريقيين السود والقبرصيين فضلاً عن اللوبيين الذين كانوا يتركون قراهم ويتوجهون إلى المدينة، فمنهم من اشتغل في الميناء ومنهم من عمل في الورشات، ومنهم من كان يتاجر تحت رعاية الدولة القرطاجية، وقد يبقى الكثير منهم بدون عمل.[10]

بالإضافة إلى عنصر اليهود الذي أرجع بعض الباحثين بداية تواجدهم ببلاد المغرب القديم إلى مجيء الفنيقين إلى سواحل المنطقة في حوالي الألف الأول قبل الميلاد بصفتهم تجاراً، وقد امتهنوا بشمال إفريقيا التجارة، والبعض منهم جاء للمنطقة كأسرى حرب من

رجال ونساء وأطفال بيعوا في الأسواق، ولهذا السبب نجد أنهم لم يستوطنوا المناطق الساحلية فقط، بل شمل استيطانهم المناطق الداخلية أيضاً فاختلطوا بالسكان وتعلموا مهنة التجارة التي برعوا فيها على طول الزمن.[11]

ج– العبيد:العبودية هي مؤسسة اجتماعية واقتصادية قائمة على أساس استغلال الأشخاص، وقد عرفت منذ القديم[12]، فالمجتمع القرطاجي كغيره من المجتمعات القديمة اعتمد على الرق كطاقة لتنشيط الاقتصاد، وقد وجد في قرطاج نوعان من العبيد: عبيد الدولة، وعبيد القرطاجيين [13].

وتشير المصادر التاريخية أن(ماجون) القرطاجي كان قد ركز على هذه الفئة باعتبارها اليد العاملة خاصة في مجال الزراعة ، إذ كان القرطاجيون يرتادون سوق العبيد في جزر البليار وغيرها لاقتنائهم، فحنون الأكبر قام بتجميع وتجنيد ما مقداره عشرين ألف من العبيد في محاولته الاستيلاء على السلطة، كما عمل البعض الآخر في البيوت سواء كانوا ذكوراً أو إناث[14] .

وحسب الأستاذ محمد حسين فنطر فإن العبد القرطاجي كان يحتفظ بانتسابه للبشر فكان له الحق في الزواج والقيام بواجباته الدينية ويستطيع العبد شراء حريته بنفسه وذلك بادخار راتبه الشهري، وقد أرست قرطاج اسساً قانونية للعلاقات العبودية [15].

هذا وتجدر الاشارة إلى أن الارتقاء في سلم المجتمع القرطاجي كان متاح لكل الأفراد بشرط الكد والاجتهاد.

الأسرة القرطاجية:يصطدم الباحث بندرة الاشارات المصدرية حول الأسرة القرطاجية باعتبارها النواة الأساسية للبناء الاجتماعي، إذ أن جل المصادر تشير إلى العائلات الكبيرة فقط وضمن المعطيات التاريخية ومنها :

1- أسرة أل ماغون (Magonides): وهي الأسرة التي تولت الحكم سنة 550 ق.م، وهي سنة تولي "ماغون" (Magon) الحكم ، ولذلك أخذت الأسرة اسمه وقد استمرت في الحكم إلى غاية مقتل هاميلكار (Himilk) في سنة 396ق.م بسرقوسة(Syracuse) المدينة الإيطالية، وقد اشتهرت هذه العائلة بانتصاراتها العسكرية في سردينيا وكورسيكا ، كما اشتهر من أفرادها العالم الموسوعي ماغون مؤلف الموسوعة الفلاحية المعروفة بالموسوعة الماغونية التي احتوت على فصول عديدة تتعلق بالزراعات الكبرى وبغراسة الأشجار المثمرة ومعلومات عن المناخ والتربة والحيوانات، والتي انتشرت في مختلف اقطار العالم ونقلها الرومان إلى اللاتينية قصد الاستفادة منها[16] .

2- أسرة أل برقة: ويعتبر هاميلكار- برقة (Amilcar Barca) جدها الأكبر وهو الذي عرف بسياسته الشعبية وحروبه في اسبانيا واستيلائه عليها لاعادة بناء قوة قرطاجة التي فقدتها في الحوض الغربي للبحر المتوسط لما تتوفر عليه من مناجم الفضة إضافة للثروات النباتية والحيوانية [17]، وقد اشتهر أبناء هذه الأسرة بقوتهم العسكرية خاصة حنبعل(Hannibal) بطل الحرب البونيقية الثانية وغريم روما [18] الذي أُلفت في سيرته العسكرية العديد من الأعمال الأدبية والتاريخية كما كتب عنه المؤرخ بوليب (polype)[19] و المؤرخ أبيان (Appien).

المرأة القرطاجية: ساهمت المرأة القرطاجية إلى جانب الرجل في بناء المجتمع، بل واكتسحت مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية فدخلت عالم التجارة وامتهنت الحياكة وغزل الصوف، كما شاكت في الأمور العسكرية دونما اهمال للتعليم والتثقيف، فقد اتيحت لها الفرصة لتنهل من مختلف العلوم والفنون، وفي هذا الصدد نذكر الأميرة القرطاجية صفونيزب ابنة أدربعل بن جرسكن "Girscon" (ولدت حوالي عام 221 ق.م) التي اعتنى والدها بتربيتها وتثقيفها فكانت تحسن عدة لغات فضلاً عن معرفتها لفنون الرقص والموسيقى والأدب[20].

إضافة إلى أنها كانت ذات جمال ولاشك أن الفتيان في قرطاج والأمراء والملوك كن يعشقنها، وقد أورد المؤرخ(تيت ليف) في ذلك أن ماسينيسا قد طلبها للزواج من والدها أدربعل وأنه وافق على طلبه في البداية ثم تراجع بعد ذلك مزوجاً إياها لسيفاكس[21] ملك مملكة الماسيسيل الذي زفت له سنة 205 ق.م.[22].

ومما لا ريب فيه أن هذه الملكة كان لها دور هام في نشر الثقافة والديانة القرطاجية في بلاط سيفاكس وربما كانت لها يد حتى في الأمور السياسية إلا أن المصادر سكتت عن ذلك، ويبدو أنها كانت وراء الدعم الذي قدمه هذا الأخير للقرطاجيين[23] فخاض معهم كل حروبهم إلى غاية انهزامهم في الحرب البونية الثانية ووقوعه أسيراً في يد المنتصرين الرومان في معركة زاما الشهيرة عام 202 قبل الميلاد.

الزواج وعدد الأولاد: تذكر الأستاذة مادلين هورس أن القرطاجيين لم يكونوا عنصريين أبداً فغالباً ما تزوجوا بالنساءالأجنبيات كما كان أهل الشرق واليونانيون و اللوبيون يلقون أحسن استقبال في قرطاج التي سُمح فيها للعبيد أيضاً بالزواج، ويبدو حسب ذات الأستاذة

أن تعدد الزوجات لم يكن معروفا في قرطاج[24] على عكس الزواج المختلط الذي كان منتشر بكثرة إذ ذكرت النصوص القديمة أمثلة كثيرة عنه منها اشارة تيت ليف التي ذكر فيها أن حنبعل ابن هميلكار برقة اتخذ زوجة له من اسبانيا [25]،كما ورد في المصادر أيضاً أن ماسينيسا زوج ابنته لقرطاجي يدعى أدربعل.[26]

واشرنا سلفاً أن العاهل سيفاكس كان قد تزوج من صفونيزب ابنة اذربعل القرطاجية ، وإن كان زواجها منه يفسر عند بعض المؤرخين على أنه يخدم أغراض سياسية بحتة، ويُعلل هؤلاء ذلك بأن الأسرة القرطاجية كانت أبوية، فالأب هو الذي له الحق في فرض رأيه فيزوج ابنته وفقا لظروفه السياسية ولا مكان لرغبتها العاطفية في الأمر .

وحسب الأستاذ محمد حسين فنطر فإن الأسرة القرطاجية كانت قليلة الأفراد إذ كانت تضم الزوجين فقط في أغلب الأحيان، فعدد الأولاد كان قليل فمثلاً هاميلكار برقة كان لديه ولدين فقط هما حنبعل وأخوه أصدروبعل وبنتين تزوجت إحداهما أسدروبعل (Asdrubal) الذي تولى قيادة الجيش في اسبانيا بعد والده والأخرى تزوجت من أوزالسي (Oezalcés) ومازيتول (Mazétulle) وهما الاثنان من عائلة الماسيل (Massyle).

أما عن حنبعل فكان لديه ابن واحد لم تذكر المصادر شيئا عنه، في حين كان لقائد الحرب البونيقية الثالثة أصدروبعل ولدين فقط،[27]ونفس الشيء بالنسبة لماغون القرطاجي الذي خلَّف اثنين هما أسدروبعل هاميلكار،على عكس السكان الأصليين حيث تكون نسبة الولادات مرتفعة خاصة عند البدو الرحل[28].

ومن أهم المصادر التي يمكننا الرجوع إليها في حديثنا عن الحياة الأسرية والاجتماعية في هاته الحقبة التاريخية هي الأعمال المسرحية لبلوت المسرحي (plautus) أو (

Plaute)، الذي ولد عام 254 ق.م من عائلة متواضعة بمدينة سارسينا (sarsina)، انتقل إلى روما حيث تعلم هنالك اللغتين اللاتينية والإغريقية، عمل تاجراً في أول الأمر لكنه أصيب بالإفلاس ليعمل بعدها خبازاً.

كتب بلوت عدة مسرحيات كلها مستلهمة من الواقع الإيطالي ،وقد عد البعض مسرحياته وقالوا أنها تُقدر ب 130 مسرحية، غير ان ما يهمنا من اعماله هاته كلها هي مسرحيته المعنونة بالتاجر" **القرطاجي الصغير**" التي صور لنا فيها الكاتب بعض الجوانب التي لها علاقة بحياة القرطاجيين ،ومما جاء فيها أنه كان هناك رجلين أبناء عمومة من قرطاج ينتميان إلى عائلتين كبيرتين عرفتا بثرائهما وقوتهما أحدهما لازال على قيد الحياة، والآخر مات، وللرجل المتوفى ابن وحيد أخذ منه وهو في سن السابعة، ويقال ان والده سقط مريضا بعد اختطاف ابنه بسبب حزنه عليه فراح يبحث عن وريث له فاختار ابن عمه حانون (Hannon) ووريثاً له، ثم سافر إلى غورلا (Acheron) بدون أمتعته، وكان المختطف قد حمل الطفل إلى كاليدون (Calydon) وقام ببيعه لرجل غني كان يريد الأطفال، ولكنه يكره النساء فتبناه وجعله وريثا له وصار يعيش معه في منزله.[29]

ويبدو من خلال ما ورد في هذا المقطع المسرحي أن النتيجة التي خلُص إليها الأستاذ محمد حسين فنطر صحيحة وهي، أن عدد الأولاد كان قليل وأن فكرة التبني كانت موجود في قرطاج، وهو ما تم ذكره في المسرحية، وقد أشار إلى ذلك المؤرخون القدامى فحنبعل على سبيل المثال كان تحت إمرته ضابطين من أصل يوناني أقبل أبوهما على قرطاج نازحاً من سرقوسة الإيطالية فاستقر بقرطاج وتزوج من امرأة قرطاجية[30].

الغذاء واللباس: اهتم القرطاجيون بالزراعة فخصصوا جزيرة الرأس الطيب والإقليم الشمالي الشرقي لإنتاج المحاصيل الزراعية التي كانت رائجة في أسواقها إلى جانب زراعة أشجار الزيتون التي استخرجوا منه زيت الزيتون كما اهتموا بزراعة أشجار العنب لاستخراج النبيذ وقد استعملوا لصناعته نوع خاص من العنب هو العنب المجفف[31] الذي يعرف اليوم عندنا ب" الزبيب"، وقد ذكر المؤرخ (فرانسوا دوكريه) في كتابه " قرطاجة أو إمبراطورية البحر" ان القرطاجيين قد عرفوا إلى جانب ذلك اللوز والرمان والتين وغيرها من المنتجات الزراعية المتنوعة التي أسالت لعاب الرومان فاحتلوها للسيطرة على خيراتها .[32]

وتشير النصوص القديمة إلى بعض المأكولات القرطاجية منها ما أشار إليه فستوس (Festus) الذي تحدث عن حلوى البونيكوم "punicum" التي عرفها بأنها حلوى قرطاجية الأصل والصنع، وقد عرفت باسم بروبوم "probum " أيضا لأنها كانت المحبذة عندهم.[33]

ويذكر بلين القديم أن القرطاجيين قد عرفوا عدة أنواع من الخبز، فكان يصنع بطرق مختلفة فمنها خبز الكعك "pain-gâteau" ومنها الخبز المائي الذي يتم تحضيره بتمديد العجين بالماء، وقد كان الخبز يصنع بخلط بعض الدقيق مع البيض والحليب والزبدةوتترك لفترة وتخبز على الأواني الفخارية التي يتم كسرها لذلك الغرض. فترى فيه فراغات بعد نضجها مثل الإسفنج،[34] وربما كانت هناك مصانع لصناعة الخبز فالمسرحي (بلوت) صاحب مسرحية (القرطاجي الصغير) كان خبازاً كما ذكرنا سابقاً.

أما بالنسبة للباس فقد ارتدى القرطاجيون اثواباً طويلة فضفاضة وقد تربط عند الخصر بحزام مطرز ولها أكمام ويشير ترتليان إلى أن القرطاجيين كانوا يرتدون معاطف (

tuniques) يتألق فيها اللون الأرجواني المحبب لديهم [35] ، كما أنها تمتاز أيضا بدقة أشكالها، ويرتدي القرطاجي في الطقس الرديء معطفاً مشدود بأبازيم شبيهة بالدبابيس، ويرتدي النساء أثواباً قصيرة الأكمام ومشدودة عند الخصر ووشاحاً طويل كما كن يلبسن نعالاً ويتزين بحلي كثيرة كالأساور والخلاخل والأقراط والسلاسل والعقود الفضية والذهبية والتيجان والأكاليل واستعملن مساحيق التجميل لإخفاء العيوب والظهور بمظهر حسن وجميل، أما الرجال فيرخون غالباً لحاهم ويغطون شعر رأسهم القصير[36] إما بقبعة أو قلنسوة .

المسكن: كانت مدينة قرطاجة مقسمة إلى عدة أحياء سكنية متميزة بحسب الطبقات الاجتماعية ويبدو من خلال ما عثر عليه الأثريون أن حي ببرصة كان ينقسم إلى حارتين كبيرتين كانتا ملكاً لأسرتين غنيتين الأولى، حارة حنبعل والثانية حي ماغون ،وقد ضمت كلتا الحارتين بيوتاً تفتح على الطريق العام.[37]

وإدا أردنا أن نشير إلى المباني في العهد القرطاجي فإننا نجد بانها كانت تتشكل عادة من عدة طوابق تصل إلى ست طوابق في بعض الأحيان، وهو شيء لم يكن له نظير في العالم القديم، و لازالت أساسيات تلك البيوت و الاعمدة المرتفعة واقفة في قرطاج تحكي صورة تلك المدينة و جمالها قبل تخريبه، وفي أكثر الأحيان كانت المنازل الواسعة التي تحيط بها البساتين ملكاً للأسر الغنية خاصة بشمال المدينة قرطاج.[38]

ويحتوي المنزل الواسع عادة من العديد من الغرف، وفي الكثير من الأحيان يخصص الطابق السفلي كمحلات تجارية أو مخازن، وقد كان للعمال و الحرفيين أيضاً منازل بنيت بعناية وبهيكلة جيدة كما كانت أرضية الغرف مغطاة بالفسيفساء[39].

خاتمة:

نستنتج مما سبق ان المجتمع القرطاجي ورغم تركيبته الاجتماعية التي تظهر فيها الطبقية إلا أنه في حقيقته كان مجتمع حضري يتميز بالتعايش بين مختلف فئاته، حيث كان يسمح بالارتقاء في سلم الطبقات لكل من توفرت فيه الشروط وخاصة منها الثروة والكفاءة كما حفظ فيه العبيد حقهم في الامتيازات و الانتماء للبشر والزواج بل وشراء ذممهم واستصدار بنود خاصة لمعالجة وضعياتهم وفق القانون .

تميز المجتمع القرطاجي بالانفتاح فلم يكن متعصب للعرق الفينيقي الشرقي بقدر ما كان متسامح فتصاهر مع العناصر المحلية اللوبية وحتى الأجنبية الوافدة ومنها الاغريقية وهو ما سهل فيما بعد حدوث الانصهار الحضاري بفعل قوة التأثير والتأثر وخاصة مع الحضارة اللوبية المحلية التي امتزجت مع الخصائص الحضارية الفينيقية معلنة ميلاد حضارة جديدة جاءت نتيجة للتلاقح الحضاري اللوبي – الفينيقي وهي الحضارة البونيقية التي جمعت في سماتها خصائص الحضارتين السابقتين.

5. قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1.Polype, Histoire General,Trad: FélixBoucout, (n.t).(n.d)

2.Festus. Festus Gramaticus. De la Signification des mots, trad: M'asavagner, Panckeucke, 1846.

3.plaine l'ancien, Histoire naturelle, Dubochet, édi: Emile Littré Boulevard, saint-germain, paris, 1867.

4.Plaute .les Comédies de Plaute. Le carthaginois poenus, tome second. Trad:E. sommer. Librairie de L. hachette. ET.C. paris.

5.Tertullien, œuvre de tertullien tome:II, Edi :2em, trad:Eugéne- Antoine de Genoude, paris, louis vivé.

6.Tite–live,HistoireRomaine,livre XXXIV, Classica Sélecta

7.Titus livius, Histoire romaine, Tad: M. Nisard, Paris, 1864.

المراجع:

.

1.الأثرم رجب عبد الحميد، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي،ط1، جامعة قاريونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي ،ليبيا،1996 م.

2.أحمد السليماني ،نورية أكلي، توفيق حموم ، المكنون الحضاري الفنيقي القرطاجي في نوميديا القديمة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة54، الجزائر، 2007،

3.أحمد السليماني ، مسينيسا ويوغرطا، الجزائر العاصمة، الثقافة العربية، 2007 م

4.أحمد الفرجاوي ، بحوت حول العلاقات بين الشرق الفنيقي وقرطاجة، ط1، المعهد الوطني للتراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس1993.

5.أنيس المؤدب، الثقافة الموسيقية في تونس خلال الفترة البونية والرومانية، دكتورا أثار قديمة، إشراف، قطاط محمود، جامعة تونس، 2008.

6.بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب القديم، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة. اشراف: رضا بن علال ،منشورات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافية التطبيقية، جامعة بوزريعة،الجزائر،2013م.

7.خديجة منصوري ، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية و المصادر الأدبية ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العـ: 25، قسنطينة، أفريل 2008م.

8.الشادلي بورنية، محمد طاهر، قرطاج البونية تاريخ حضارة، مكتبة الاسكندرية، مركز النشر الجامعي، مصر، 1999م.

9.فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ط1، تر: عز الدين أحمد عزو، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996.

10.فنطر محمد حسين، الفينيقيون و قرطاج ، الموسوعة المتوسطية، أليف منشورات المتوسط، تونس، ط1، 2005.

11.كريمة نور الدين ، عائلة أل برقة في قرطاجة بين دعم مساعي الحرب ودعاة السلم، مجلة الباحث، المج:4، العـ:1، المدرسة العليا للاساتذة، الجزائر،(د.ت).

12.مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر ابراهيم بالش. ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1981 م .

13.محمد حسين فنطر ، صفنيبة، الملتقى الدولى حول المرأة في الوطن العربي عبر العصور، الأكاديمية الدولية للمالية والتحكيم، تونس ، 2007.

14.محمد حسين قنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط.أليف ، ركز النشر الجامعي.

15.محمد حسين قنطر، الحضارة في قرطاج، مجموعة من الباحثين ، تونس عبر العصور القديمة، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007م.

16.محموعة مؤلفين، التربية والثقافة في تونس قبل الفتح العربي، (د.ط)، (د.ت).

17.الناضوري رشيد، المغرب الكبير، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م.
M’hamed Hassine Fantar, Carthage(Approche d'une civilisation, tome:1, leséditions de la Méditerranée, Alif.Tunis,1998.
Stéphane Gsell, H.A.A.N,T: 5, librairie hachette,paris,1927.

التهميش:

[1]أحمد السليماني ،نورية أكلي، توفيق حموم ، المكنون الحضاري الفنيقي القرطاجي في نوميديا القديمة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة54، الجزائر، 2007، ص84.

[2]M’hamed Hassine Fantar, Carthage(Approche d'une civilisation, tome:1, leséditions de la Méditerranée, Alif.Tunis,1998,(p. p)(187.179).

[3] أنيس المؤدب، الثقافة الموسيقية في تونس خلال الفترة البونية والرومانية، دكتورا أثار قديمة، إشراف، قطاط محمود، جامعة تونس، 2008، ص146.

[4] أحمد الفرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفنيقي وقرطاجة، ط1، المعهد الوطني للتراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس1993،ص210.

[5] محمد حسين قنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط .أليف ، ركز النشر الجامعي، ص23.

[6] السليماني أحمد، نورية أكلي، توفيق حموم، المرجع السابق، ص85.

[7] الأثرم رجب عبد الحميد، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي،ط1، جامعة قاريونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي ،ليبيا،1996 م،ص40.

[8] الشادلي بورنية، محمد طاهر، قرطاج البونية تاريخ حضارة، مكتبة الاسكندرية، مركز النشر الجامعي، مصر، 1999م، ص،ص (254.264)

[9] مجموعة مؤلفين، التربية والثقافة في تونس قبل الفتح العربي، (د.ط)، (د.ت)ص19

[2]الناضوري رشيد، المغرب الكبير، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م، ص206.

3 محمد حسين قنطر، الحضارة في قرطاج، مجموعة من الباحثين ، تونس عبر العصور القديمة، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007م، ص73.

[11] بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب القديم، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة. اشراف: رضا بن علال ،منشورات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافية التطبيقية، جامعة بوزريعة ،الجزائر،2013م، (ص، ص، ص) (248،249،250).

[12]قبايلي كاهنة ،معاملة العبيد في شمال افريقيا خلال العهد الروماني ،أراء و دراسات في التاريخ و الأثار القديمة ،المرجع السابق ،ص280

[13]محمد حسين فنطر ،الحرف و الصورة في عالم قرطاج ، المرجع السابق ،ص30

[14]الشاذلي بورونية ،محمد طاهر ،المرجع السابق ،ص261

[15]M'hamed Hassine Fantar ,op.cit, (p,p,),(183,184)

[16] محمد حسين فنطر ، الحضارة في قرطاج، المرجع السابق، ص77.

[17]كريمة نور الدين ، عائلة أل برقة في قرطاجة بين دعم مساعي الحرب ودعاة السلم، مجلة الباحث ، المج:4، العـ:1، المدرسة العليا للاساتذة، الجزائر،(ص-ص)(284-278) .

[18] M’hamed Hassine Fantar.,op.cit, (p.p). (191.192).

[19] Polype, Histoire General,Trad: FélixBoucout, (n.t)(n.d),livre: III,(p,p).(1.2).

[20] محمد حسين فنطر ، صفنيبة، الملتقى الدولى حول المرأة في الوطن العربي عبر العصور، الأكاديمية الدولية للمالية والتحكيم، تونس ، 2007، ص9.

[21]-Titus livius, Histoire romaine, Tad: M. Nisard, Paris, 1864, livre XXIX, XXIII

[22] فنطر محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج ،المرجع السابق، ص29.

[23] خديجة منصوري ، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية و المصادر الأدبية ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، الع: 25، قسنطينة، أفريل 2008م، ص276.

[24]مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر ابراهيم بالش. ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1981 م ،(ص،ص) (76،77).

[25]Tite –live ,Histoire Romaine, livre XXXIV,Bibliothéca Classica Sélecta,p41,7

[26] أحمد السليماني ، مسينيسا ويوغرطا، الجزائر العاصمة، الثقافة العربية، 2007 م، ص31.

[27] M'hamed Hassine Fantar, op.cit, (p.p) (193.194).

[28]Stéphane Gsell, H.A.A.N,T: 5, librairie hachette ,paris,1927,P46.

[29]Plaute .les Comédies de Plaute. Le carthaginois poenus, tome second. Trad:E. sommer. Librairie de L. hachette. ET.C. paris. P (2.3).

[30] محمد حسين فنطر، الحضارة في قرطاج، المرجع السابق, ص73.

[31] فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ط1، تر: عز الدين أحمد عزو، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996، ص95.

[32] فرانسوا دوكريه، المرجع نفسه، ص 96.

[33]Festus. Festus Gramaticus. De la Signification des mots, trad: M'asavagner, Panckeucke, 1846. Livre:X, XIV,3.

[34]plaine l'ancien, Histoire naturelle, Dubochet, édi: Emile Littré Boulevard, saint-germain, paris, 1867,Livre: XXV2,1.

[35]Tertullien, œuvre de tertullien tome:II, Edi :2em, trad: Eugéne-Antoine de Genoude, paris, louis vivé,p.153,1. 1852.

[36] مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 77.

[37] فنطر محمد حسين، الفينيقيون و قرطاج ، الموسوعة المتوسطية، ط1، أليف منشورات المتوسط، تونس، 2005 ، ص18

[38] مادلين هورس، المرجع السابق، ص78.

[39]فنطر محمد حسين، الفينيقيون وقرطاج، المجع السابق، ص18.

العنوان باللغة العربية الإبداع كمطلب لتحقيق النزاهة العلمية

Title in English Creativity as a requirement to achieve scientific integrity

الحسين صالحي (*)[1]،

[1]جامعة محمد لمين دباغين سطيف_2_salhih37@gmail.com

عادل غزالي[2]

[2]جامعة محمد لمين دباغين سطيف_2_adel_socio@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة **تاريخ القبول**:30/06/2022

ملخص:

يعتبر الابداع ميزة المجتمعات المعاصرة التي تنعت على انها مجتمعات المعرفة حيث انها تتجه الى الاشتغال بهذا المورد الهام في جميع قطاعات المجتمع، وهذا لا يكون الا عبر تشجيع الابداع بين الافراد في المجتمع بغية القفز على النمطية والقوالب الجاهزة التي باتت تقوم على مظاهر سلبية على غرار الانتحال العلمي الذي يجعل البحث العلمي يراوح مكانه، وبغية تسليط الضوء على المنظومة الحالية للبحث العلمي ومعه الانتحال تم الاعتماد على المنهج الوصفي الذي قاد للوصول الى مجموعة من النتائج المتعلقةبالظروف العامة لمنظومة الابداع واهم المعوقات التي قد تحد منه.

الكلمات الدالة: الإبداع, النزاهة العلمية..

Abstract:

Creativityis an advantage of contemporarysocietiesthat are described as knowledgesocieties, as they tend to engage in this important resource in all sectors of society, and thiscanonlybe by encouragingcreativityamongindividuals in society in order to jump over stereotypes and ready-made templatesthat are based on negative

---

(*) المؤلف المرسل: الحسين صالحي: salhih37@gmail.com

aspects such as plagiarism. In order to shed light on the current system of scientificresearch and withitplagiarism, the descriptive approachwasreliedupon, whichled to a set of resultsrelated to the general conditions of the creativity system and the most important obstacles thatmaylimitit

Keywords:: creativity, scientificintegrity

——————————_——___________

1/اشكالية الدراسة:

هناك اعتقاد سائد بان الانتحال العلمي هو قضية اقتباسات من مصادر ومراجع مختلفة لا يتم الاشارة الى اصحابها على الاطلاق في العمل الذي يتم انجازه، وبان هذا العمل ينتشر في البحوث الاكاديمية فحسب، ولكن الامر يبدو اعقد من ذلك لأنه تحصيل حاصل كنتيجة لوجود مجموعة من المسوغات التي تدفع الى ارتكاب المحظور. فهذا الفعل هو امتداد لنسق تعليمي متخلف لا يشجع على الابداع، ويقدس النمطية والقوالب الجاهزة في البحث، نسق منكفأ على ذاته يركز على المغالاة في الاجراءات البيروقراطية التي يعتقد بانها الدافع للبحث ولتحقيق الحراك المهني والاجتماعي باعتبار ان التعليم هو احد آلياته. يضاف الى ذلك النسق الاجتماعي والاسري المتخلف الذي لم يقم على غرس مقومات الابداع بين افراده منذ الخطوات الاولى لممارسة التنشئة الاجتماعية عبر المؤسسات المختلفة التي تقوم بهذا الدور.

ان الابداع في مجال البحث اصبح السبيل المناسب الذي يمكن من خلاله تجاوز القضايا ذات الصلة بموضوع الانتحال، كونه يحاول القفز على انماط التفكير البالية والعقيمة، وكذا النمط التقليدي في البحث القائم على الاستهلاك للمعارف العلمية الموجودة دون ادنى اضافة تذكر. فالإبداع هو نقطة انتقال من استهلاك المعرفة الى انتاجها، وهو نقطة يقل فيها التوغل في الاعتماد على مخرجات الغير لإنتاج مخرجات جديدة.

هذا وتجدر الاشارة الى ان هذا الموضوع كان مثارة لاهتمام العديد من الباحثين في شتى التخصصات العلمية منذ ان بدا الاهتمام بالبحث العلمي ولعل ما وقفت عنده كتب منهجية البحث يعتبر خير دليل للتركيز على الموضوع ومحاولة تبيه الباحثين له.

تسعى هذه الورقة لمحاولة ولوج عالم الابداع في الفكر والبحث، والاعتماد على عليه في سبيل تجاوز محنة الانتحال العلمي عبر تخطي الوضع الراهن والانطلاق في سبيل تحقيق الجودة في البحث، كما تسعى ايضا للمساهمة في تقديم بعض الافكار التي يمكن من خلالها تلافي ظاهرة الانتحال العلمي. وهي بذلك تحاول الانطلاق من سؤال مفاده: كيف يؤدي الابداع الى تحقيق النزاهة العلمية ويساهم في تلافي الانتحال العلمي الذي يجعل البحث والمعرفة عقيمتين؟.

2/أسباب اختيار الموضوع:

ان موضوع الابداع في البحث وتلافي الانتحال يبقى من المواضيع المتجددة التي تطرح نفسها للنقاش في كل مجتمع وفي كل عصر نتيجة للمستجدات من جهة ونتيجة لتراجع سلم القيم من جهة ثانية، وعلى كل هناك اسباب دفعت لاختيار هذا الموضوع وهي:

-التكرار في البحوث التي اصبحت سمة في جامعاتنا دون ان تكون هناك عملية لمتابعتها واعادة نفس البحث في عديد الجامعات في نفس القطر دون ان يكون هناك تجديد ولا ابداع.

-الاعتماد على نفس المناهج والادوات البحثية التي تجاوزتها الابحاث الجديدة ونفس النمط من البحوث مما جعل المعرفة ومعها نتائج البحوث تدور في حلقة مفرغة.

-ارتباط منظومة البحث العلمي في بعض الدول بتحقيق اغراض مادية وحراك مهني على حساب الابداع والتجديد في البحوث.

3/منهج الدراسة:

انطلاقا من خصوصية الموضوع المعالج في هذه الورقة والمتعلق بالبحث في منظومة الابداع وعلاقتها بالمساهمة في تلافي الانتحال العلمي فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي

الذي يقتضي جمع المادة العلمية ذات الصلة بموضوع الدراسة من مختلف المراجع والمصادر المتاحة ومن ثم الانطلاق في محاولة التحليل والتفسير للمعلومات التي تم الاستفادة منها.

اولا: قراءة في مفاهيم الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على مفهومين اساسيين سيتم تسليط الضوء عليهما بغية تعميق المعرفة بخصوصهما وهما مفهوم الابداع ومفهوم الانتحال العلمي.

أ– الابداع:

حين التطرق لمفهوم الابداع نجد انفسنا محاطين بمفاهيم متداخلة معه على غرار الابتكار والاختراع، ولكن هذا الامر لا يشغلنا كثيرا على اعتبار ان هناك العديد من الادبيات التي حاولت الفصل في الموضوع وعليه سنحاول الوقوف عند مفهوم الابداع الذي يشكل حجر الزاوية في موضوعنا

لطالما شكل مفهوم الابداع مادة دسمة في الكثير من الادبيات على غرار علم النفس وعلم الاجتماع مرورا بالإدارة التي باتت تتطرق بإسهاب كبير الى موضوع ادارة الابداع، الامر الذي يجعلنا محاطين بكم كبير من الافكار التي تناولت المفهوم

لقد كانت بداية الاهتمام بمعالجة الابداع منذ الثلاثينيات من هذا القرن بمعالجة اختبارات القدرات، اختيار القيم والاطفال النوابغ. هذا ويشير المفهوم من الناحية اللغوية على انه يعني اختراع الشيء او انشاؤه على غير مثال سابق، وجعله غاية في صفاته، وان الابداعية في الفن والادب هي استحداث اساليب جديدة بدل الاساليب القديمة او المتعارف عليها. وقد عرف مجمع اللغة العربية الابداع على انه: اكتشاف علاقات جديدة او حلول اصلية تتسم بالجدة والمرونة[1].

هذا وتركز المفاهيم السيكولوجية للإبداع على موضوع الدراسة في التخصص وهو الفرد حيث يرى بانه حالة فردية ترتبط بما يحوزه من مهارات وملكات، حيث يعرف في هذا الاطار

[1] مجمع اللغة العربية: معجم علم النفس والتربية، الجزء الاول، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، مصر، 2003.

على انه: تجسيد لقدرة الفرد على استخدام طرائق غير تقليدية في تحقيق انجاز تتوافر فيه سمات الاصالة والابتكار[2].

لا ينحصر الاهتمام بالإبداع لدى المختصين في السيكولوجيا فحسب بل ان للمتخصصين في ميدان علم الاجتماع نظرتهم للموضوع حيث يركزون عليه منطلقين من موضوع الدراسة في هذا العلم وهو المجتمع فهم بذلك يرون ان وليد بيئة اجتماعية هي التي تحتضنه. فالإبداع المجتمعي يعبر عن حدوث نشاط ابداعي عام يظهر في اشكال مثل تطور السلوك العام في المجتمع، يحدث على غير المتوقع وفي فترة قصيرة او ارتفاع في مستويات الاداء بشكل غير عادي مقارنة بالمجتمعات المناظرة، او اعادة بناء المجتمع في وقت قصير وبمعدلات اعلى مما هو منتظر، او توصيل مجموعات متضافرة من المجتمع الى انجاز كان من المستحيل توقعه من وجهة نظر خبراء من خارج المجتمع[3].

فالإبداع على هذا النحو هو منتوج اجتماعي كما انه موجه لخدمة المجتمع وافراده على حد السواء لأجل تحقيق الاهداف المشتركة.

وقد ظهر توجه حالي في علم الادارة يعنى هو الاخر بالإبداع داخل هذا الجهاز فكان ان ظهر توجه قائم بذاته يعرف بإدارة الابداع حيث يتم تعريف الابداع من الناحية الادارية على انه : هو خلق قيمة او انتاج فكرة جديدة مفيدة، سواء اكانت تتعلق بإنتاج سلعة او خدمة، ام تتعلق بالوسائل والاجراءات والعمليات، ام تتعلق بالاستراتيجيات والسياسات والبرامج التنظيمية، وذلك من افراد يعملون معا في نظام اجتماعي معقد[4].

[2]تيسير, صبحي: الموهبة والابداع، طرائق التشخيص وادواته المحوسبة، دار اشراق للنشروالتوزيعالاردن،ط1, 1992 , ص25.

[3]كمال, التابعي: مقدمة في علم اجتماع المعرفة، الدار العربية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1,2007 , ص281.

[4]سليم, ابراهيم الحسنية: الإدارة بالإبداع نحو بناء نهج نظمي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، (د.ط),2009 , ص7.

على هذا الاساس يمكن القول ان الابداع متشعب الجوانب ولكن يمكن اعتباره بانه حالة غير عادية على الاطلاق حيث يمكن التعامل معه اجرائيا على انه: تجاوز للقوالب الجاهزة والنمطية في البحث وقفز على الانماط التقليدية غير المنتجة والعقيمة بغية الوصول الى نتائج جديدة.

ب– الانتحال:

يمكن الاشارة بصورة بسيطة الى ان الانتحال هو اصطناع فرد لشخصية او صورة ما ليست التي تعبر عن حقيقته او ان الفرد يتقمص بذلك واقعا لغيره. والانتحال صفة موجودة في الكثير من مناحي الحياة بما في ذلك تلك التي لها صلة بعالم البحث العلمي، وعلى العموم يمكن ان يكون للانتحال عدة تعاريف سنحاول الخوض في بعضها دون التوغل في ذلك.

يعرف الانتحال العلمي على انه : هي احدى مسؤوليات الباحث اثناء استخدام المرجع العلمي حيث تقتضي الاشارة الى المرجع وعدم اهمال ذلك مهما كانت والاسباب وسواء اكان ذلك الاستشعار حرفيا من المصدر او بتصرف، والاشارة الى المرجع لا تقلل من شان الباحث ، وبالعكس فان عدم الاشارة للمرجع فانه يدل على عدم الامانة العلمية وان الباحث ليس لديه القدرة على البحث والامانة في العرض[5].

وعليه فان الانتحال هو قضية شخصية يقع فيها الباحث نتيجة لتوافر مجموعة من الاسباب ولأجل تحقيق غايات انية.

كما يمكن ان تعرف الامانة العلمية ايضا على انها: نسب الافكار والنصوص الى اصحابها مهما تضاءلت، وهي عنوان شرف الباحث[6].

---

[5]علي, عبد المؤمن: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: الاساسيات والتقنيات والاساليب، منشورات جامعة 7 اكتوبر، ليبيا،ط1,2008, ص268.

[6]عبود, عبد الله العسكري: منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، دار النمير، دمشق، سوريا، ط2 , 2004, ص20.

يمكن التعامل بصورة اجرائية مع الانتحال على انه الممانعة في التجديد والاكتفاء باستهلاك ما هو موجود دونما ابداع.

ثانيا: اسباب الانتحال العلمي:

لا تتوقف قضية الانتحال العلمي عند سبب بعينه ، حيث يمكن ان نعتبرها بانها عبارة عن ترسبات وافرازات تعاقب الزمن والمؤسسات الاجتماعية على بلورتها عن غير قصد ولا وعي فهي على علاقة بالنسق العام الذي يوجد عليه المجتمع ، وعلى العموم يمكن الوقوف على عديد الاسباب المفضية لهذه الظاهرة خصوصا في واقعنا العربي و المحلي عبر النقاط **التالية:**

أ–درجة البيروقراطية الزائدة في البحث:

لقد اصبحت بعض الدوائر الاكاديمية والمراكز البحثية تشترط حزمة من الابحاث لأجل تحقيق الحراك المهني والترقي بواسطة امامها، وهو ما لا يعطي الفرصة الكافية للباحثين لإتمام بحوثهم على نحو سليم الامر الذي يجعلهم يتسرعون في الانجاز مرورا بعملية الانتحال التي تضمن لهم الهدف الذي يسعون اليه بكل سهولة واريحية ومراعاة التوقيت المحدد لتسليم العمل. ففي الغالب فان الباحث الذي يقبع تحت طائلة الوقت لا يمكن له في غالب الاحيان الابداع في العمل المسند له فينجر وراء الاستنجاد بجهد من سبقه لعدم تفويت الفرصة التي تضمن له الترقي في السلم المهني والاجتماعي على حد السواء خصوصا اذا كان يترتب على ذلك عائد مادي، فيصبح الباحث في هذا الوضع شبيه الى حد ما مع مقاول يسابق الزمن لأجل اتمام عملية البناء ولو كان ذلك على حساب نوعية ما بناه ليكون المصير في نهاية الامر هو التهدم على ساكنيه.

اصبحت بعض الدوائر العلمية تشترط لمنح بعض الامتيازات خاصة المادية او بعض التربصات العلمية خارج الوطن ان يرتب الباحث بناءا على كم البحوث التي تم انجازها مما قد يوقع الكثير في فخ التسرع والانتحال بغية تسلق الترتيب.

ب–مبررات اسرية:

تلعب التنشئة الاجتماعية عبر المؤسسات المختلفة المساهمة في العملية وعلى راسها مؤسسة الاسرة دورا مهما في تلقين الطفل المبادئ الاولى للتنشئة حيث تعمل على إعطائه التوجيهات المناسبة والتي تسعى الى غرسها فيه فكلما مكنته من القيم الايجابية وحاولت غرسها فيه كلما انعس ذلك على شخصيته المستقبلية، فقد يكون الانتحال والبعد عن الابداع موروث قيمي تبلور لدى الشخص منذ مرحلة الطفولة تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية تشكيل السلوك الانساني للفرد وتحويل الفرد من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي[7].

يمكن للأسرة ان تكون هي مصدر الابداع بالنسبة للطفل عبر تعليمه سلوك التفكير الجاد والمنطقي والابتعاد عن الاستهلاك لما يجود به الاخرين، حيث يتجذر هذا السلوك السوي عبر شخصية الطفل الذي يرافقه بقية مشواره. فالأسرة يمكن لها ان تغرس قيم الابداع والعمل الجاد في الفرد منذ الصغر عبر صقل المواهب واعطاء فرص التفكير الجاد.

ج-منظومة التعليم القاعدي:

للتعليم القاعدي الذي تقوم به المدرسة دورا مهما في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل فدورها لا يقل اهمية عن دور الاسرة باعتبارها الفضاء الذي يقضي فيه الطفل الكثير من الوقت، فعلى راس ما تعطيه المدرسة للطفل في بداية مراحله الاولى هو الاعتناء بالمناهج التعليمية المنتجة غير العقيمة التي تدفع الفرد على التفكير واستغلال ملكاته كاملة وعدم الاكتفاء بما هو منتج وتجاز انماط التفكير البالية، فبيداغوجية التعليم لا يجب ان تتوقف عند نقطة تعلم لتعرف وفقط. كما ان التنويع في طرق التدريس تجعل الطالب قادر على مجاراة كل انماط التعلم واستخدام الحواس في التعلم.

ان التعليم القاعدي يعتبر المنطلق الذي يمكن من خلاله غرس المعالم الصحيحة في العملية التعليمية وتعويد الطالب الاعتماد على ذاته في مواجهة الخبرات الذاتية والعلمية .

---

[7]عبد الله, محمد عبد الرحمن: علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، (د.ط) , 1991 , ص210.

والحقيقة التي يجب الاشارة اليها في هذا الصدد انه ليس التعليم القاعدي وحده من يعاني مثل هذه المشكلات بل حتى التعليم الجامعي في الكثير من الاقطار العربية اصبح يعاني من نفس المشكلات في مناهج التدريس وحتى على مستوى تدريب الاساتذة.

د–القوالب الجاهزة:

ان المقصود بالقوالب الجاهزة وهي النمطية في البحث والاعتماد على نفس الانواع من البحوث وباتباع نفس الاجراءات من دون اي تجديد او ابداع وهو ما يجعل نظام البحث العلمي برمته يدور في حلقة مفرغة، فالكثير من البحوث المنجزة في نفس الموضوع فهي في الغالب تنتمي الى خانة البحث الوصفي دون اللجوء الى انواع اخرى من البحوث على غرار البحوث الريادية والاستشرافية كونها تستغرق وقتا كبيرا وتتطلب انواعا خاصة من الباحثين

ه–الافراط في الاعتماد على التكنولوجيا:

يعتبر الافراط في استخدام التكنولوجيا واحد من العوامل التي تعيق المعرفة الانسانية فتجعل الباحث اسير هذه التكنولوجيات التي تدفعه الى الاكتفاء بما هو متاح من معرفة دون ان يكون له دور في انتاجها، فهي توفر له اقصر الطرق للوصول الى المعلومات والمعارف التي يحتاجها.

تأثر هذه الحواسيب ومن خلالها مختلف الشبكات على الأفراد عبر مختلف فئاتهم العمرية، فالجلوس إلى ساعات طويلة أمام شاشات هذه الأجهزة يجعل من الفرد بعيدا كل البعد عن واقعه ويعيش في عا لم آخر افتراضي.

إن الاستخدام المفرط لهذه الأجهزة يجعل الفرد غير قادر على استخدام عقله والاكتفاء بالمعارف التي تأتيه من الآخرين مما يؤدي إلى ضمور في معارفه واكتفائه بالمعرفة الالكترونية.

و–غياب التخطيط الجاد للبحث العلمي والانتشار العشوائي لمراكز البحث:

لقد عرفت مراكز البحث في الآونة الاخيرة انتشارا كبيرا ، ولكن للأسف الشديد ان هذا الانتشار لم يكن مرفوقا بهيئات رقابة لمتابعة مخرجات البحث فيها فلقد اصبح لهذه المراكز دورا تجاريا اكثر منه علميا، فهذه المراكز تنجز العديد من البحوث دون التأكد من مصداقيتها

ولا مصدر المعلومات التي تحتويها لان همها الوحيد هو تحصيل ارباح مادية فقط، نفس الامر بالنسبة لبعض المجلات العلمية التي باتت تنشر كل المقالات مهما كانت نوعية المعلومات التي تتضمنها.

لقد اصبح لانتشار هذا النوع من المراكز ما يبرره وللأمر علاقة مع ما تم التطرق اليه انفا بخصوص البيروقراطية الزائدة في البحث في بعض الاقطار حيث يندفع الباحثين الى تحقيق حراك مهني واجتماعي بالاعتماد على هذه المراكز والمجلات الربحية التي تشكل لجان علمية وهمية فقط قصد اضفاء نوع من الشرعية على ما تقدمه.

ثالثا: قراءة في الابداع العلمي عربيا ومحليا:

حينما نحاول ان ندرس ما هو موجود فعلا في الواقع المحلي والعربي بخصوص الابداع في البحث العلمي لا بد من المرور اولا عبر التصنيف العالمي لجامعاتنا فيما يتعلق بجودة البحث العلمي على الرغم مما تتضمنه التصنيفات من اجحاف في لكثير من الجوانب، ورغم هذا فلا يجب القفز على هذا الترتيب كما يجب التعامل معه على محمل الجد على الاقل لأجل تصحيح الاخطاء وتفاديها مستقبلا.

يمكن الاشارة في هذا الصدد لتصنيف مؤسسة كيو اس للعام 2019 والذي من بين ما يركز عليه هذا التصنيف هو البحث العلمي حيث يتم قياس هذا الاخير من خلال عدد الاقتباسات العلمية التي تم اقتباسها من بحوث الجامعة خلال مدة خمس سنوات ثم قسمتها على عدد الاساتذة في نفس الجامعة. هذا التصنيف تصدرت فيه دولة المملكة العربية السعودية التصنيف العربي وجاءت في المرتبة 36 دوليا تلتها لبنان في المرتبة 40 ثم مصر متأخرة ب 4 مراتب.

هناك غياب في المنطقة العربية الى مركز قومي تسند له مهمة حصر المؤشرات الكمية والنوعية ذات الصلة بمصداقية البيانات حول البحث والنشر العلمي والابداعي العربي، كما ان المؤسسات الدولية المهتمة بهذا الجانب تعاني هي الاخرى من نقص كبير على مستوى البيانات والمعلومات المقدمة لها من قبل الدول العربية في هذا الاتجاه عدا من قبل بعض

الاقطار العربية فقط. ان المفارقة الكبيرة في هذا القصور تعود الى ابعاد مراكز البحث العربية عن مسؤوليتها المتعلقة ببلورة رؤية وطنية للبحوث تاركة اياها في يد رجال السياسة.

حين التطرق للإبداع على الصعيد العربي والصعيد المحلي يجب استحضار المعوقات التي تقف امام منظومة الابداع سواء على صعيد البحث العلمي او على اصعدة اخرى، فهناك العديد من القضايا التي يجب طرحها في هذا الصدد كما يجب العمل على تلافيها لأجل الانطلاق نحو واقع جديد عربيا. ولعل اول وعوق يمكن الحديث عنه هو الجانب المالي وضعف الاعتمادات المالية في عديد الاقطار العربية حيث تواجه هذه الاقطار ضعف في الميزانية المخصصة للبحث بصفة عامة وللإبداع بصفة خاصة مما يجعلها لا تحظيان بالأولوية في الوقت الراهن على حساب اولويات اخرى، فبهذا الطرح تصبح جودت البحث والتعليم غير ذي جدوى امام تحدي ضمان فرص التعليم وكفى مهما كان نوعه والاكتفاء بالكم على حساب النوع، هذا الامر يمكن التدليل عليه من خلال الميزانية التي تخصص للبحث وتشجيع منظومة الابداع، وكذا عبر المكافآت التي قد تصرف للمبدعين والتي تكون في غالب الاحيان محتشمة ناهيك عن مبرر اخر يتمثل في ضعف براءات الاختراع على الصعيد العربي مما يفضح الابداع عربيا.

هناك عامل اخر لا يقل اهمية عن العوامل الاخرى التي تقضي على الابداع خصوصا في المستوى العربي ويتمثل في درجة البيروقراطية والتعقيد الزائدة اضافة الى المغالاة في التنظيم المركزي المعتمد على الهياكل التنظيمية الزائدة التي اقل ما يمكن نعتها به هي القضاء على الابداع، فلقد اصبحت معاهد ومراكز البحث عبارة عن بيروقراطيات جامدة تركز في مخرجاتها على نواتج ادارية وليست بحثية، اضافة الى سيطرة النزعة السياسية على حساب النزعة العلمية الاكاديمية[8].

---

[8] رافدة, عمر الحريري: اتجاهات ادارية معاصرة , دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الاردن،ط1, 2012 , ص165.

كما ان هناك عائق اخر لا يقل خطورة على ما سبقه يلعب هو الاخر دورا في كبح الابداع واعاقته خصوصا في مجال البحث ويتعلقبزيادة الاعتماد على الخبراء من الخارج ورهن كل مقومات الابداع المحلي وتعطيلها هذا الامر اصبح مثيرا للاهتمام خصوصا في ظل الانتشار الواسع للجامعات ومراكز البحث العربية التي اصبحت تبدو بانها دون اي مصداقية من ناحية البحث والقدرة على انتاج المعرفة وتطوير حلول ابداعية للمشكلات التي تعانيها المنطقة العربية[9].

هناك عامل اخر لا يمكن القفز عليه حين التطرق للإبداع عربيا وهو يبدو ذو صلة وثيقة بالتركيبة الاجتماعية لغالبية الشعوب العربية ويتمثل في الخوف من التغيير الذي ينجر عليه تعطل الطاقات الابداعية فمقاومة التغيير تعد من بين القضايا التي ترهن محاولات التفكير العلمي والتفكير الجاد، وتكون هذه المقاومة للعديد من المبررات التاريخية والسياسية وحتى الدينية.

هناك عامل لا يقل اهمية عن سابقيه ويتمثل في الأسلوب التربوي الخاطئ: وهذا الأسلوب يظهر بصورة جلية في مجتمعنا العربي الذي يميل إلى إتباع أسلوب التحفيظ بدل التفكير، فهذه الطريقة الإجبارية في التربية والتعليم تعمل على عدم السماح بالتفكير وكذا عدم القدرة على مناقشة المعارف الناقصة مما يجعل الطالب في ظل قوالب جامدة تولد لديه روح الاتكالية منتظرا على الدوم ما يقدم له من المعلم أو الأستاذ الذي يريد هو الآخر عودة بضاعته التي كان قد قدمها للطالب[10].

من بين العوامل التي نجد لها حضورا قويا في القضاء على الابداع نجد التعصب الذي يمثل اعتقاد باطل بأن المرء يحتكر لنفسه الحقيقة أو الفضيلة وبأن غيره يفتقدونها، ومن ثم فهم

[9]رفعت, عبد الحليم الفاعوري: ادارة الابداع التنظيمي،المنظمة العربية للتنمية الادارية، مصر، (د.ط) , 2005 , ص23.

[10]معن خليل العمر: علم اجتماع المعرفة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1,2007 , ص145.

مخطئون أو خاطئون على الدوام فالفرد المتعصب يؤكد ذاته من خلال هدم آراء الآخرين فهو لا يفكر فيما يتعصب له، بل يقبله على ما هو عليه فحسب مما يشكل عقبة كبيرة في وجه التفكير العلمي والمعرفة الموضوعية كون التعصب يلغي التفكير الحر والقدرة على التساؤل والنقد ويشجع قيم الخضوع والطاعة والاندماج التي لا تصلح في مجال الفكر ومن أعظم الأخطار التي يجلبها التعصب على المعرفة والعلم هو أنه يجعل الحقيقة ذاتية ومتعددة، ومتناقضة، فكل متعصب يؤمن بحقيقة هو دون مناقشة وإنصات لآراء الآخرين[11].

رابعا: مقترحات لتفعيل الابداع وتلافي الانتحال العلمي

ان الحديث عن الانتحال لا يعني اننا امام امر حتمي او مزمن بل بالعكس من ذلك يمكن تحرير الافراد والمجتمعات من هذه الظاهرة عبر مجموعة من الاليات التي يمكن التطرق اليها عبر النقاط التالية:

1- تفعيل القوانين المتعلقة بمعاقبة كل من يعتدي على الاصول الفكرية للغير عن غير وجه حق لأجل تفادي عدم تكرر الممارسات التي تفضي للسطو على مجهود الاخرين، وحتى تكون رادعا لكل من يفكر في السير على درب الانتحال

2- التخفيف من حدة الاجراءات البيروقراطية المرتبطة بالبحث العلمي، حيث يجب وضع اجراءات معقولة ومنطقية لا تدفع الباحثين للانتحال او التلفيق في نتائج البحوث، وتكريس ثقافة البحث لذات البحث وليس لتحقيق حراك مهني واجتماعي على حساب الابداع الجاد الذي يؤدي الى توليد معارف جديدة.

[11] فؤاد. زكريا: التفكير العلمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط) , 1978 , ص80.

3- تقديم الحوافز المادية والمعنوية للمدعين لأجل تثمين ابداعاتهم وجهودهم في سبيل تقديم اسهامات جديدة بدل الاعتماد الكثيف على العامل الاجنبي واعطائه المكانة العليا على حساب المهارات والكفاءات المحلية.

4- تعليم المبادئ الصحيحة للبحث العلمي والتي يمكن عبرها الانتقال الى مستويات من الابداع، فالكثير من الممارسات في اتجاه الانتحال تحدث كمحصلة لنقص في التدريب او تقصير في تلقين الاساسيات المتعلقة بالبحث وعلى راسها الامانة العلمية ونسب الافكار لأصحابها دون تحريف او سطو.

خاتمة:

لا ترتبط منظومة الابداع ولا الانتحال بالفرد فقط بل هي محصلة بيئة متكاملة تعمل معا تتكامل فيها العديد من الجانب وتتداخل فيها العوامل الاجتماعية بقوة، فالإبداع والانتحال لطالما ارتبط كل منهما بمجتمعات معينة اما انها تعمل على توفير البيئة الحاضنة للأول او انها تحتضن الثاني وتعمل على تفعيله، ثم ان الابداع او الانتحال لا يرتبطان فقط بالبحث العلمي بل يشملان مجالات عديدة. ويبقى ان ترسيخ قيم الابداع او الانتحال يحتاج الى طفرة حقيقية تبدا من اصلاح المنظومة السائدة وتمتد لتشمل الاهتمام بالبحث العلمي لأجل تنمية البحث وليس بهدف تحقيق أغراضآنية.

قائمة المراجع:

- تيسير, صبحي: الموهبة والابداع: طرائق التشخيص وادواته المحوسبة، (الاردن، دار اشراق للنشر والتوزيع, 1992) , الصفحة 25.
- حامد, الشافعي ذياب: الانترنت وشيء من قضاياها في المكتبات ومراكز المعلومات، (القاهرة،مصر, أشغال المؤتمر العربي الثامن للمعلومات، 1999) , الصفحة 362.
- رافدة, عمر الحريري: اتجاهات ادارية معاصرة، (عمان، الاردن،دار الفكر ناشرونوموزعون، 2012) , الصفحة 165.
- رفعت, عبد الحليم الفاعوري: ادارة الابداع التنظيمي، (مصر, المنظمة العربية للتنمية الادارية، 2005) , الصفحة 23.

- سليم, ابراهيم الحسنية: الإدارة بالإبداع نحو بناء نهج نظمي، (مصر، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2009) الصفحة 7.
- عبد الله, محمد عبد الرحمن: علم الاجتماع النشأة والتطور، (مصر , الاسكندرية , دار المعرفة الجامعية، 1999) , صفحة 210.
- عبود, عبد الله العسكري: منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، (دمشق , سوريا , دار النمير، 2004) , الصفحة 20.
- علي, عبد المؤمن: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: الاساسيات والتقنيات والاساليب، (ليبيا , منشورات جامعة 7 اكتوبر، 2008) , صفحة 468.
- فؤاد, زكريا: التفكيرالعلمي،(الكويت , عالمالمعرفة،المجلسالوطنيللثقافةوالفنونوالآداب، 1978) الصفحة 80.
- كمال,التابعي: مقدمةفيعلماجتماعالمعرفة،(القاهرة , مصر , الدارالعربيةللاستثماراتالثقافية،2007) , الصفحة 281.
- مجمع اللغة العربية: معجم علم النفس والتربية، (مصر , الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، 2003) , الصفحة 38.
- معن, خليل العمر: علم اجتماع المعرفة، (عمان , الاردن , دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007) , الصفحة 145.